الجامعـــــــة الإســـلاميــة بغــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــة الآداب- قسم اللغة العربية
ماجستير الأدب والنقـــد والبلاغـــة

The Islamic Universityof Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Literature Arabic Dep
Master of Literature , criticism and Phetoric

الشخصية في الرواية الكنفانية

The Personality in the Kanavanian Novel

إِعدَادُ الطالب
معاذ لطفي موسى أبو موسى

إِشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
أ. د. نبيل خالد أبو علي

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي الأدب والنقد والبلاغة بِكُلِيةِ الآداب– قسم اللغة العربية فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

يونيو/2019م – شوال /1440هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الشخصية في الرواية الكنفانية

The personality in the Kanavanian novel

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	معاذ لطفي أبو موسى	اسم الطالب:
Signature:	معاذ لطفي أبو موسى	التوقيع:
Date:	2019/ 7 /13	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref ج.س.غ/35/.....
التاريخ Date 10/07/2019م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **معاذ لطفي موسى ابو موسى** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ برنامج **اللغة العربية** وموضوعها:

الشخصية في الرواية الكنفانية

The Personality in the Kanavanian Novel

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء 7 ذو القعدة 1440**هـ الموافق **2019/07/10**م الساعة **العاشرة صباحا**، في **قاعة مؤتمرات مبنى طيبة** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. نبيل خالد أبوعلي	**مشرفا ورئيسا**	.....
أ. د. كمال أحمد غنيم	**مناقشا داخليا**	.....
د. عاطف عبد الله أبو حمادة	**مناقشا خارجيا**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/برنامج اللغة العربية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

التاريخ: 16/7/2017م | الرقم العام للنسخة | 3107637 | اللغة | ع | ☒ ماجستير | ☐ دكتوراه

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام النسخة الإلكترونية من رسالة

للطالب/ معاذ لطفي موسى أبو موسى

رقم جامعي: 120170044 قسم: اللغة العربية كلية: الآداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

413

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

معاذ أبو موسى

إدارة المكتبة المركزية

أ. محمد عبد الواحد

ملخص الرسالة

الشخصية في الرواية الكنفانية

تناولت هذه الدراسة الشخصية في روايات الأديب غسان كنفاني، بهدف التعرف إلى أنماط الشخصيات المتعددة، مثل: الشخصية المناضلة، والثائرة على المحتل بالعمل الفدائي، بكل شجاعة وإصرار على المقاومة حتى النصر أو الشهادة، بالإضافة إلى الشخصية السلبية، الواقعة في وحل الرذيلة، والعمالة مع المحتل اليهودي ضد أبناء الشعب الفلسطيني، وشخصية اليهودي المستبد بقوة الدبابات والطائرات والصواريخ والبوارج البحرية، والمغتصب للأرض بعصاباته المدججة بالسلاح والرصاص، وبمساعدة الانتداب البريطاني المسيطر على الأرض الفلسطينية منذ الحرب العالمية الأولى وحتى النكبة.

ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج المتكامل؛ لقدرته على استيعاب موضوع الروايات وشموليتها، وهو يتيح للدارس أن يستخدم المناهج التي تلائم دراسته، كالمنهج السيميائي الأكثر ملاءمة في التعامل مع الخطاب السردي في الروايات، وغيره من المناهج.

ولقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: الشخصية عنصر مهم وأساسي في البناء الروائي، حيث أبدع غسان كنفاني في عرض الشخصية الفلسطينية الفاعلة والعاشقة لفلسطين، بالإضافة إلى الشخصية السلبية والخائنة لوطنها وشرفها، كما وسخر غسان كنفاني نص رواياته لفلسطين والقضية الفلسطينية، فغلب عليها طابع المقاومة بهدف التحرير والاستقلال.

Abstract

Personality in the Canaanite novel

This personal study in the novels of the writer Ghassan Kanafani, with the aim of identifying the noble and active personality, and revolting against the occupier in the guerilla work, with all courage and determination to resist until victory or martyrdom, in addition to the negative personality, And the character of the Jewish despot with the power of tanks, planes, missiles and naval battleships, and the usurper of the land with his gangs armed with bullets and with the help of the British Mandate that controls the Palestinian land from World War I to the Nakba.

In order to achieve the objectives of the study, the researcher used the integrated approach to his ability to absorb the subject of narratives and comprehensiveness, and it allows the student to use the curricula that fit his study, such as the most appropriate syemics approach in dealing with narrative discourse in novels and other curricula.

The study has reached a number of results, the most important of which are: Personality is an important element in the structuring of the novel, where create Ghassan Kanafani in show the active Palestinian personality, that in love to Palestine, in addition to the negative personality and disloyal to her land and honor, Ghassan Kanafani also mobilize the text of his novels for Palestine and the Palestinian cause , Dominated by the character of resistance for the purpose of liberation and independence.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ قف
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾

(فاطر:28)

ٱلْإِهدَاْءُ

إلى من سانداني في السر والعلانية بالقول والفعل، واللذين قال الله تعالى فيهما:

﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾

(الإسراء:24).

إلى شقيقتي الغالية.

إلى من بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، الأكرم منا جميعاً.

إلى كل من وقف مشاركاً وناصحاً وموجهاً.

أهدي هذا الجهد المتواضع.

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً لا ينقطع، أعان فيسر، ويسر فأعان، يا ربي لك الحمد والشكر أن خلقتني وهديتني وعلمتني، كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، والصلاة والسلام على خير الخلق، سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الأخيار، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

إن هذه الرسالة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل الله عز وجل أولاً، ثم فضل أصحاب الفضل، الذين لم يبخلوا عليّ بجهدٍ، أو وقت، أو إرشاد، أو توجيه، طوال فترة الدراسة.

ومن باب الاعتراف بالفضل لأصحاب الفضل، أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور المشرف على الرسالة، الأستاذ الدكتور/ نبيل خالد رباح أبو علي، أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية بغزة، الذي أشرف على الرسالة، ولم يتوان لحظة عن المتابعة والتوجيه والإرشاد طوال فترة كتابة الرسالة، والذي بدوره أثرى الدراسة، فله مني كل الاحترام والتقدير على سعة صدره، وأسأل الله عز وجل أن يسدّد خطاه، ويجعل ذلك كله في ميزان حسناته، ويجعله قدوة لطلبة العلم.

وقد زادني شرفاً أن هيئ لمناقشة الدراسة لجنة موقرة تضم عالمين جليلين لهما من المكانة والمنزلة ما يشرف هذه الدراسة، ويسهم في إثرائها، فالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور/ كمال غنيم، أستاذ الأدب والنقد والبلاغة في الجامعة الإسلامية الذي تفضل بقبول مناقشة الدراسة رغم مشاغله وأعماله الكثيرة، كما أتقدم بأصدق عبارات الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور/ عاطف أبو حمادة، أستاذ الأدب والنقد والبلاغة في جامعة القدس المفتوحة الذي أسعدني بقبول مناقشة الدراسة؛ لينفعني بعلمه وتوجيهاته، وأسأل الله تعالى أن يجعلهما من سعداء الدارين.

ولا أنسى تقديم الشكر والتقدير لأسرتي الكريمة؛ لدعمها المتواصل طوال فترة دراستي، فكانت مثالاً للمساعدة والصبر والتحمل، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

الطالب/ معاذ لطفي أبو موسى

فهرس الموضوعات

إقـــرار .....أ

ملخص الرسالة .....ب

شكرٌ وتقديرٌ ..... ح

فهرس الموضوعات ..... خ

المقدمة:.....3

أولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياره. 3

أهداف الدراسة: 5

الجهود والدراسات الأدبية ذات الصلة بالدراسة الحالية، ومنها:.....5

منهج الدراسة: 11

ثانياً: حياة غسان كنفاني، وأعماله الأدبية. 11

مؤلفات غسان كنفاني: 14

الجوائز التي حصل عليها غسان كنفاني: 15

الفصل الأول الشخصية وقضايا مضمون روايات غسان كنفاني 18

المبحث الأول: مفهوم الشخصية:..... 19

رسم الشخصيات: 25

أنواع الشخصيات: 27

المبحث الثاني: المضامين..... 28

المضمون الأول: طلب الاستقرار (رواية رجال في الشمس 1963)..... 29

المضمون الثاني: الهجرة وانحراف البوصلة (رواية ما تبقى لكم 1966)..... 36

المضمون الثالث: المرأة (رواية أم سعد 1969). 45

المضمون الرابع: حق العودة (رواية عائد إلى حيفا 1969). 52

المضمون الخامس: الثورة الفلسطينية (رواية العاشق 1966)..... 60

المضمون السادس: الاحتلال (رواية الأعمى والأطرش)..... 63

المضمون السابع: المخيم والشهادة (رواية برقوق نيسان). 67

المضمون الثامن: الصمت الشيء الآخر (رواية من قتل ليلى الحايك؟)..... 70

الفصل الثاني شخصية الفلسطيني والآخر 79
المبحث الأول: شخصية الفلسطيني. 81
أ- شخصية الرجل الفلسطيني: 82
ب- شخصية المرأة الفلسطينية: 119
ج- شخصية الطفل الفلسطيني: 128
المبحث الثاني: شخصية الآخر (اليهود والإنجليز). 133
الفصل الثالث 149
الشخصية في روايات غسان كنفاني "دراسة فنية" 149
المبحث الأول: الشخصيات وأبعادها عند غسان كنفاني: 150
المبحث الثاني: الصراع بنوعيه الداخلي والخارجي. 174
المبحث الثالث: دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها 189
الخاتمة 198
النتائج والتوصيات: 200
الفصل 1 المراجع 202

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربي ويرضى، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد عباده المؤمنين بالثواب الجزيل والخير العميم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، معلم الناس الخير، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، والتابعين الأخيار، ومن تبعهم واقتفى أثرهم ، وسار على طريقهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد..

تُعدّ الشخصية من أهم المواضيع الأساسية في عالم الأدب، فهي الركيزة المعتمد عليها، والعمود الفقري للرواية، وهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، فالشخصية من المقومات الرئيسة للرواية، ودونها لا وجود للرواية، لهذا يقال: الرواية شخصية؛ أي لا يمكن للرواية أن تستغني عن الشخصية مهما كان، وتمتد على طول العمل الأدبي، تحمل أفكار ومعتقدات المبدع، يعبر من خلالها عن تلك الأفكار والمعتقدات، وتنطق بلسان حاله، وتدافع عن فكرته بالحجج والبراهين، وتتفق إلى حد بعيد مع الهم العام والواقع، وتنسجم مع القيم والاتجاهات، والمبادئ المقبولة من المجتمع.

ولقد قمت بتقسيم الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة فصول، ثم الخاتمة، والنتائج، والتوصيات، ثم المراجع، والفهرست.

1.المقدمة: سيتم فيها الحديث عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف الدراسة، والصعوبات التي واجهت الباحث، وخطة البحث، ومنهج الدراسة، ثم الحديث عن حياة غسان كنفاني وأعماله الأدبية بإيجاز.

2.**الفصل الأول:** سيتناول الباحث فيه الشخصية وقضايا مضمون روايات غسان كنفاني، ويتضمن مبحثين، هما: المبحث الأول، وفيه سيتم الحديث عن المبحث الأول، وفيه مفهوم الشخصية، **و**المبحث الثاني، وفيه سيتم الحديث عن المضامين **في روايات غسان كنفاني، وهي:** المضمون الأول: طلب الاستقرار، **و**المضمون الثاني: الهجرة وانحراف البوصلة، **و**المضمون الثالث: المرأة، **و**المضمون الرابع: حق العودة، **و**المضمون الخامس: الثورة

الفلسطينية، المضمون السادس: الاحتلال، المضمون السابع: المخيم والشهادة، المضمون الثامن: الصمت، كل ذلك بالشرح والتحليل من أجل الوصول إلى رؤية واضحة حول روايات غسان كنفاني، ومعرفة مدى ارتباطها بالواقع الفلسطيني.

3.**الفصل الثاني:** وفيه سيتناول الباحث الحديث عن الشخصية في روايات غسان كنفاني، ويتضمن مبحثين: المبحث الأول: وفيه يكون الحديث عن شخصية الفلسطيني، حيث الأنماط المتعددة للشخصية الفلسطينية، كل ذلك بالشرح والتحليل من أجل التعرف على شخصيات غسان كنفاني، وسبب استدعاء غسان لتلك الشخصيات، والمبحث الثاني: سيتم فيه الحديث عن شخصية الآخر، اليهودي المحتل للأرض، وأنماط شخصيته المتعددة، وسيتم الحديث عن تلك الأنماط بالشرح والتحليل؛ لمعرفة حقيقتها، وكيف أظهرها الروائي كنفاني، وتبيان كيفية تعاملها مع ابن البلد الأصلي.

4.**الفصل الثالث:** سيتم الحديث فيه عن عمق الشخصية في روايات غسان كنفاني، ويتضمن ثلاثة مباحث، وهي: المبحث الأول: الشخصيات وأبعادها عند غسان كنفاني، والمبحث الثاني: الصراع بنوعيه: الداخلي والخارجي، والمبحث الثالث: دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها.

5.**الخاتمة،** وهي تلي فصول الدراسة.

6. **النتائج والتوصيات.**

المقدمة:

أولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياره.

تعد الشخصية حصيلة القوى الداخلية لدى صاحبها والتي بدورها تتفاعل مع المؤثرات الخارجية، فتؤثر وتتأثر بها بشكل مستمر، خلال جميع المراحل العمرية للإنسان، ولذلك يمكن القول: إن الشخصية عبارة عن خليط معقد، يحتوي على العديد من المكونات المختلفة: كالمعتقدات الدينية، والميول والاتجاهات، والعادات والعواطف، والاهتمامات والدوافع الموروثة والمكتسبة، والتي يتميز بها الفرد عن غيره، وتظهر في سلوكه، وأخلاقه وطريقة تعامله مع الآخرين، ويمكن الحكم عليها من خلال النشاطات الخارجية، التي يقوم بها الفرد أثناء تفاعله مع المؤثرات المحيطة به، ولأهميتها في العمل الروائي تم التركيز عليها؛ للاعتبارات الآتية:

1- كل إنسان يتميز بشخصية فريدة، تجعله مميزاً عن غيره بما يحمل من صفات، فالشخصية كالبصمة للإنسان، ومن هنا نرى الشخصية الجذابة: وهي شخصية مرحة إيجابية، لديها الثقة بالنفس، قادرة على نشر الألفة والمحبة والترابط بين الجمهور، والشخصية الحنونة: وهي شخصية تعمل على إسعاد الناس، وتفهم مشاكلهم، وتجنب العبث بمشاعرهم، وتشاركهم الأفراح والأتراح، والشخصية النرجسية: وهي شخصية سطحية في التعامل مع الجمهور، تستفيد من نقاط الضعف عندهم؛ لتحقيق مكاسب شخصية، تهتم بنفسها كثيراً، وتكثر من تقدير ذاتها، والشخصية العصبية: وهي شخصية تتوتر، وتشعر بالإرهاق والصداع نتيجة للضغط الذي تتعرض له، مع عدم القدرة على رد الإساءة الموجهة إليها، والشخصية المنطوية: وهي شخصية تتميز بالعزلة والانفراد، وتردد المشاعر، وانحسار العواطف وعدم المبالاة، وتفضل العمل الفردي على العمل بروح الفريق.

2- الشخصية الروائية التي يرسمها الروائي في العمل الأدبي سواء كانت خيالية أو واقعية تحتاج إلى أبعاد ثلاثة؛ ليكتمل العمل الأدبي، ولن يتخلى واحد عن الآخر، وهي: الحدث، والزمان، والمكان، في هذا الحيز يتم عمل الشخصية، فلا رواية دون شخصيات، والشخصية أحد عناصر الرواية، ومن المؤكد أن الرواية من الفنون الأدبية التي تحتوي على العديد من

العناصر، والتي دونها تفقد الرواية قيمتها الأدبية، وقدرتها على توصيل الأفكار إلى المتلقي، ومن هذه العناصر: الراوي، والزمان، والمكان، والعقدة، والشخصيات، والحوار، والفكرة، والحبكة، والأدوات، والخيال، واللغة، كما ويرى محمد عنابي أن الرواية " لها القدرة على التكيف والتطوع والتطور، وقادرة على معالجة أي موضوع، وأثبتت قدرتها على البقاء في العالم، رغم التنافس القوي من السينما والمسلسلات التي تمثل صورة للفن الروائي " [1] .

3- إن الرواية " تتزاحم فيها شخصيات كثيرة، أغلبها ذات مرجعيات اجتماعية، تدل على التعدد والتنوع...، فهناك أنموذج المرأة، وهناك نماذج مغرقة في الشعبية، ونماذج تمتاز بانتمائها الديني المغاير(الطائفة اليهودية)، وتتضح التقسيمات الاجتماعية في الرواية فهناك مجتمع الأغنياء ومجتمع الفقراء، ولكل مجتمع عالمه وشخصياته الدالة عليه " [2]، فالرواية تنطق باسم المجتمع ورؤية الروائي للواقع الماضي والحاضر والمستقبل.

4- جاءت الكتابة في هذا الموضوع؛ لجدته وخطورته، لأن الشخصية هي القائمة بالحدث في الرواية، تتفاعل مع الزمان والمكان، وهي الرابط القوي، والوسيط بين عناصر الرواية، لا يمكن الاستغناء عنها، إذ لا يمكن للكاتب أن يجعل أي حيوية للرواية ما لم يكن في ذهنه شخصية يسند إليها تصرفات وانفعالات معينة، وطريقة تعامل مع الشخصيات الأخرى داخل الرواية، فهي أحد عناصر الرواية، واعتبارها نقطة البداية والنهاية في العمل الأدبي، وهي من أكثر المفاهيم شيوعاً بين الناس، فيقال: فلان شخصيته قوية، وفلان ليس له شخصية، ولأنها متعددة الجوانب، ومتنوعة ومتشابكة في علاقاتها، فالجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية كل منها يؤثر ويتأثر بالآخر.

5- ومن الدوافع التي دفعتني لاختيار الموضوع: عرض نموذج مشرف لأديب فلسطيني، عانى من الاحتلال البغيض، الذي جعل الأرض سجناً، والشعب لاجئاً في المخيمات، وشخصية الآخر حيث الاحتلال وحروبه، والاعتقال والرعب والقهر، والتشريد

(1) الأدب وفنونه، محمد عنابي، 1991، ص 70.
(2) العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، فيصل النعيمي، 2009، ص183.

والتدمير، مما جعل من الحياة لا حياة، لذلك كان لابد من وجود شخصية الآخر في الرواية الفلسطينية، وإفادة طلبة العلم بمدى تأثر الأديب بعصره وبيئته.

أهداف الدراسة:

- التعرف إلى الشخصية في الرواية الكنفانية.
- إثراء المكتبة العربية بدراسة تهتم بالشخصية والرواية الفلسطينية.
- تسليط الضوء إلى صوت الروائي الفلسطيني، الملتزم بقضيته، والمؤمن بعدالتها، والباحث عن الحرية والاستقلال.

الجهود والدراسات الأدبية ذات الصلة بالدراسة الحالية، ومنها:

1- رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة: حياة فرادي، بعنوان (الشخصية في رواية ميمونة)، للروائي الجزائري المعاصر – محمد بابا عمي– ، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، عام 2015م، هذه الدراسة ما هي إلا محاولة لتسليط الضوء على أهم ما تضمنه نص رواية " ميمونة" من مميزات وخصائص لبعض الجوانب الفنية التي أسهمت في تشكيل الشخصية في الرواية، وتندرج هذه الدراسة في سياق محاولة البحث عن الشخصية في رواية " ميمونة" للروائي الجزائري المعاصر– محمد بابا عمي– من خلال خطاب روائي، يعكس الواقع البشري، بوساطة أشخاص من صنع الخيال، وعليه فالشخصية الروائية من العناصر الأدبية المهمة، فلا يمكن أن تبنى رواية بدون شخصيات، وفي الدراسة محاولة للكشف عن الجوانب الداخلية والخارجية والاجتماعية والفكرية للشخصيات المتواجدة في الرواية، بالاعتماد على المنهج البنيوي؛ للقيام بتحليل بنية الشخصيات.

وتنقسم الشخصيات في رواية (ميمونة) إلى شخصيات رئيسة، وأخرى ثانوية، وهذا راجع لارتباطها بالحدث، كما توجد تقسيمات أخرى مستوحاة أساساً من مدى قيمة الشخصيات وقوة تأثيرها، وتفاعلها مع الأحداث، وكذا علاقاتها بالشخصيات الأخرى.

ورواية (ميمونة) تروي ملحمة فتاة تتحدى ظلم المحتل، وتروي أروع درس في الرشد والإيمان، حيث حاول الكاتب إبراز دور الفتاة الفلسطينية المناضلة في إطار فني وبديع ومميز،

وتنقسم شخصيات " ميمونة" إلى شخصيات رئيسة، وأخرى ثانوية، إذ نجد شخصيات ثانوية مساعدة، وشخصيات أخرى معارضة، تصارع الشخصية الرئيسة " ميمونة"، وأراد السارد توضيح أبعاد شخصياته في هذه الرواية من خلال الملامح الخارجية، والأوصاف النفسية، وكذلك معتقداتها وأحوالها الاجتماعية [1].

وبعد الإطلاع على هذه الرسالة من الباحث، فقد استفاد منها في كيفية الاهتمام بمضمون الرواية.

2- رسالة ماجستير مقدمة من الطالب سعد عودة حسن عدوان بعنوان (الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية) – دراسة في ضوء المناهج النقدية – الجامعة الإسلامية – كلية الآداب – قسم اللغة العربية – عام 2014 م، وتناولت الدراسة موضوع (بناء الشخصية في روايات أحمد رفيق عوض) هادفة إلى الكشف عن ماهية الشخصية في رواياته، وطرق تقديم الشخصية عنده بشقيها المباشر وغير المباشر، وأصناف الشخصيات عنده، سواء أكانت رئيسة أو ثانوية أو نامية، ودراسة الشخصيات البارزة عنده، كشخصية الفلسطيني بأنماطها: (المفاوض الفلسطيني، والضابط الفاسد، والعميل، واللاجئ، والمغترب العائد، والعامل، والمثقف المقاوم)، والشخصيات التراثية بأنماطها: (صلاح الدين الأيوبي، بهاء الدين قراقوش، الخليفة المقتدر، والأم الراهبة)، وشخصية اليهودي بأنماطها: (الجندي، ضابط المخابرات، المفاوض، المستوطن)، ثم بينت سمات تلك الشخصيات، ومدى تطابقها مع واقعها.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن التقديم غير المباشر للشخصيات كان أسلوب عوض، وأن هذا النمط جعل القارئ بحاجة إلى مشاركة عميقة كي يتسنى له تحديد الماهية الحقيقية للشخصية، وعند الحديث عن الشخصيات الفلسطينية خلصت الدراسة إلى أن جل أنماطها مصابة بحالة من التشظى والتفكك والانفصام؛ لأنها تصور الواقع الفلسطيني الراهن الذي يعيش حالة من القمع والانهيار والتلاشي.

---

1) الشخصية في رواية ميمونة لمحمد بابا عمي، حياة فرادي،(ماجستير غير منشورة)، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015م .

وفي دراسة الشخصيات التراثية تبين أن توظيف التراث عند عوض ليس اختياراً عشوائياً بل يتخذ مناحي مختلفة جمالية وفنية وفكرية وسياسية واجتماعية، كما استخدمه كرمز لقضايا العصر، ولم يقلد التراث القصصي تقليداً تاماً، إذ لم تكن النصوص القصصية إعادة كتابة لتلك القصص، وإنما انعكس أسلوب الكاتب ووجهة نظره الخاصة.

وفي الحديث عن الشخصيات اليهودية خلصت الدراسة إلى أن الوجه العسكري كان طاغياً عليها، وقدم عوض شخصية اليهودي على أنها شخصية سلبية مستبدة متعالية على الفلسطيني، وبينت الرواية شخصية المفاوض الإسرائيلي متعنتاً أمام المفاوض الفلسطيني، وأما المرأة اليهودية فقد قدمها الكاتب من منظور جنسي فقط، وقد جاءت على صورة عاهرة.

وفي الدراسة تبين أن عوض قد انزاح عن النمط التقليدي للروايات الكلاسيكية التي كانت تتضمن راوياً واحداً، يسرد الأحداث، فجعل عدة رواة يتناوبون على سرد الأحداث، كما أدخل عوض المتلقي إلى الرواية، ولقد توصلت الدراسة إلى توصيات، منها: إمكانية دراسة تقنيات السرد في روايات عوض، وإمكانية دراسة المرأة في نتاج عوض، وتداخل الأجناس الأدبية وغيرها، وهذا ما يؤشر إلى أن أعمال عوض عالم رحب، يجعل الدارس أمام خيارات متعددة لدراسة أي جانب يريده، وقد استفاد الباحث منها في توزيع الفصول[1] .

3- دراسة مقدمة من الباحثة: هيام عبد الكاظم إبراهيم، بعنوان (الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني)، جامعة القادسية، كلية الإدارة والاقتصاد، عام 2012م، وهي بحث يفتح في سبع عشرة صفحة، تتحدث فيه الباحثة عن الشخصية في بعض قصص وروايات غسان كنفاني، وليست رسالة أو كتاباً، وهي صغيرة الحجم، تناولت أربع روايات وباختصار شديد، من أصل ثماني روايات من روايات غسان كنفاني، وكان الحديث فيها عن الشخصية العربية الفلسطينية واليهودية الصهيونية في بعض نصوص غسان كنفاني[2] ، وقد أغفلت باقي الروايات بالرغم من أهميتها، وكذلك أغفلت الكثير من المباحث في الدراسة الحالية، ومنها:

1) الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية، دراسة في ضوء المناهج النقدية، سعد عودة حسن عدوان، (ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2014م.
2) الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني، هيام عبد الكاظم إبراهيم، المجلة العراقية، العدد الحادي عشر، 2012م.

مضامين الروايات، والشخصيات وأبعادها عند غسان كنفاني، والصراع بنوعيه: الداخلي والخارجي للشخصية، ودلالة الأسماء، وعلاقاتها بالشخصيات التي ارتبطت بها.

4- رسالة ماجستير مقدمة من الطالب: حسين محمد الصليبي، بعنوان (الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو 1992م)، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، عام 2008م، الذي تناول فيها الرواية الفلسطينية بعد أوسلو، باعتبارها منعطفاً تاريخياً فارقاً بالنسبة للقضية الفلسطينية بعد عام النكبة حيث شرد الشعب الفلسطيني بعيداً عن وطنه وكيف انعكست تلك الآثار على الرواية الفلسطينية والقضايا التي وردت في الرواية الفلسطينية ومظاهر التجديد وما يتعلق باستخدام التقنيات السردية الحديثة وصولاً إلى التناص بأشكاله وعلاقته بالمستوى الجمالي والدلالي.

وتوصلت الدراسة إلى أن كثيراً من النصوص الروائية عبرت بطريقة فنية بعيداً عن الخطابية أو التقرير عن زيف الاتفاق المذكور وبينت حقيقة ما يدور على أرض الوطن وما يدور من اتفاقات وأنها بعيدة عن الحقوق المشروعة والمبادئ والثوابت كحق العودة إلى فلسطين المحتلة ذلك الحق الذي عاش في وجدان الفلسطينيين وأحلامهم زمناً طويلاً كما بينت أن ماجرى حقيقة على أرض الواقع هو مجرد عبور بعض الفلسطينيين المؤيدين لاتفاق أوسلو إلى جزء من أرض الوطن عبر ثقوب أوسلو بينما حرم سائر اللاجئين الذين يقبعون خلف قضبان المنفى والشتات من ذلك العبور.

وصورت الرواية الفلسطينية قبل أوسلو المشاهد الدرامية والمذابح الوحشية التي ارتكبت ضد الشعب الفلسطيني في جو من الهزائم المتكررة بأسلوب يغلب عليه الوصف والتسجيل وكأن الروائي الفلسطيني كان حريصاً على تخليد النظرة الأخيرة التي ألقاها على بلاد ضاعت ليحتفظ بهذا المشهد الأخير حياً في ذاكرته أملاً في نقله بأمانة إلى الأجيال اللاحقة المدعوة لمواصلة الكفاح من أجل العودة والتحرير، وأثرت الأحداث والمكان على نوع الشخصيات ليتحول بعضها من شخصية ثابتة مسطحة إلى شخصية نامية متطورة في حين تناولت الرواية الشخصية حسب طبيعة دورها وعلاقتها بل المشكلات الفنية الأخرى ومدى قدرتها على التأثير بها والتأثير فيها،

مما أدى إلى نشوء تصور جديد لمفهوم البطولة داخل العمل الروائي وغياب المفهوم التقليدي للبطولة التي تقوم بها شخصية مركزية [1] .

وبعد الاطلاع على هذه الدراسة ، استفاد الباحث من منهجيتها في توزيع الفصول.

5- رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة (أحلام محمد سليمان بشارات)، بعنوان (البطل في الرواية الفلسطينية في فلسطين من عام 1993 – 2002) – كلية الدراسات العليا – في جامعة النجاح الوطنية – كلية الآداب – قسم اللغة العربية – عام 2005 م، وتأتي هذه الدراسة بهدف تقديم تصور وافٍ عن صورة البطل في الرواية الفلسطينية في فلسطين وفي الضفة الغربية وقطاع غزة والأرض المحتلة عام 1948 ، وذلك في المرحلة الممتدة من عام 1993 إلى عام 2002 ، وهي المرحلة التي شكلت منعطفاً ظاهراً في حياة الفلسطينيين وقضيتهم، بوصفها مرحلة سلام، ما يعني أن هذه الدراسة ترصد صورة المجتمع الفلسطيني بأفراده ومبدعيه، وكيفية معايشتهم لها وردود أفعالهم على تأثيراتها، ومدى استجابتهم لمتغيراتها، وكان المنهج الوصفي هو المعتمد في وصف نماذج البطولة في الروايات المختارة، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تتوزع مادتها في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، في التمهيد وجد المسار التاريخي للبطل في الأشكال الأدبية (سير وملاحم)، وفي المذاهب الأدبية من (كلاسيكية ورومانسية وواقعية)، وتناول الفصل الأول بطل المرحلة، وهو (البطل العائد والمفاوض والسلبي)، وفي الفصل الثاني جاء بعنوان بطل الاتجاه السياسي (الإسلامي والمتحول في فكره السياسي واللامنتمي فكرياً)، وفي الفصل الثالث جاء بعنوان (البطل اللاتاريخي)، وهو (الشعبي – والمرأة – والمقاوم)، والفصل الرابع جاء بعنوان: (البطل المكان)، حيث شغل المكان الدور الرئيس فيها، ما جعله يمثل دور الشخصية الرئيسة، والمكان هو الوطن والمنفى، وأما في الخاتمة عرضت الدراسة النتائج التي توصلت إليها الباحثة، ومن أهم نتائجها قد كان للمراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية دورها في بلورة الشخصية في النص الروائي وإن كانت تلك الشخصية قد اتخذت في الفترة السابقة على احتلال عام 1948 أبعاداً ذاتية رومانسية ابتعدت فيها عن التماهي مع الواقع فإن صورة الشخصية اللاجئة التي عانت التشرد

1) الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو 1992م (ماجستير غير منشورة)، حسين محمد الصليبي، الجامعة الإسلامية، غزة، 2008م.

بسبب احتلال عام 1948 قد أصبحت ذات حضور بارز بعد ذلك لا سيما في الروايات الصادرة في الشتات مثلما كان لتاريخ انطلاق المقاومة عام 1965 إسهامه في إبراز صورة المقاوم الفدائي وهي صورة اتخذت أبعاداً بطولية ترسخت بعد احتلال 1967 باتت أكثر واقعية في الفترة الممتدة من عام 1967- 1987 ، حيث طرحت وجوهاً حقيقية للشخصية الفلسطينية في طيبتها وخبثها وإقدامها وإحجامها في صورة البطل الفرد تارة والبطل الجماعة تارة أخرى، مع ملاحظة عدم غياب المرأة الفلسطينية عن ساحة الأحداث، ومن ثم مشاركتها الفاعلة فيها، واستفاد الباحث من منهجية الدراسة [1].

6- رسالة ماجستير تقدم بها الباحث (محمد أيوب)، بعنوان (الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967 – 1993) – جامعة النجاح الوطنية – كلية الآداب – قسم اللغة العربية – عام 1996 م، وقسمت الدراسة إلى: تمهيد وأربعة فصول، عرض في التمهيد الآراء المختلفة حول نشأة الرواية وتطورها عالمياً، ولمحة موجزة عن الرواية العربية وتطورها، ثم تناول الفصل الأول وفيه (الشخصية في علم النفس والأدب والنقد)، وصنفها إلى شخصيات خالقة مبدعة، مثل: شخصية الكاتب، وشخصيات مخلوقة متخيلة، مثل: السارد والمسرود له، وفي الفصل الثاني تناول (شخصية الفلسطيني المناضل والعميل والعامل والسجين)، ثم الفصل الثالث تناول فيه شخصية الآخر (اليهودي)، والفصل الرابع طبق فيه المفاهيم والمقاييس النقدية على الروايات (موضوع الدراسة)، ثم الخاتمة، والنتائج، والتوصيات؛ وقد استفاد الباحث من تقسيم الدراسة[2] .

---

1) البطل في الرواية الفلسطينية في فلسطين من عام 1993-2000، أحلام محمد سليمان بشارات، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، 2005م.

2) الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967- 1993، محمد أيوب، 1996م.

منهج الدراسة:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج المتكامل؛ لقدرته على استيعاب موضوع الروايات وشموليتها، ولاستخلاص النتائج، والخروج بالتوصيات.

المنهج المتكامل: يتيح للدارس أن يستخدم المناهج التي تلائم دراسته، كالمنهج السيميائي الأكثر ملاءمة في التعامل مع الخطاب السردي في الروايات، وغيره من المناهج.

وتتمثل آلية الدراسة في استقراء نص الرواية الكنفانية، ورصد شخصياتها، والعلاقة بينها.

ثانياً: حياة غسان كنفاني، وأعماله الأدبية.

حياته:

صحفي وقاص وروائي فلسطيني، ولد غسان كنفاني بفلسطين في مدينة عكا عام 1936م، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة يافا، وبعد حرب 1948 وبسبب القمع الإسرائيلي انتقل إلى جنوب لبنان، ثم إلى مدينة دمشق بسوريا.

عمل والده محامياً في مدينة عكا، وبسبب الاحتلال توقف عن العمل، فأصبح غسان وإخوته يعملون لكي يعيلوا الأسرة ويكملوا تعليمهم، ولذلك نشأ غسان كنفاني على وعي بحقيقة القضية الوطنية الفلسطينية والأوضاع الاجتماعية الصعبة التي خلفها الاحتلال الصهيوني لفلسطين منذ صغره، " وتفتح وعيه على اغتراب مادي – مكاني، صدر عن رحيله عن وطنه وتنقله بين الأقطار العربية وعلى اغتراب معنوي – اجتماعي – نفسي، كان نتيجة طبيعية للغربة المكانية، والانفصال القسري عن الأرض، فعمل في سن مبكرة، وكان لتجربته التعليمية أثر في ازدياد وعيه لواقع المجتمع الفلسطيني الجديد في المخيمات، من خلال الأطفال، فقد كان يتحتم عليه أن يمارس عمله وفق أنظمة لم تكن تراعي خلفية منفذيها، وتعليمات لا علاقة للمتلقين ببنودها، وقد عبر إذ ذاك عن إحساسه بالغربة بقوله: وذات يوم كنت أحاول تعليم الأولاد أن يرسموا تفاحة وموزة تمشياً مع البرنامج الذي أقرته الحكومة السورية، إذ كنت أمارس التعليم هناك، وكان عليّ أن أتقيد بالكتاب، وفي تلك اللحظة عندما كنت أحاول أن أرسم هذين على اللوح

بأكمل وجه ممكن، انتابني شعور بالغربة والغرابة وعدم الانتماء " [1] ، فمهما كان الإنسان سعيداً في غربته لا يمكن تعويض حنان الوطن.

وبسبب الاحتلال والنزوح من الديار" عرفت هذه الأسرة جواً متميزاً مليئاً بالنضال، مما انعكس على شخصية غسان كنفاني، ومن هذا الجو نهل الحماس والروح الوطنية المغامرة، التي كان همها الأول والأساسي هو الوطن، وما يدور بداخله من محن ومآسي، وما يحاك ضده من مؤامرات" [2] ، فالاحتلال وما ارتكبه من قتل وتشريد كان سبباً في إشعال الثورة والنضال عند الفلسطيني.

عمل غسان معلماً بمدارس وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين في دمشق، ثم انتقل إلى الكويت في عام 1956م، وعمل معلماً في مدارسها، بالإضافة إلى الصحافة.

يقول غسان عن حياته: " غادرت فلسطين عندما كنت في الحادية عشرة من العمر، وكنت أنتمي إلى عائلة من الطبقة الوسطى، وكان والدي محامياً، وكنت أدرس في مدرسة فرنسية تبشيرية، وفجأة انهارت هذه العائلة المتوسطة، وأصبحنا لاجئين، فتوقف والدي فوراً عن العمل بسبب جذوره الطبقية المتأصلة، أما نحن فقد باشرنا بالعمل كصبية ومراهقين كي نعول العائلة، وقد استطعت أن أتابع تحصيلي العلمي بنفسي، من خلال عملي معلماً في إحدى المدارس الابتدائية في القرية، وكانت تلك بداية منطقية ساعدتني على متابعة المرحلة الثانوية، التي أنهيتها في تلك الأثناء، وبعد ذلك انتميت إلى جامعة دمشق قسم الأدب العربي لمدة ثلاث سنوات، فصلت بعدها لأسباب سياسية، عندها سافرت إلى الكويت، حيث مكثت طوال ست سنوات، وقد باشرت القراءة والتأليف هناك " [3] .

ارتحل غسان إلى بيروت عام 1960م، وعمل محرراً أدبياً لجريدة الحرية الأسبوعية، وفي عام 1963م أصبح رئيس تحرير جريدة المحور، وفي عام 1969م قام بتأسيس صحيفة الهدف

---

1) الحس الاغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، مريم جبر فريحات، مجلة جامعة دمشق، العدد الثالث والرابع، 2010م، ص293.

2) البنية السردية في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني، سمراء قفي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، (ماجستير غير منشورة)، الجزائر، 2014، ص5.

3) الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960م، كامل السوافيري، 1986م، ص381.

الأسبوعية، وبقي رئيس تحريرها حتى اغتالته المخابرات الإسرائيلية أمام بيته في الحازمية ضاحية بيروت الشرقية، واستشهاده مع ابنة شقيقته لميس حسين نجم في 8 يوليو 1972م.

ويأتي استشهاد الأديب غسان كنفاني " بعد فشل عدوان إسرائيلي وحشي على جنوب لبنان، في تصفية الوجود الفلسطيني الثوري، تصفية جذرية، فلجأت إسرائيل إلى أسلوب الإرهاب الفردي الدموي، ضد عناصر حيادية، واختير أن يكون غسان كنفاني أول هدف في عمليات الإرهاب الصهيونية الجديدة، لعدة أسباب، منها: عضويته القيادية للجبهة الشعبية، فهو المتحدث الرسمي باسمها، ورئيس تحرير مجلة (الهدف) التقدمية، الصائغ للبيان التاريخي عن عملية مطار اللد، وهو إلى هذا عنصر فعال لربط الثورة الفلسطينية بحركات التحرر العالمية، ونموذج للمثقف الثوري " [1] .

فكان هدفاً للاحتلال الاسرائيلي، " اغتالته العصابات الصهيونية، وهو في أوج عطائه مع ابنة أخته لميس، بعبوة ناسفة، وضعت في سيارته، وترك وراءه زوجته الدنماركية، والتي انضمت إلى قافلة المناضلين من أجل فلسطين، وطفلين هما: فايز وليلى " [2] ، اغتاله الصهاينة من أجل القضاء على المفكرين الفلسطينيين، وقتل الثورة في صدرهم.

لذلك عندما نروي سيرة الأديب غسان كنفاني " إنما نروي سيرة جيل بأكمله ومعاناته، إلا أن غسان يتميز عن غيره بكونه مبدعاً، نذر نفسه وفنه في سبيل قضيته، إن قراءة غسان كنفاني قراءتان: قراءة لنصوصه، وقراءة لحياته، في الأولى تجول في عوالم المخيلة والرؤى، والذات ومواجعها، والناس وحرائقهم الأبدية، وفي الثانية نمسك بيد التاريخ من طفولة غسان حتى استشهاده " [3] ، فغسان كنفاني ولد زمن الانتداب، وشهد سقوط فلسطين بأكملها في قبضة الاحتلال، فدافع عن القضية بكتاباته ومواقفه حتى استشهاده.

---

1) غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحية عودة زعرب، ط1،2006م، ص16.
2) الموسوعة الفلسطينية، أحمد المرعشلي ولآخرون،المجلد الثالث، ط1، 1984م، ص404.
3) دراسة في رواية " ما تبقى لكم" لغسان كنفاني، سعيدة ميرحق جولنكرودي وفاطمة علي نزادجمازكي، العدد السادس، إيران، 1389هـ، ص151.

مؤلفات غسان كنفاني:

أبدع غسان كنفاني في كتاباته، فكانت له: الدراسات والروايات والقصص، التي حصد من ورائها العديد من الجوائز، والتي عرفت عالمياً.

فغسان كنفاني شخصية فلسطينية، " روائي وكاتب مسرحي وقاص وباحث وكاتب مقالة سياسية متميز، تنبجس ذكريات كنفاني الحية عن طفولته من حرب 1948 التي قادت إلى طرد الفلسطينيين من بلادهم وإجلائهم، وهو يستمد معظم المادة الروائية والقصصية لديه من ذكرياته تلك ... كان كاتباً ملتزماً، وتمتعت كتابته بشعبية عالية بين قرائه، كما اتصفت هذه الكتابة بالأصالة والأسلوب المميز، فرواية رجال في الشمس حولت إلى فلم أكثر من مرة، وترجمت إلى العديد من اللغات ... رواية (ماتبقى لكم) تعد من بين أبكر التجارب الحداثية في الرواية العربية، وأكثرها نجاحاً، وتدور حول مأساة الفلسطينيين " [1] .

استمر المبدع غسان كنفاني في كتابته، " ولم يتوقف كنفاني عن الكتابة لحظة واحدة حتى بعد أن تغيرت مجريات حياته بعد الزواج، ولذلك نجده يحاول بشتى الطرق إيصال القضية الفلسطينية إلى العالم أجمع، فكان يحارب على عدة جبهات، جبهة المعارضين وجبهة المرض الذي ألم به، فبعد أن تضاعف مرض السكري واستفحل ظهرت عليه أعراض مرض النقرس، الذي يؤدي بصاحبه إلى الرقود، غير أنه لم يستسلم لمرضه، فزاد نشاطه الإعلامي وقدرته على العمل " [2] .

من هنا كانت القضية وفلسطين والكفاح من أجل تحريرها هاجس غسان كنفاني، منذ صغره، " وقد انعكس هذا في بداياته الكتابية ولا سيما القصصية، كان يكتب ويدقق ويشرف على مسابقات النادي الثقافي القومي الأدبية، أصيب بمرض السكري، فكتب يقول: في الثانية عشرة من عمري عندما بدأت أتحسس معنى الحياة قذفتني الحياة لاجئاً مشرداً خارج وطني، والآن عندما أخذت أتحسس طريقي يأتي السيد (مرض السكري)، ويريد بكل بساطة، بكل وقاحة

---

1) موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، سلمى الخضراء الجيوسي، ط1، بيروت، 1997م، ص179.
2) استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، أحمد هاشم السامرائي، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، الجزء الرابع، العراق، 2018م، ص236.

أن يقتلني، هل عليّ أن أسلِّم مع سارتر، وأقول: الإنسان عاطفة غير مجدية، متى؟ الآن، عندما بدأت أقتنع بأن من الممكن أن تكون الحياة مجدية " [1] .

ألف غسان مجموعة من القصص: موت سرير رقم 12 (1961)، وأرض البرتقال الحزين (1962)، وعالم ليس لنا (1965)، وعن الرجال والبنادق (1968)، وأما الروايات فهي: رجال في الشمس (1963)، وما تبقى لكم (1966)، وأم سعد (1969)، وعائد إلى حيفا (1969)، والعاشق (رواية غير كاملة)، والأعمى والأطرش (رواية غير كاملة)، وبرقوق نيسان (رواية غير كاملة)، ورواية الشيء الآخر أو من قتل ليلى الحايك، بالإضافة إلى المسرحيات، وهي: مسرحية الباب (1964)، ومسرحية جسر إلى الأبد (1965)، ومسرحية القبعة والنبي (1967)، وأما الدراسات فهي: دراسة أدب المقاومة في فلسطين المحتلة (1966)، ودراسة في الأدب الصهيوني (1967)، ودراسة المقاومة ومعضلاتها (1970).

وظهرت آثاره في عدة مجلدات على النحو التالي، " الأول: ويشمل الروايات، تقديم د.إحسان عباس، 1972، والثاني: ويشمل المجموعات القصصية القصيرة، تقديم يوسف إدريس، 1973، والثالث: ويشمل المسرحيات، وقدم لها جبرا إبراهيم جبرا، 1978، والرابع: يشمل الدراسات الأدبية، تقديم محمود درويش، والخامس: يشمل قصص الأطفال، والسادس: يشمل مقالات وقصائد نشرت باسم (فارس فارس)، والسابع: يشمل الروايات التي لم تنشر، دار الطليعة، بيروت، والمجلد الثامن: يشمل الدراسات السياسية، دار الطليعة، بيروت " [2] .

الجوائز التي حصل عليها غسان كنفاني:

كان غسان كنفاني مبدعاً في كتاباته، فحصل على العديد من الجوائز في حياته وبعد استشهاده، حصل على جائزة القصة العربية عام 1962، وجائزة منظمة الصحفيين العالمية عام 1964م، ثم نال جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان لأفضل رواية، عن رواية (ما تبقى لكم) في عام 1966م، وفي عام 1975 نال جائزة اللوتس التي يقدمها اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا، ووسام القدس للثقافة والفنون عام 1990 من منظمة التحرير الفلسطينية.

1) الموسوعة الفلسطينية، أحمد المرعشلي وآخرون، المجلد الثالث، ط1، 1984م، ص403.
2) الكاشف معجم كتاب وأدباء فلسطين، نزيه أبو نضال عبد الفتاح القلقيلي، ط1، 2011م، ص368.

ومن الجدير بالذكر أن لغسان كنفاني مكانة مرموقة عند المثقفين، لذلك " يجمع النقاد العرب المعاصرون على أن غسان كنفاني أحد ثلاثة أسماء رئيسة في النثر الفلسطيني المعاصر، أما الآخران فهما المرحومان: جبرا إبراهيم جبرا، وسميرة عزام " [1] .

لذلك " أطلق اسمه على العديد من المواقع في الوطن وخارجه، مثل: نادي الشهيد غسان كنفاني في مخيم النيرب بسوريا، ومنتدي غسان كنفاني بسوريا، وجمعية غسان كنفاني التنموية في غزة " [2] .

ومن المؤكد " أن السيرة الشخصية للروائي هي من الروافد والمنابع الأساسية لتشكيل التجربة الفنية للمبدع، وقد تشكلت الاتجاهات الروحانية والوجدانية لديه، بمعنى أن المبدع يبنى أولاً من واقعه، ثم ينطلق منه ثانياً " [3] .

فالمبدع لسان حال بيئته، " وأن الأديب ابن مجتمعه يتأثر بما يتأثر به أفراد المجتمع من مؤثرات سياسية واقتصادية وفكرية، وينعكس على صفحة إبداعه ما يسود مجتمعه من عادات وتقاليد وعقائد ونظم ومبادئ وأفكار " [4] .

وإن دراسة النص الأدبي في ظل معرفة الأديب وسيرته والبيئة المحيطة به، تُعدّ عاملاً مهماً ومساعداً على تحليل شخصيات العمل الأدبي، وذلك من خلال معرفة الظروف التي حدثت فيها الرواية أو النص الأدبي الذي قدمه لنا المبدع أو الروائي أو الكاتب.

1) موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، أحمد عمر شاهين، الجزء الثاني، ط2، 2000م، ص543.
2) الكاشف معجم كتاب وأدباء فلسطين، نزيه أبو نضال عبد الفتاح القلقيلي، ط1، 2011م، ص366.
3) عين السارد قراءات في أعمال أحمد رفيق، علي الخواجة، ط1، 2005، ص13.
4) البحث الأدبي واللغوي طبيعته، مناهجه، إجراءاته، نبيل خالد أبو علي، 2016م، ص31.

الفصـل الأول

الشخصية وقضايا مضمون روايات غسان كنفاني

الفصل الأول

الشخصية وقضايا مضمون روايات غسان كنفاني

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الشخصية

المبحث الثاني: المضامين

المضمون الأول: طلب الاستقرار.

المضمون الثاني: الهجرة وانحراف البوصلة.

المضمون الثالث: المرأة.

المضمون الرابع: حق العودة.

المضمون الخامس: الثورة الفلسطينية.

المضمون السادس: الاحتلال.

المضمون السابع: المخيم والشهادة.

المضمون الثامن: الصمت.

الشخصية وقضايا مضمون روايات غسان كنفاني

تحتل الشخصية مكانة مهمة في العمل الروائي، فهي مرتكز الرواية، وأساس بنائها، الذي لا يمكن الاستغناء عنه، وهي وسيلة المبدع في التعبير عن رؤيته وفكره، فالشخصية عنصر مهم في الرواية، به تتحرك الأحداث وتتصاعد، فهي المهيمنة على الرواية، بتدبير وتنظيم الأحداث داخلها، وهي المختزنة لبذور الصراع والعواطف والأفكار للنص الروائي، والشخصية ذات طابع وظيفي، دورها صناعة الحدث، وهي مفتاح العمل الروائي، وصوت الأديب.

ولقد كانت معظم شخصيات غسان كنفاني شخصيات فاعلة، لذلك غلب على دراستي اختيار الشخصية الأبية الثائرة، لما لها من حقوق في روايات غسان كنفاني، وبجانبها وجدت عدة شخصيات سلبية، ولكن كانت نماذجها قليلة، منها: شخصية اليهودي وبعض الشخصيات الأخرى، كالرجال الثلاثة الذين لم يدقوا جدار الخزان.

المبحث الأول: مفهوم الشخصية:

في اللغة: في مختار الصحاح جاءت كلمة (الشَّخْص): " سواد الإنسان وغيره، تراه من بعيد، وجمعه في القلة (أَشْخُص) وفي الكثرة (شُخُوص) و(أَشْخاص)، و(شَخَص) بَصَرَهُ من باب خَضَع فهو (شاخصٌ) إذا فتح عينيه وجعل لا يَطْرِف، و(شَخَص) من بلد إلى بلد، أي ذهب " [1] .

نلاحظ في التعريف السابق أنه اقتصر على الشكل الجسماني، والمظهر الخارجي للشخصية، والملاحظ بالعين المجردة.

وفي لسان العرب (شخص)، " الشَّخْصُ: جماعةُ شَخْص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاصٌ، وشُخُوصٌ، وشِخاص، والشخصُ: سواد الإنسان وغيره، تراه من بعيد، تقول: ثلاثة أَشْخُصٍ، وكل شيء رأيت جُسمانه، فقد رأيت شخصه، وفي الحديث: لا شَخْصَ أغيرُ من الله؛ الشخص: كلُّ جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به: إثبات الذات، فاستُعير لها لفظُ الشخص، وقد

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص331.

جاء في رواية أخرى: لا شَيءَ أغيرُ من الله، وقيل: معناه لا ينبغي لشخصٍ أن يكون أغيرَ من الله، والشَّخيصُ: العظيم الشَّخْصِ، والأنثى شَخِيصةٌ، والاسم الشَّخاصةُ، قال ابن سيده: ولم أسمع له بفعل، فأقول: إن الشخاصة مصدر، وقد شَخُصْتُ شَخاصةً، أبو زيد: رجل شَخيص، إذا كان سيداً، وقيل: شَخِيصٌ، إذا كان ذا شَخْصٍ وخُلقٍ عظيم بين الشَّخاصةِ " [1] .

وهنا قصر الشخص على الشكل الظاهري أيضاً، كمختار الصحاح، حيث المشاهد بالعين، والمحسوس للناس.

وفي القاموس المحيط (الشخص): " سواد الإنسان وغيره، تراه من بعد، جمع: أشخص وشخوص، و(شخص) بمعنى ارتفع بصره، وفتح عينيه، وجُعل لا يطرف، ومن بلد إلى بلد ذهب، وسار في ارتفاع، والكلمة في الفم: ارتفعت نحو الحنك الأعلى، وربما كان ذلك خلقة أن يشخص بصوته، فلا يقدر على خفضه، و(شَخُصَ به) كمعنى: أتاه أمر أقلقه، وأزعجه، و(أشخصه): أزعجه، و(المتشاخص): المختلف والمتفاوت " [2] .

ولكن هنا يتضح لنا الاهتمام بتوظيف الكلمة حسب السياق، وبأماكن استخدامها.

وجاء في كتاب العين (شخص)، " (الشخص): سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكلُّ شيء رأيت جُسمانه أنا، وشَخَص الجُرح: وَرِمَ، وشَخِصَ ببصره إلى السماء: ارتفع، وشَخَصَتِ الكلمة في الفم: إذا لم يَقْدِر على خفض صَوْته بها، والشَّخيصُ: العظيمُ الشَّخْصِ، بيِّن الشَّخاصة، وأشخصتُ هذا على هذا، إذا أعليته عليه " [3] .

يتبين أن كتاب العين اهتم بالمعاني، والتوظيف حسب السياق، وتعمق في الشخصية، حيث التأثير، والعلو والتفضيل بين الأشخاص.

وفي المعجم الوسيط (شخص) الشيء: " ارتفع وبدا من بعيد، (أشخص) فلان، حان سيره، والرامي شخص سهمه، ويقال أشخص سهمه وبسهمه، (شخص) الشيء، عينه وميزه مما سواه،

---

1) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، المجلد السابع،ط1، 1997م، ص45.
2) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ط8، 2005م، ص317.
3) كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجزء الثاني، المحتوى د- ص، 2003م، ص314.

ويقال شخص الداء، وشخص المشكلة، (تشخص) الأمر: تعين وتميز، (الشخص): كل جسم له ارتفاع وظهور وغلب في الإنسان، وعند الفلاسفة الذات الواعية المستقلة في إرادتها، ومنه (الشخص الأخلاقي)، وهو من توافرت فيه صفات تؤهله للمشاركة العقلية والأخلاقية في مجتمع إنساني، والجمع: أشخاص وشخوص، (الشخصية): صفات تميز الشخص من غيره، ويقال: فلان ذو شخصية قوية، ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل " [1] .

وهنا يظهر الاهتمام بالبعد النفسي والسلوكي، حيث القدرة والفعل، والاستجابة والخبرة، والقدرة على التأثير، " وإن اشتقاق اللغة العربية يعني من وراء اصطناع تركيب: ش خ ص، وذلك كما نفهم نحن العربية على الأقل من ضمن ما يعنيه: التعبير عن قيمة حية عاقلة ناطقة، فكأن المعنى إظهار شيء، وإخراجه، وتمثيله، وعكس قيمته، ولا يعني أصل المعنى في اللغات الغربية إلا شيئاً من ذلك، إذ إن قولهم "personnage" إنما هو تمثيل، وإبراز، وعكس، وإظهار لطبيعة القيمة الحية العاقلة الماثلة في قولهم الآخر "personne" ، والشخصنة مصدر متعدد، يدل على تمثيل حالة، بنقلها من صورة إلى صورة أخرى، ذلك وإن كنا لاحظنا أن محسن جاسم الموسوي، ولويس عوض، ومصطفى التواتي، وشوقي ضيف، وفاطمة الزهراء سعيد، لا يميزون تمييزاً واضحاً بين الشخصية والشخص والبطل، فيعدونها شيئاً واحداً، وأيا كان الشأن فإن المصطلح الذي نستعمله نحن مقابلاً للمصطلح الغربي "personnage " هو "شخصية"، وذلك على أساس أن المنطق الدلالي للغة العربية الشائعة بين الناس يقتضي أن يكون الشخص هو الفرد المسجل في البلدية، والذي يولد فعلاً، ويموت حقاً " [2] .

من خلال التعريفات السابقة نلاحظ أن مادة: (ش خ ص)، تهتم بالشخصية، وحركتها، وانفعالاتها، وسلوكها، وإظهار قيمتها الحية.

---

1) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، الجزء الأول، 1972م، ص475.
2) في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد" ، عبد الملك مرتاض، 1998م، ص75.

في الاصطلاح:

ولقد عرفت الشخصية بعدة تعريفات، منها:

الشخصية: " هي عالم معقد، شديد التركيب، متباين التنوع، فتتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية، التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود " [1] .

من التعريف السابق يتضح الاهتمام بعمق الشخصية، وتعددها، حسب نظرة المبدع لها في كتاباته.

وتعرف الشخصية بأنها: " هي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري، الذي ترتكز عليه، وهي من المواضيع الأساسية في عالم الإنتاج الأدبي، وهي موضع اهتمام ونقطة تركيز تقليدية، ومتوارثة للنقد الأدبي " [2] .

يتبين قيمة الشخصية في عالم الإنتاج الأدبي، الرواية والقصة والمسرحية، ودورها الرئيس في العمل الأدبي، فلا يمكن التخلي عنها، فالرواية شخصية.

ويرى محمد التونجي أن الشخصية: " هي التي تحدد الإنسان جسمياً واجتماعياً ووجدانياً، وتظهره بمظهر متميز من الآخرين، والشخصية قبل أن تكتمل لا بد أن تمر بمراحل يتعرف بها صاحبها بذاته: الجسمية، والنفسية، والاجتماعية، وبذلك تتكون الشخصية التي تختلف من إنسان إلى إنسان، ومن مجتمع إلى مجتمع، ومع وجود تشابه ملحوظ بين بعض الشخصيات، إلا أن بعض الميزات لا بد أن تفرق بينها، وفي الأدب تبرز الشخصية بروزاً واضحاً، فإما أن نجد للأديب شخصية خاصة، بأسلوبها أو موضوعاتها أو بروحِها الإنتاجية، كجبران والمنفلوطي وقاسم أمين، وإما تكون مقلدة لا إبداع فيها، كالشعراء الذين قلدوا أبا نواس في شعر الخمرة، والذين قلدوا كعب بن زهير في الشعر الديني" [3] .

---

1) في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد" ، عبد الملك مرتاض، 1998م،ص73.
2) الشخصية في القصة، جميلة قيسمون، كلية الآداب واللغات، الجزائر، العدد (13)، 2000م، ص195.
3) المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، الجزء الثاني،ط2، 1999م، ص546- 547.

فالشخصية هنا شاملة لجميع الجوانب الإنسانية، الجسمية والانفعالية والاجتماعية، بالرغم من اختلافها من شخص إلى آخر، وحسب نظرة المبدع لها.

وأما فريال سماحة فتقول إن الشخصية:" هي أحد العناصر الرئيسة التي تتجسد بها فحوى القصة أو الرواية، وهي ركيزة الراوي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا، ومن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسة للرواية، ودون الشخصية لا وجود للرواية، ولهذا نجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم: الرواية شخصية " [1].

نجد هنا أن الشخصية فاعلة في الرواية، وركيزة الراوي في رواياته، تحرك له الأحداث حيث يشاء، فلا رواية دون شخصيات.

ويعتبر محمد نجم الشخصية بأنها:" هي العنصر الأهم في القصة، وبهذا تكون المحور الذي تدور حوله، وكل ما يحدث في القصة من أحداث لا بد من أن يمسها من قريب أو من بعيد، ويؤثر في تلوينها بألوان جديدة، ويلقي أضواء كاشفة على مكامن أسرارها، وأعماق أغوارها، وفي بعض الأحيان يؤخر الكاتب نقطة الانطلاق في القصة، فلا يدلي إلى القارئ بشيء عنها حتى تبرز الشخصية، وتحسر بيدها اللثام عن الحوادث، وتبدأ في تشقيقها الواحدة تلو الأخرى، وقد يلفت الكاتب النظر إلى إحدى شخصياته، حين يعمد إلى تحليلها بدقة، واصفاً أخلاقها وتصرفاتها، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويحصيها " [2] .

هنا نلاحظ دور الشخصية المميز في الرواية أو القصة، وأن كل ما يدور من أحداث داخل العمل الأدبي لا بد أن يمسها، ويؤثر في تفاعلها، والمتحكم فيها الروائي.

في حين يعرف حسن أبو ندى الشخصية بأنها:" هي التي يتقنع خلفها الكاتب، وتمتد على طول العمل الأدبي، ويحملها أفكاره، وقناعاته، ويعبر من خلالها عن تلك القناعات والأفكار، وتنطق بما يؤمن به الكاتب، وتدافع عن الفكرة، وتسوق كل ما يدلل عليها من حجج وبراهين، يمتد حظورها وتبقى ثابتة على مواقفها، لا تتغير، وغالباً ما تكون شخصية محورية في النص،

1) رسم الشخصية في روايات حنا مينة، فريال كامل محمد صالح سماحة، ط1، 1999م، ص17- 18.
2) فن القصة، محمد يوسف نجم، ط5، 1966م، ص21.

وما تحمله من أفكار يتفق إلى حد بعيد مع الهم العام، وينسجم مع القيم والمبادئ المنطقية، التي تلقى قبولاً وإجماعاً، أي أنها تتخذ طابعاً إنسانياً، وتشكل قاسماً مشتركاً بين بني البشر" [1].

ويرى مجدي وهبة، وكامل المهندس أن الشخصية:" هي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة، أو المسرحية، كشخصية ليلى الأَخْيَلِيَّة في رواية "مجنون ليلى" لأمير الشعراء أحمد شوقي (1932)، والشخصية الرئيسة في أي سرد قصصي، مسرحياً كان أم روائياً، قد يكون هو البطل أو غير البطل، مادام هو المحور الرئيس لأحداث السرد "[2].

و" كثيراً ما يخلط القارئ بين الشخص والشخصية في الكتابات القصصية، فيجزم، ويحكم على القاص، ويعتبره هو البطل في القصة، وذلك من خلال الأدوار التي يقدمها البطل عبر مراحل القصة المختلفة، ونحن كباحثين نريد الوقوف على هذه النقطة المفصلية؛ للتمييز بين الشخص الكاتب، والشخصية البطل؛ لإزالة اللثام عن الغموض الذي يحوم حول هذه الإشكالية، وأهم الدراسات التي أزالت الغموض واللبس عن هذين المصطلحين هي الدراسات السميائية، التي ميزت بين الشخص الذات المكون من لحم ودم، والشخصية الفاعلة التي تشكل حسب موقعها في الموقع القصصي، حسب الزمان والمكان، بمعنى التمييز بين الشخص كذات ثابتة عاملة، لها نظرة فوقية، تحرك الشخصية كفاعل ورقي عبر السطور ومجريات القصة " [3] .

والسميائيون يفرقون بين المصطلحين، الشخص الذات، الكاتب والروائي، والشخصية البطل، الفاعلة في الرواية حسب الزمان والمكان، والتي تجري معها أحداث الرواية.

وهذا يجعلنا نفرق بين النظرة التقليدية القديمة للشخص والشخصية، والتي تجزم، ولا تفرق بين القاص والبطل في الرواية، وبين النظرة المعاصرة التي تفرق بينهما.

وقد حظيت الشخصية باهتمام بالغ الأهمية، في عالم الإنتاج الأدبي من الكتاب المبدعين، وكذلك من علماء النفس والاجتماع، والعلوم الإنسانية، وما يهمنا نحن في هذا المقام الشخصية

---

1) القناع في مسرح سعد ونوس، حسن علي حسين أبو ندى، (ماجستير غير منشورة)، جامعة الأزهر، غزة، 2015م، ص59.

2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، 1984م، ص208.

3) الشخص والشخصية في القصة المغربية المعاصرة، محمد أيوب، 2010م، ص3.

في العمل الأدبي الروائي، فالشخصية تُعدّ العمود الفقري للرواية، ومحورها الذي تدور حوله، وتتجسد بها فحوى الرواية، " لذا ترتبط الشخوص الروائية –غالباً– بفكرة ما يريد الروائي عرضه، فيتخذ لذلك أدوات فنية تعبر عنها...، وإنه الأمر ذاته الذي يعبر عنه (ميلان كونديرا) حين يقول: إن أشخاص الرواية لا يولدون من جسد أم كما تولد الكائنات الحية"[1].

رسم الشخصيات:

لكل كاتب طريقته في رسم شخصيات روايته، ولقد تفاوت الروائيون في رسم الشخصيات، كل حسب موقفه من قضية الشكل باعتماد إحدى الطريقتين: الطريقة المباشرة، والطريقة غير المباشرة.

أ.الطريقة المباشرة: وهي " التي يصور الكاتب فيها أشخاصه من الخارج، ويحلل عواطفهم، ودوافعهم ، وإحساساتهم، وكثيراً ما يصدر أحكامه عليهم، لكن غسان كنفاني قلما يستخدم هذه الطريقة باستثناء الإشارة إلى العمر الزمني، أو وصف الملابس أحياناً؛ لغرض اجتماعي وفكري ليس إلا، فمثلاً في رواية (رجال في الشمس) ذكر أبا قيس أنه (العجوز)، وأسعد (الشاب)، ومروان في (السادسة عشرة من عمره)، وهذه تقنية تميز بها غسان كنفاني في بيان اختلاف رؤية الأجيال المتعاقبة للأمور الاجتماعية، والسياسية، ففي رواية (ما تبقى لكم) تقول خالة حامد: " زوجها يا حامد، زوجها إنها صبية، وأنا أعرف"، وكلمة صبية قد كشفت عن السر الدفين وراء "المعضلة النفسية لحامد ومريم"، وبهذا يمكننا أن نقول: إن محاولة غسان كنفاني في رسم شخصياته كانت منصبة على استبطان الشخصيات، والكشف الداخلي لنفسياتها من خلال الأحداث التي تصنعهم، ويصنعونها، بل من خلال الالتحام بين الأحداث والشخصيات"[2].

ومن الروائيين من اهتم برسم الشخصية " من الخارج مع عدم إغفالها من الداخل، كما اتجه بعض الروائيين إلى رسم الشخصية من الداخل مع عدم إغفال الملامح الخارجية إغفالاً تاماً،

---

1) تجربة الطاهر وطار الروائية بين الأيديولوجيا وجماليات الرواية، لينة عوض، 2004م، ص265.
2) غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحية عودة زعرب، ط1، 2006م، ص118-119.

ففي رواية "باسمة بين الدموع" مثلاً، حرص عبد السلام العجيلي على رسم الملامح الخارجية لشخصياته بغية إقناعنا بمطابقتها للواقع، كما يتضح من شخصية "سليمان عطا الله"، ذلك الشاب القروي الذي يتمتع بطلعة بهية، وصدر بارز، يعجب النساء، كما يتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة، حيث يمارس المحاماة في المدينة، ويكتب افتتاحية صحيفة الحزب، فقد أراد المؤلف أن ترتسم ملامحه الخارجية في ذهن القارئ، بالإضافة إلى مهنته، ومكانته الاجتماعية، فهو ليس محامياً ناجحاً، أو حزبياً بارزاً فحسب، بل إنه أيضاً يتمتع بقدر كبير من الجمال الجسدي، وأصر المؤلف على وصفه بأنه قروي، من قرى حلب، على الرغم من امتلاكه الأراضي التي يعمل بها الفلاحون " [1] .

أما رواية (عائد إلى حيفا)،" فنجدها ترصد الحركات الخارجية لشخصياتها، مثل: " أخذ الشاب الطويل القامة يخطو ببطء ثلاث خطوات نحو وسط الغرفة، وثلاث أخرى نحو الباب، ثم عودة نحو وسط الغرفة"، إن استعمال غسان كنفاني لهذه الطريقة يكشف لنا مدى التوتر، والقلق النفسي، الذي ينتاب الشخصية، بل ويبرز الملامح النفسية والاجتماعية في رواياته المتتابعة، رغم أن مظهر بعضها يعكس غير ذلك أحياناً " [2] .

ب.الطريقة غير المباشرة (التمثيلية): وهي الطريقة " التي يفسح الكاتب فيها المجال للشخصية نفسها لتعبر عن أفكارها وعواطفها واتجاهاتها وميولها، لتكشف لنا عن حقيقتها، وكثيراً ما يقف الروائي منها موقف الحياد، لنستمع مثلاً إلى البطل (صالح) في رواية (الشيء الآخر) وهو يقول: "مضيت صامتاً ذات يوم: إلى حيث قابلت زوجتي وأطفالي من وراء شباك حديدية ثقيلة، لقد قاومت أن أحكي كلمة لزوجتي أو أن أترك دموعي تسقط أمامها، وفقط حين أخذوني بعيداً عنها، أطلقت لعيني العنان " [3] .

وعلى الرغم من اهتمام الكاتب بالملامح الخارجية للشخصية، فإنه لم ينسى أن يقدم لنا بعض الملامح الداخلية لها، فقد رسم المؤلف لنا شخصية صالح في روايته؛ ليعرض علينا

1) تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (1870- 1967)، إبراهيم السعافين، 1980م، ص346.
2) غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحية عودة زعرب، ط1، 2006م، ص 119.
3) غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحية عودة زعرب، ط1، 2006م، ص119.

أزمته النفسية والمالية مع زوجته، كما حاول عن طريق السرد بضمير الغائب أن يعطينا تصوراً لما يدور في أعماقه.

و" إن رسم الشخصية في روايتي "رجال في الشمس" و"ما تبقى لكم" يقوم على استبطان الشخصيات، والكشف الداخلي لنفسياتها " [1] .

ومن الواضح أن غسان كنفاني استخدم هذه الطريقة؛ ليكشف لنا حقيقة الشخصية، وما يدور داخلها من أفكار وأحاسيس وعواطف وصراع، ومعظم الروائيين يميل إلى استخدام هذه الطريقة؛ للكشف عن نفسها، والتعبير عن أفكارها الداخلية.

أنواع الشخصيات:

يمكن تقسيم الشخصيات من حيث ارتباطها بالأحداث في الرواية إلى قسمين، هما:

أ.الشخصيات الرئيسة: كل عمل روائي يحتوي على شخصيات تقوم بأعمال رئيسة، وبجانبها شخصيات تقوم بأدوار ثانوية، فالشخصيات الرئيسة تقود الحدث وتدفعه إلى الأمام، تؤثر وتتأثربه، وتلعب دوراً محورياً وكبيراً.

ب.الشخصيات الثانوية: وهي شخصيات مساعدة ومساندة للشخصية الرئيسة، تظهر لنا الجوانب المشرقة للشخصية الرئيسة والمحورية والمركزية في العمل الأدبي، تدور في فلكها، وتكون تبعاً لها، وعامل كشف للشخصية الرئيسة، وتنطق باسمها.

فقد قدم لنا غسان كنفاني في روايته (رجال في الشمس) الشخصيات المحورية، وصاحبة الاهتمام، وهي: أسعد، ومروان، وأبو قيس، وأبو الخيزران، حيث اهتم بها، واعتنى برسمها من الخارج والداخل؛ ليخبرنا عن عمق مأساتها، وحال الوضع الفلسطيني، وأردفها بمجموعة من الشخصيات الثانوية، التي لا يمكن الاستغناء عنها في الرواية، فهي تكمل العمل والرؤية الخاصة بالرواية، مثل: الأستاذ سليم، معلم الصبية، وقيس، وأمه، فقد قدم غسان هذه الشخصيات الثانوية بشكل سريع، لأنها غير مأزومة كباقي الشخصيات المحورية.

---

1) حركة التجريب في الرواية الفلسطينية من الستينات حتى عام 1995م - دراسة أدبية، عدنان عبد عثمان الجواريش، ط1، 2003م، ص182.

وللشخصيات الثانوية دور مهم في صنع العقدة، وتصعيد الأحداث داخل الرواية، فدورها لا يقل أهمية عن دور الشخصية المحورية الرئيسة، فهي شخصيات متناثرة داخل الرواية؛ لمساعدة ومساندة الشخصية الرئيسة في أداء مهمتها، وإبراز الأحداث.

المبحث الثاني: المضامين

إن العمل الأدبي لا يكتمل فنياً إلا بوحدة المضمون والشكل، ولا يمكن الفصل بينهما إلا من أجل الدراسة فقط، وعند الحكم على جودة النص الأدبي عند النقاد ينظر إلى مدى الانسجام والتوافق والتناسق بينهما، فالفكرة الجيدة مطلوبة في العمل الأدبي، ولكنها تحتاج إلى الأسلوب المناسب في الأهمية والجودة؛ لضمان جودة العمل الأدبي.

وفي كيفية التفاعل الإيجابي بين المضمون والشكل في الرواية تقول منى ميخائيل:" إن الشكل والمضمون في الخطاب يعدان شيئاً واحداً بمجرد أن نفهم أن الخطاب اللغوي هو ظاهرة اجتماعية في كل جوانبها مجتمعة، وفي كل من عناصرها وعواملها على حدة، من الصورة الصوتية إلى أعلى مراتب المعنى المجرد " [1] .

ولقد التزم الروائي الفلسطيني بقضيته الفلسطينية، وأدرجها في رواياته ملتزماً بتقنيات الرواية، من حيث الارتباط الكامل بالمضمون والشكل، والحرص على الجودة في النص الأدبي، وبخاصة الرواية؛ لأهميتها، وقدرتها على التأثير والتغيير في القارئ، في زمن المتناقضات والأحداث المتصاعدة في المنطقة، والأزمة التي وقع فيها الفلسطينيون من وراء الاحتلال الصهيوني، وسيطرته على الأرض الفلسطينية، حيث التشرد والضياع والشتات الذي حكم به على أبناء الوطن، فوقف الروائي الفلسطيني بجانب قضيته وعدالتها، وحاول بكل ما يملك من قدرات، فهم وتفسير ما حدث في هذه المرحلة؛ للخلاص من مخاطرها وآثارها ما استطاع، من خلال عرض مجموعة من القضايا المختلفة المتعلقة بحياته، وقد تضمنت عدة قضايا كان أهمها:

---

1) الرجل والبحر جوانب من التناص في رواية إدوار الخراط " ترابها زعفران"، منى ميخائيل، مجلة فصول، المجلد (15)، العدد الرابع، 1997م، ص26.

المضمون الأول: طلب الاستقرار (رواية رجال في الشمس 1963).

يُعدّ غسان كنفاني من أبرز من قدم نماذج بشرية في رواياته، عكست لنا مسيرة نضالية وسياسية للقضية الفلسطينية بمراحلها المختلفة، بدءاً بالحرب والشتات، وانتهاء بالثورة والنضال من أجل الحرية. فرواية "رجال في الشمس" تطرح أبشع صور الاستغلال بين الناس، وتنتهي بمأساة، وهي موت الرجال، وهم يسعون بحثاً عن الرزق ولقمة العيش، وضرورة دق جدران الخزان؛ لإطلاق عملية التحرر والعدالة والتقدم.

الرواية تعرض لنا تجربة رجال ثلاثة، يجمعهم هدف واحد، هو جمع المال،؛ طلباً للاستقرار، وتغيير الوضع التعيس لهم، مما دفعهم لحمل همومهم، والسير في رحلة الموت المنتظر، والتي لا تقل عن الرحلة في لهيب الصحراء، ويتضح ذلك من الألم الذي جمع بينهم، ودفعهم لارتكاب الخطأ بسبب الظروف القاسية والخارجة عن إرادتهم بفعل الاحتلال، وما ارتكبه من مجازر بحقهم.

كان غسان كنفاني في روايته ملتزماً بالواقعية، إلى درجة يتعذر فيها الفصل بين الواقع الحضاري والواقع الفني، وكان يستخدم فيها المفارقات والمقارنات والصور؛ لتكون نصاً جديداً، وهو الواقع الذي يراه الكاتب، ويريده، وليس الواقع الحرفي المباشر للعيان من أول مرة، فالرواية لا تخلو من الرمزية.

هذه الرمزية يتحدث عنها إحسان عباس بقوله:" ذات يوم لقيني غسان في شارع أرتوا برأس بيروت، على أثر صدور قصته (رجال في الشمس)، وبعد التحية قال لي: هل قرأت القصة؟ قلت أجل يا غسان، الحق إنها قصة آسرة متوحشة، تنشب أظافرها في القارئ، بحيث لا تدع له منها فكاكاً، ويخرج منها في النهاية، وسؤال خائف مفزع يعتصر وجدانه كله:" لماذا تم ذلك كذلك؟ (أي مصير هذا؟!) تماماً مثلما أن أبا الخيزران يصيح في نهايتها، لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟؛ ولكن قلت وقد توقفنا قليلاً عن السير: إن كنت أردتها ذات بعد رمزي، فما أظنها استطاعت أن تحقق ذلك، فنظر إليّ في شيء من التردد الذي لا يكاد يلوح حتى تمحوه الثقة النفسية، وقال: إن صح قولك، وكانت قد عجزت عن نقل هذه الناحية (أي البعد الرمزي) فإني

أعدّ نفسي مخفقاً، إذن كان غسان حين أنشأ قصة "رجال في الشمس" على وعي تام بأنه يريدها ذات بعد رمزي " [1] .

يبدأ الكاتب غسان كنفاني روايته برجل عجوز اسمه (أبو قيس) خرج من أجل أبنائه؛ لبناء بيت على قطعة صغيرة من الأرض تضمن لهم العيش الكريم، فقرر اقتحام جحيم الصحراء، إنه أبو قيس.

وعندما يقوم أبو قيس بوضع صدره فوق التراب الندي، تخفق الأرض من تحته، لتعبر هذه الضربات إلى قلبه فيشعر بها، ويتذكر جاره الذي كان يشاطره الحقل، حين ذكره بالأرض التي أجبر على تركها منذ عشر سنوات، فأجابه:" هذا صوت قلبك أنت تسمعه حين تلصق صدرك بالأرض"[2] ، ليبين لنا الكاتب حب الفلسطيني لأرضه ووطنه، والتمسك بها.

وكلما تنفس أبو قيس رائحة الأرض يخيل إليه أنه يتنسم شعر زوجته حين تخرج من الحمام وقد اغتسلت بالماء البارد، ثم يدور بجسده ويستلقي على ظهره حاضناً رأسه بكفيه، يتطلع إلى السماء، فيشعر بالغربة مثل طائر غريب يحلق في السماء عالياً، لتركه قريته التي هجر منها من المحتل.

ومن وسط المعاناة والفقر يشعر أبو قيس بالغربة، فيتذكر صديقه سعد الذي عمل سائقاً في الكويت، وعاد بأكياس من النقود، وهو يجلس في بيت حقير لرجل كريم، حتى جاء سعد وهزه مثلما يهز الحليب ليصير زبداً؛ ليذهب للكويت عبر الصحراء، فقالت زوجته:" لقد مرت عشر سنوات وأنت تعيش كالشحاذ .. حرام! ابنك قيس متى سيعود إلى المدرسة؟ وغداً سيكبر الآخر، كيف سننظر إليه وأنت لم..." [3] ، فبالعمل تستقر الأمور.

وبالرغم من تقدم السن، يقرر أبو قيس السفر إلى الكويت، فيذهب إلى الرجل السمين الذي يعمل في تهريب الناس من البصرة إلى الكويت، فقال الرجل السمين صاحب المكتب:" إنها

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص15- 16.
2) السابق: 37.
3) السابق: 47.

رحلة صعبة، أقول لك، ستكلفك خمسة عشر ديناراً " [1]، والصعوبة في الحر الشديد عبر الصحراء، ونقاط العبور.

ولكن الحاجة تجبر أبا قيس الرجل العجوز الفلسطيني الفلاح، من يعشق شجر الزيتون، أن يستجيب لنصيحة صديقه، ويتخذ قراراً يشك في صحته، وهو السفر إلى الكويت عبر الصحراء، رغبة في تحسين وضعه، وتعليم ابنه قيس، وشراء بعض أشجار الزيتون لزراعتها، وبناء بيت من الإسمنت، إنه لا يرى سوى همومه العائلية.

ثم يوضح الكاتب رغبة أسعد في التوجه إلى الكويت أملاً في الحياة السعيدة المستقرة، بالرغم من كل التحديات، فيقف أسعد أمام الرجل السمين الذي يهرب الناس من البصرة إلى الكويت؛ ليتفق معه على الثمن، حيث كان خمسة عشر ديناراً،" أعني أنه إذا لم تعجبك شروطنا فبوسعك أن تستدير، وستجد نفسك على الطريق" [2] ، هذا ما سمعه من أبي العبد الذي غدر به أثناء تهريبه من الأردن إلى العراق، بعد أن أخذ منه عشرين ديناراً، والتي استدانها من عمه الذي أقرضه خمسين ديناراً أملاً في تزويجه ابنته ندى، وهكذا يكرر الرجل السمين معه نفسها.

وهنا يبين غسان كنفاني الإهانة التي أحس بها أسعد، ورغبته في إعادة الأموال إلى عمه؛ لعدم رغبته في الزواج من ندى، ولكن الحاجة وطلب الاستقرار أحوجته إلى عمه.

فغسان كنفاني يبين لنا حقيقة أسعد، وهو شاب يسعى لتحقيق رغباته، يريد الاستقرار، وإسعاد عمه، الذي أدانه خمسين ديناراً، ليهاجر إلى الكويت بحثاً عن الرزق، وتحقيق أهدافه، وهو مرتبط بوعد قطعه غيره، وقرر له به مستقبل حياته.

كما ويبين غسان كنفاني شخصية مروان، وخروجه من دكان الرجل السمين الذي يتولى تهريب الناس من البصرة إلى الكويت، طلب منه خمسة عشر ديناراً، لم يكن معه المبلغ، وبعد حوار ضرب الرجل السمين مروان على خده، وقال له:" اذهب وقل للقواويد إنني ضربتك ..

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 49.
2) السابق: 53.

تشكوني للشرطة؟ " [1] ، فمروان طفل صغير، لا يعرف كيف تسير الحياة، خبرته قليلة، ترك دراسته من أجل العمل، والإنفاق على أمه وإخوته.

فغسان أراد أن يوصل من خلال روايته رسالة للمثقف القارئ أن من يريد التهريب يجب أن يكون قوي الشخصية، وأكبر من رجل، وإلا ضحك عليه المهرب، وخدعه وجعل منه ألعوبة، وما سمن الرجل السمين إلا كثرة الأموال التي أخذها من المساكين بحثاً عن لقمة العيش خارج الوطن.

والأماكن تجمع الرجال، فيتعرف مروان على أبي الخيزران، عند باب دكان الرجل السمين، إنه " رجل طويل القامة جداً، نحيل جداً " [2] ، تعرف عليه بالصدفة؛ لتكتمل رحلة الموت، يوافق على تهريب مروان مقابل خمسة دنانير فقط، وبشرط مساعدة أبي الخيزران في جلب عدد آخر من المسافرين.

ويستمر غسان كنفاني في روايته، يبين لنا تحكم الهوى في النفس البشرية، فكتب مروان لأمه رسالة " يصف أباه بأنه مجرد كلب منحط " [3] ؛ لأنه ترك أربعة أطفال، وطلق أمهم؛ ليتزوج امرأة شوهاء بعد أن انقطعت أخبار ابنه زكريا في الكويت، إنها غنية، يمكن أن تستر شيخوخته في الكبر، وهذا ما يفكر به بعض العاجزين عن العمل.

ويوضح كنفاني قاعدة أن من يترك فلسطين يترك كل شيء، " إن زكريا لن يفهم قط معنى أن يتعلم الإنسان لأنه ترك المدرسة حيت ترك فلسطين وغاص، منذ ذاك في المقلاة " [4] ، فترك زكريا العائلة الفقيرة، وتزوج في الكويت، وترك مروان ينفق عليها، فودع مروان أباه وزوجته شفيقة، ومعه عشرة دنانير تنفعه في الغربة.

فمروان شاب من أسرة مزقها الفقر، والده طلق أمه، وتزوج من غيرها، بحثاً عن المال والاستقرار، وأخوه زكريا الذي كان يرسل لهم الأموال، تزوج وامتنع عن دعم العائلة المحتاجة،

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص73.

2) السابق: 75.
3) السابق: 76.
4) السابق: 85..

فقرر مروان البحث عن البديل، والسفر إلى الكويت مضحياً بتعليمه، ومخاطراً بنفسه من أجل إعالة أمه وأشقائه الصغار، دون أن يستطيع أن يكره أباه، بعد زواجه من امرأة ثانية مقطوعة الرجل، في الحقيقة كان الزواج من بيت فيه ثلاث غرف.

ومن أجل الاستقرار يخدم أبو الخيزران في الجيش البريطاني في فلسطين قبل عام 1948م، ثم ينضم إلى فرق المجاهدين في الطيرة، " ليقود مصفحة عتيقة كان رجال القرية قد استولوا عليها إثر هجوم يهودي " [1] ، ثم عمل عند الحاج رضا في الكويت سائقاً، يقوم بمهمته على أكمل وجه، ويستغلها في التهريب.

فأبو الخيزران مهرب، وسائق الصهريج، يسعى في الأرض؛ ليوفر الاستقرار لنفسه، يتحول إلى جرذ من جرذان الصحراء، هدفه جمع الأموال من أجل أن يعيش مطمئناً في حياته، ويعوض النقص لديه، وهو المحرك لكل الشخصيات في الرواية، والعامل المؤثر فيها، وشخصية أبي الخيزران تحمل المتناقضات، يقول أبو الخيزران عن نفسه: " أترى هذا المخلوق الحقير الذي هو أنا؟ إنني أمتلك بعض المال! وبعد عامين سأترك كل شيء وأستقر، أريد أن أستريح.. أتمدد.. أستلقي في الظل وأفكر أو لا أفكر... لقد تعبت في حياتي بشكل أكثر من كاف! إي والله " [2] ، كما ويحمل المشاعر الإنسانية، فيقول: " سوف أقيم لكم حفلة غداء رائعة حين نصل.. سأذبح دجاجتين.. " [3] ، إنها النفس البشرية التي تسعى لتستريح في الظل، بعد أن تجمع مبلغاً من المال، فالظل أمنية أو غاية يبحث عنها الأجيال الثلاثة مثله، وهي طلب الاستقرار، حتى عندما تساءل: لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟ كان يبحث عن راحة الضمير، وإلقاء اللوم على الرجال الثلاثة، ويبرر نفسه من التهمة، وهي المشاركة في القتل.

لقد اختار غسان كنفاني أبا الخيزران شخصاً فقد قدرته الجنسية بعد إصابته في أحداث حرب 1948م؛ ليبين لنا العجز الذي أصيبت به القيادة، وعدم القدرة على ترتيب الصفوف، وتوجيه البوصلة إلى الوجهة المنشودة لتحرير الشعب والأرض، بالرغم من ادعائها أنها قادرة على القيادة، والتوجيه، والإنقاذ، والتحرير، والاستقلال، وطرد المحتل من الديار.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص94.
2) السابق: 114.
3) السابق: 133.

إن الدقة في تصوير أبي الخيزران وهو ينتشل الجثث من الصهريج ليلقي بها عند أكوام القمامة، ووزنها وحالتها ما كان إلا ليجعل من هذه الشخصيات والأحداث واقعاً نلمسه ونحس به من شدة واقعيته،" كانت الجثة الأولى باردة صلبة ... أما الجثة الثالثة فقد كانت أسهل من أختها.. " [1] ، وهذه القصة منذ البداية تجعلنا نشعر بإحساس مخيف، كأنه يقيني، ولا بد أن يقع هو أو ما يشبهه بيننا، لأن الظروف واحدة، ومتاحة لهذا الأمر المأساوي المتوتر.

إن الشمس والظل أصعب أجزاء الرواية عند غسان كنفاني، فالقارئ لهذا الجزء يشعر بالمأساة التي حدثت للرجال الثلاثة من أجل لقمة العيش وطلب الاستقرار، فالاحتلال من جلب المتاعب والقهر للمنطقة.

ومن دقة التصوير عند غسان كنفاني يفصّل لنا ما يفعله الموظفون أثناء عملهم من ضياع للوقت، ففي مركز المطلاع يتسلى الموظفون بأبي الخيزران، ويتحدثون معه عن الراقصة كوكب الموجودة بالبصرة،" أية قصة؟ ... قصة تلك الراقصة .. ما اسمها يا علي؟ ... كوكب " [2] ، ولكن أبا الخيزران مستعجل ويفكر بمن داخل الخزان، وبعد الانتهاء من توقيع الأوراق وبسرعة يذهب إلى السيارة ويستجيب المحرك لأول ضغطة، وبعد المنعطف أوقف السيارة وتسلق فوق العجل إلى سطح الخزان، ووجد المأساة موت الرجال الثلاثة من شدة الحر وانعدام الهواء.

وهنا يظهر كنفاني مأساة الفلسطيني الباحث عن لقمة العيش، والهارب من الفقر، قد يعرض نفسه إلى الموت، وكأنه بلسان الحال يصور لنا من يركب قارب الموت ليهرب من الفقر والحصار إلى دول أوربا بحثاً عن لقمة العيش التي حرم منها في فلسطين.

ويقرر أبو الخيزران التخلص من الجثث، فينحرف بسيارته عن الطريق الأسفلت، ويمضي في طريق رملي إلى داخل الصحراء؛ لدفنهم واحداً واحداً في ثلاثة قبور، فكر كثيراً ثم قال في نفسه:" هنا تكوم البلدية القمامة، لو ألقيت الأجساد هنا لاكتشفت في الصباح، ولدفنت بإشراف الحكومة " [3] ، إنه التبرير النفسي، والتخفيف من الجرم المرتكب.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص148- 151.
2) السابق: 137.
3) السابق: ص148.

وفي نهاية القصة يضعنا الروائي كنفاني أمام حقيقة مؤلمة، لماذا الصمت والجبن؟ لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟ أجرى هذه الفكرة على لسان أبي الخيزران، فتدحرجت على لسانه:" لماذا لم يدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقولوا؟ لماذا؟، وأخذت الصحراء كلها ترد الصدى: لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟"[1]، إنها الحقيقة المؤلمة لمن يترك وطنه، ويهرب منه.

إن الذي جمع بين الأجيال الثلاثة رغم اختلاف السن والمشكلات، هو طلب الاستقرار، والتغلب على الجوع والفقر، فأصموا الأذن، وأقفلوا العيون حتى أنهم عندما سمعوا بأن الصحراء مليئة بالجرذان، وأن الكبير يقتات بالصغير، مر الكلام عليهم وكأنهم لم يسمعوه، لأن القيادة وحدتهم، والصهريج جمعهم، قيدوا بالأسر، وكانت أمنيتهم الاستقرار.

وحدت بينهم الأرض، والقبر الذي جمعهم، إنه المصير المشترك، هربوا من موت الفقر، وطلب الاستقرار إلى موت من يمارس الهرب مع الغفلة، فلن تنفعهم القيادة، وستجد لنفسها المبرر، هذه الأجيال المفكرة في الهرب من مواجهة الواقع، وعلى حالها لا يمكن أن يولد منها الجيل الثوري المدافع عن فلسطين؛ لأن هذه الأجيال وقعت في مصيدة الصهريج، وماتت داخل رحم الخزان، وعندما خرجت للضوء كانت فاقدة للرؤية، عاجزة عن النظر، إنها جثث مطروحة فوق الأرض، ينتزع من جيوبها النقود، والساعة، فالبطون الواسعة لم تملأ بعد .

والملاحظ لرواية (رجال في الشمس) يرى أنها تتخذ وجهتها صحراء خالية ليس فيها شجرة واحدة، وبالرغم من ذلك يشترك الرجال الثلاثة في الوجهة الخاطئة، فالجميع يسير في صهريج مظلم، بعد انغلاقه عليهم، فماذا ينفع الصراخ ولو حدث، لن يسمعه أحد، إنها الصحراء الخالية، لقد قبلوا الصعود إلى الصهريج الحديدي، وظنوا أن رمل الصحراء سيغنيهم عن الوطن، لقد استسلم الجميع، وخُنق بحبل الاستسلام وعدم التفكير، ماتوا دون أن يدقوا دقة احتجاج واحدة.

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص152.

المضمون الثاني: الهجرة وانحراف البوصلة (رواية ما تبقى لكم 1966).

رواية (ما تبقى لكم) تعبر عن حالة مر بها الشعب الفلسطيني، وهي الوعي السياسي، والنهوض الثوري، القادر على الانتصار بعد الهزيمة إن تم تعديل المسار، وأبطالها الخمسة: حامد، ومريم، وزكريا، والصحراء، والساعة، إنها تصور لنا الواقع الفلسطيني، ومحاولة الهرب من الحقيقة والواقع المرير، إنها تتحدث عن نفسها بدون تحليل، فالنفس الفلسطينية مكبلة بقيود الهزيمة، والسلبية القاتلة التي لابد من التخلي عنها؛ لتلد الإرادة حب التمسك بالأرض، ولا بأس إن كانت الولادة عسيرة وصعبة.

والمبدع غسان كنفاني في رواية (ما تبقى لكم) يبين أن شخصية حامد محاطة بأجواء الخيانة، خيانة أخته مريم وزوجها زكريا النتن، إنها المتناقضات، والصحراء خير معبر عنها، "رآها الآن لأول مرة مخلوقاً يتنفس على امتداد البصر، غامضاً ومريعاً وأنيقاً، في وقت واحد، يتقلَّب في تموّج الضوء الذي أخذ يرمدّ منسحباً خطوة خطوة أمام السماء السوداء من فوق "[1].

خرج حامد من بيته تاركاً أخته وزوجها، خرج من مدينته غزة إلى الصحراء، ثم الأردن باحثاً عن أمه المرتحلة هناك، عاشوا مع بعضهم " ستة عشر عاماً " [2]، غاب عن مدرسته، ثم غاب عن بيته، ذاهباً إلى قلب الظلام، إنه انحراف البوصلة، والهجرة إلى بلد آخر لعله يجد ما يريحه من الخيانة والعار الذي لحق به، كان من الأفضل مواجهته، وتعديل المسار، ولكنه فضل ترك المكان، والهجرة تاركاً الخيانة في وطنه، خرج يبحث عن أمه؛ ليشكو لها همومه وأحزانه، إنه الصغير الضعيف، المعتمد على غيره في مواجهة الصعاب.

تذكر حامد في طريقه الموقف الصعب الذي تعرض له، إنه يتدرج كالكرة في الليل، تذكر: "كرر ورائي: زوجتك أختي مريم– زوجتك أختي مريم– على صداق قدره– على صداق قدره–

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص161.

2) السابق: 162.

عشرة جنيهات– كله مؤجل– كله مؤجل، ثم أخذت العيون تأكل ظهره، وهو جالس أمام الشيخ، الذين كانوا هناك يعرفون أنه لم يزوجها، وإنها حامل " [1].

إنه الموقف الصعب الذي يتعرض له حامد ليس بالأمر الهين، يضطر لزواج أخته رغماً عن أنفه، الجميع يرى خيانتها، وحملها قبل الزواج، إنه الخزي والعار، يزوجها لزكريا النتن، الخائن، الذي لم يحفظ حقوق الجار، بمهر بخس، وبالرغم من ذلك كان مؤجلاً، ولكن الزواج كان معجلاً، إنها المتناقضات، وانحراف البوصلة إلى الخيانة والضياع.

يُسعد المرء بزواج أخته، وبصهره، ولكنه هنا ينعت بالكلب عند حامد، فزكريا عنده رمز للخيانة، ضحك على مريم في لحظة غفلة، وانتزع منها شرفها، ماذا سيفعل حامد في هذا الموقف الذي تقشعر منه الأبدان، إن ما حدث للقضية الفلسطينية هو خذلان العرب لها، عندما جيشوا الجيوش، ولكنها الخيانة التي أصابت حامد وأصابت القضية، يقول بلسان حامد في صهره:" إن الكلب الذي سيصبح صهره يجلس إلى جانبه، يضحك في أعماقه بصوت مسموع"[2]، قرر حامد الهجرة والهروب من الموقف، الهروب من مريم وزكريا،" لقد قررت أن أترك غزة، أين ستذهب؟ سأذهب إلى الأردن، عن طريق الصحراء، تهرب مني؟ لقد كنتِ كل شيء، وأنت ملطخة، وأنا مخدوع... لوكانت أمك هنا "[3]، وهنا يؤكد حامد على أهمية دور الأم في تربية الأبناء، لو كانت بيننا لماحدث ما حدث، إنه كرر (لو كانت أمك هنا) أكثر من مرة، ليؤكد الأمر بجدية، إنه الفراغ، الذي تركته الأم، فكان ما كان من ضياع، وانحراف عن الجادة، التساؤل الذي يطرح نفسه، أين التفكير والعقل في الأمور التي تقرر المصير، أين الحرام والحلال؟ ألا يمكننا التمييز بينهما، أين تفكير مريم في الحفاظ على شرفها؟، لا أم تربي، ولا أب يرعى، إنها ساعة الغفلة.

لقد كُره زكريا من الجميع، فهو كالكلب ينبح عندما يتحدث، لم يكترث من سفر حامد، عندما سمع به، وقال لزوجته: اتركيه، حامد يقول أشياء كثيرة، هذا هو زكريا الذي لوث شرف مريم في ربع ساعة مسروقة، حين زرع الطفل في رحمها، ووضع الطوق حول رقبة حامد، بقوله:" أنت

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص162.
2) السابق: 165.
3) السابق: 165.

حر، زوجنيها أو لا تفعل، فلست أنا الذي أخسر "[1]، نعم من وجهة نظره الخيانة وجهة نظر، إنها العمالة، ألم يعلم حكم الإسلام في أمره، الجلد إن كان لم يسبق له الزواج، والرجم حتى الموت إن كان ثيباً، نعم لن يخسر شيئاً، أخذ ما يريد، حكم الظالم على الضحية، إنه الانحراف عن الطبع السليم، والتقاليد المتبعة عن الفلسطيني.

كان زكريا ضئيلاً، كالقرد بشعاً، وكان بإمكان حامد أن يعتصره بين قبضتيه الكبيرتين، ولكنه العجز، أصبح صهره الآن، فقد تزوج مريم، والجنين يضرب في أحشائها، لم يقل له حامد كلمة (مبروك)، وتركه في البيت، وخرج، يريد أن يعبر الصحراء، لم يكترث زكريا به، ووقف خطيباً أمام مريم، يقول لها:" إن الصحراء تبتلع عشرة من أمثاله في ليلة واحدة، عليه أولاً أن يجتاز حدودنا، ثم عليه أن يجتاز حدودهم، ثم حدودهم، ثم حدود الأردن، وبين هذه الميتات الأربع توجد مئات من الميتات الأخرى في الصحراء.. ألستِ متأكدة من أنه يمزح مزاحاً سخيفاً؟"[2]، ليس الأمر بالهين بالنسبة لحامد، مسافات طويلة أمامه، وميتات متعددة تنتظره، لِمَ المخاطرة والمجازفة؟ إنه القرار الشخصي والفردي من حامد، وهذا في الواقع ما حدث مع الفلسطينيين بعد النكبة والنكسة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، الكثير قرر الهروب والهجرة بعد اغتصاب الأرض، قرروا الذهاب بدلاً من المواجهة، قرروا الهروب بدلاً من الثورة، تركوا المحتل مع الأرض يفعل ما يريد، كما فعل حامد الضعيف، ترك مريم مع الخائن زكريا.

كان حامد ينتظر ممن حوله توعيته، ورده عن قراره، كان ينتظر أن يسمع من أخته:" عد يا حامد! ... ولكنه لم يسمع إلا أصوات خطواته، وهي تخفق على السلم ... وساد الصمت "[(3)]، ومن هنا نلاحظ انتهكت القضية الفلسطينية كما انتهكت مريم، وضاعت الحقوق بين المبادرات والاجتماعات واللجان العربية والإسلامية، وساد الصمت، والجميع يرى تهويد القدس، وضياع الوطن.

ويقوم غسان كنفاني بتشخيص الصحراء، وأثناء السير يخاطبها حامد:" ليس بمقدوري أن أكرهكِ، ولكن هل أحبك؟ أنت تبتلعين عشرة رجال من أمثالي في ليلة واحدة، إنني أختار حبكِ،

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص167.
2) السابق: ص167.
3) السابق: ص168.

إنني مجبر على اختيار حبكِ، ليس ثمة من تبقى لي غيركِ " [1]، لم يتبق لمريم غير زكريا الخائن، الكلب النتن، ولم يتبقى لحامد غير الصحراء المليئة بالميتات، أي وضع يلف بهما، وإلى متى سيستمر هذا الأمر؟ متى سنمتلك الإرادة؟ ونوحد أنفسنا؟ إننا نبحث عن البوصلة والوجهة الصحيحة، وتعديل المسار.

قبل قرار الرحيل اشترى حامد ساعة حائط، وعلقها أمام السرير؛ لتدق،" تدق الخطوات المعدنية الباردة ... تدق، تدق، تدق " [2]، وتُركت مريم مع زكريا والساعة، وليس لها غيرهما بعد مغادرة حامد، ذهب حامد، وذهب الماضي، وبقي المستقبل، وبقي زكريا معها، لم يكتشف حامد تفاهة الموضوع بنفسه، والذي سمح له أن يتغلب على عقله، كل ما حدث كان سببه غياب الأم، كان وجودها الحل الأمثل، للجأ إليها الجميع، ولما حدثت الفرقة، مع صبي الخباز تركها حامد؛ طلباً للأردن، فكانت مريم تفكر فيه طويلاً، وليس أمامها إلا الانتظار، الساعة تدق، وقلبها يدق.

وبالرغم من الزواج، فلم تُسعد له مريم، وكانت تنظر إلى زكريا أثناء نومه، وعلى بعد شبر واحد منها، بعيد.. كالموت، فهو يذكرها بخيانته، وهو من فرق بين الأخوين، فهو كالموت بجانبها، وهذا رأي حامد منذ البداية، منذ المقابلة الأولى بينهم، إنه صديقك؟ كلا، إنه نتن، وبعد وضوح الأمر، واعتراف مريم بما حدث من زكريا معها، ورغبته بالزواج منها، تذكر حامد ما فعله زكريا مع الضابط عندما نادى على سالم، وقال:" إذا كنتم تصرون على إخفاء هذا الفتى إلى ذلك الحد فلتذهبوا جميعاً إلى الجحيم، نحن نعرف أنه واقف بينكم " [3]، فخرج زكريا، وقال: "أنا أدلكم على سالم"، مما دفع سالم للخروج من بين الصفوف، وتسليم نفسه للعدو، ثم أخذوه معهم، وبطلقة واحدة استشهد سالم على يد العمالة مجاناً.

ويظهر غسان كنفاني أن الموت لا يزال مسيطراً على رواية (ما تبقى لكم)، ولكنه موت من نوع جديد، فسالم يسلم نفسه بشجاعة،" أنا أدلكم على سالم، وقبل أن يفعل تقدم سالم من تلقاء

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م ، ص170.
2)السابق: 170.
3) السابق: 176.

نفسه " [1]، إنه حب الشهادة، وعدم الخوف من الموت، الهروب من الوطن هو الموت، وكل طريق بعيدة عن الوطن محفوفة بالموت.

كما ويبين غسان كنفاني بداية الخيانة من زكريا، حين استغل غياب حامد عن البيت، والذهاب ليأتي بالإعاشة أول الشهر، ليفعل فعلته مع أخته، ليكسر عينه، وهذا ما يلجأ إليه العملاء في تغطية جرائمهم، وإسقاط الآخرين من أبناء الوطن، بعد فوات الأوان، وضياع الحقوق، وحدوث ما حدث من فاحشة في بيت حامد، يغادر زكريا المكان، ومن الأفضل أن يترك المكان؛ لتدق ساعة مريم ثماني دقات كأنها تقرع الباب؛ لتستيقظ مريم بعد فعلتها الشنيعة، ثم تعترف باستهتارها،" حامد سيذبحني لو عرف، وأعتقد أني حامل ... أنت أرض خصبة أيتها الشيطانة، أرض خضبة، أقول لك " [2]، بقيت طاهرة خمساً وثلاثين سنة، وهاهي تفرط بشرفها الآن.

والآن تفكر مريم بصبيها بعد فوات الأوان، فرد عليها زكريا:" أنت مجنونة، صدقيني! تفتكين بشبابك من أجله، وغداً ستلعنينه، وتلعنين أباه، والساعة التي لم تستمعي فيها إلى النصيحة، ستتحولين إلى امرأة مترهلة ببطن منقوش كأنه مصاب بالجدري، أنا أعرف، وقد رأيت بعينيّ، وطول عام كامل لن تكوني امرأة، مجرد زجاجة حليب " [3]، برود كامل لدى زكريا، يود حرمان زوجته من وليدها، من أي فصيلة أنت يا زكريا؟ الحيوانات تحن على أطفالها، وتحارب المعتدين عليها، ما المصير الذي ينتظرك؟ وما الجزاء الذي تستحقه؟ ولكن هذه هي المتناقضات، ووجود الخير والشر منذ بداية الخلق، فقابيل قتل هابيل، قال الله تعالى:" فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين " [4]، أي "زينت له نفسه، وسهلت له قتل أخيه فقتله، فخسر وشقي " [5]، ومن الملاحظ أن زكريا يرى أنه يستحق اللعنة من الله، على ما فعل في دنياه.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص176.
2) السابق: 179.
3) السابق: 184.
4) سورة النساء: 30.
5) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، 1976م، ص339.

كما ويبين غسان كنفاني شخصية حامد منذ صغره ينظر إلى كل الرجال نظرة الند، فهو شجاع صلب كالدرع الفولاذي،" كان صغيراً وشجاعاً بصورة لا تصدق، وظل ينظر بعينيه الحادتين إلى كل الرجال نظرة الند، وهو ملتصق فيّ كأنه درع صغير من الفولاذ يرصد سن الرمح، ووراء الشاطئ الأسود كانت يافا تحترق تحت شهب مذنبة من الضجيج الملتهب المتساقط في كل مكان " [1]، الآن تشعر مريم بالوحدة، وتحن إلى درعها الواقي، إنها فرطت به، كان سندها، المدافع عنها منذ الصغر، حتى وهو في سن العاشرة من العمر، وكان كالنسر الصغير لا يهاب أحداً، كان يحرص عليها حرصه على حياته، كان يخدمها ليل نهار، بلا كلل ولا ملل، وكان يتمنى لها الخير، ويريدها امرأة شريفة، تتزوج من رجل شريف، لكنها أفشلت هذه الأمنية، وبنت علاقة نتنة مع رجل نتن، متزوج من امرأة أخرى، لديها خمسة أطفال، وقد تلد السادس في المساء، أي حماقة ارتكبت مريم مع هذا النتن، وأين كان عقلها؟ لتغرق في هذا الجرم البشع.

كانت مريم لحامد بمثابة الأم، وكان في نظرها نعم الرجل،" لقد كان دائماً رجلاً رائعاً، ولكنه لم يكن أبداً إلا أخي، ومرور الزمن لم يكن يعني لديه شيئاً، فيما كان بالنسبة لي موتاً يعلن عن نفسه كل يوم مرتين على الأقل، بالنسبة له كنت أتحول كل يوم إلى مجرد أم، وكان يتحول كل يوم بالنسبة لي إلى رجل محرم " [2]، فالموت يشكل ظاهرة أساسية في كتابات غسان كنفاني، وبخاصة في رواية "ما تبقى لكم"، فعالمه مشبع بالموت، وكان ذلك تبعاً للمرحلة التي كتب فيها وعنها، فكان يعبر عن الماضي وما حمل من ذكريات، والحاضر وما يحتويه من إشكاليات، يعبر عن المرحلة والقضية الفلسطينية المليئة بالهزائم، بالإضافة إلى المرض الذي لم يعترف به، وكذلك الغربة والابتعاد عن الوطن، إنه الموت الذي يعيشه، ويكتب عنه، وبعد قليل سيمارسه باغتياله.

كما ويصور غسان كنفاني وطنية والد حامد، كان رجلاً محباً لوطنه، مخلصاً ومؤمناً بقضيته، يرفض زواج ابنته قبل انتهاء القضية،" وقف أبي أمام الباب، كان غاضباً ، وكان

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص186.
2) السابق: 187.

يرتجف شأنه كلما تحيّر في غضبه، وصاح بصوته العريض المبحوح: لا تتحدثوا عن الزواج قبل انتهاء القضية... لقد حملوه من طرف الطريق مضرجاً، وكنت أقف على الباب الخارجي، وسألني أحد الرجال: أنت حامد؟ وفجأة أخذت أبكي، ومن الشباك أطلت أمي ثم مضت بنواح ممزق، وانفتحت الشبابيك فجأة، وأخذت الأصوات تندب " [1]، وبعد استشهاده في اليوم التالي تماماً اشتعلت يافا كلها، وأضحت المنشية ركاماً أسوداً، لا يسمع فيها غير صوت الرصاص، هذا ما يحدث عندما تُشعل فتيلة الثورة، ولكن المحتل يضرب بيد من حديد، فيفتك بالأخضر واليابس، ويحول الديار العامرة إلى ركام أسود، ويطلق الرصاص في كل مكان، إنها الوحشية، وقوة الغاب المفرطة.

لا قيمة للزمن عند حامد في الوقت الحالي، تعب من نفسه المحملة بالهموم والأحزان، فأراد أن يخفف عنها في هذا العالم الممتد بالضياع، فأخذ ساعته، إنها قيد حديدي يفرز رعباً، وترقباً مشبوهاً؛ ليطرحها على الأرض، حتى ضاعت، كما " ضاع كل شيء " [2]، ضاع الأب باستشهاده، وضاعت الأم بغيابها، وضاعت البقرة مع النتن، وضاعت القضية مع الخذلان وعدم النصرة، وهرب الشرفاء من الوطن، متى ستأتي الثورة؟ وينهض الأسد من عرينه؟ الوطن يستحق المواجهة، ويستحق تعديل البوصلة تجاه العدو.

والناظر إلى زكريا يرى أنه مستمر في طريقه الملتوي والمنحرف، يقول لزوجته وفي وجهها: بأن أخاها لن يكتب لها رسالة،" فهو حين غادر غزة، أراد أن يهرب منك... لو قرأت غداً صباحاً في الجريدة خبراً يقول أن أحد المتسللين قتل على الحدود " [3]، أي من الفضيحة والعار الذي لحق به، فلماذا يكتب لها إذن، كما ويهددها بجريمته، ويتوقع الشر لأخيها الصغير، الذي يريد قطع الصحراء؛ ليلقي بنفسه في حضن أمه، ويبكي هناك، يا له من طفل كبير مسكين، لقد ضاع كل شيء.

في اللحظات الأخيرة تعود الثورة على الواقع المرير، وعلى التفكير السلبي، ويراجع حامد نفسه، بقوله:" فما الذي فعلته أيها الأحمق غير أنك قذفت نفسك في الهواء؟ ما الذي تريد لأمك

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص189.
2) السابق: 195.
3) السابق:192.

أن تقوله؟ كان أحرى بك أن تذبحها فوق ركبتك، أن تقذف به إلى جهنم، وأن تمسح كفيك الداميتين بوجهك وجدران بيتك، وتبقى هناك، ولكنك كنت أجبن من أن تفعل ذلك، كان عبثاً عبثاً، وهذا عبث أيضاً، تريد أن تضع أمك بينك وبين مريم؟ تريد أن تجعلها جداراً من النسيان"[1]، وعند الانفراد بالنفس يفكر حامد في حقيقة ما فعل، كان عليه أن يحسن التفكير قبل أن يخرج إلى الصحراء، كان عليه أن يغسل شرفه، ويبقى في غزة، إنها الوطن، لكنه يعاود التفكير ويقول: هذا عبث، وغزة راحت الآن وراءك، ما الذي تريده من أمك؟ ما الذي أدراك أنها لم تتزوج فور أن ضاعت عنكما؟ ماذا ستفعل لو دخلت الآن إلى بيتها وقالت لك: هذا زوجي؟ ما الذي ستفعله؟ ستعود إلى غزة مرة أخرى؟ كانت أصغر من الأربعين، ووحيدة تماماً، كان عليها أن تتزوج وإلا بقيت خدامة عند شقيقها وأولاده، تزوجت لكي تجد من يشتري لها حين تموت كفناً وبلاطة لقبرها، كان حامد متعباً، ومحاطاً بظلمة الليل، والصمت حوله، وليس ثمة إلا الانتظار المر الذي يعرف أنه لا ينتهي، أسئلة وأجوبة تدور في أعماق المسكين الصغير.

ويتعمق غسان كنفاني في شخصية حامد؛ ليبين ما يجول بخاطره، يفكر حامد بوالده الشهيد، المضرج بالدماء، وسالم الفدائي الذي أراد أن يخبر عنه زكريا، وتم استشهاده، فهذه الدماء هي من ستشعل نار الثورة في صدر الثائرين المناضلين، والقادرين على إنهاء ظاهرة العملاء أمثال زكريا الحقير، الذين يعرفون أنهم سيموتون في ساحة عامة، وتحت أنظار الناس جميعاً، وفي سبيل شيء يحترمه الناس كلهم،" لقد قتلوا سالماً اليوم وغداً قد يجيء دور أي منا"[2]، فلا بد لحامد من صحوة، سيكون علامة طريق لاترشد إلا للضياع، إنها صحوة ضمير في وقت ضياع يمر بها حامد.

الوحدة تقتل مريم، وساعات الانتظار طويلة، ستذهب إلى ضرتها، وتقول لها الحقيقة الصعبة:" أنا ضرتك " [3]، ولتنتظر إليها النظرة التي تشاء، وإلا بقيت مريم ممر عبور لزكريا، إنه من العبث الجلوس والانتظار، إنه الحكم بالموت ، ماذا سيقول عنها الناس؟ سرقت رجلاً

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص196.
2) السابق: 201.
3) السابق: 207.

من امرأته ولها منه خمسة أولاد يكرجون في الشارع أمام عيون الناس، وكاد أخوها يجن، فهرب بعاره، ذكريات الماضي تدور في العقول، ولن تهدأ إلا بالحلول.

وحنان الأم بين ضلوعها، فأم سالم تبحث عن ولدها، تأتي إلى حامد تسأله:" ذهبت في الليل إلى هناك ولكنني لم أجده، لقد دفنوه خلسة، ألا تعرف أين دفنوه؟ ولدي، كبدي، حشاشتي، ما تبقى لي " [1]، إنه حساب البقايا، ما تبقى لأم حامد. ما تبقى لحامد. ما تبقى لكم. إنه حساب الخسارة، حساب الموت، ويردد حامد: ما تبقى لي في العالم كله ممر من الرمال السوداء، عبّارة بين خسارتين، نفق مسدود من طرفيه، كله مؤجل، كله مؤجل، الجميع خسر في هذه المرحلة، وكذلك في الماضي، هذا هو الحساب للعلاج ، والعودة إلى الوطن، فهو بحاجة إلى أبنائه من أجل التحرر والاستقلال، إنها الثورة على الماضي والحاضر من أجل المستقبل.

فكر زكريا بالخلاص من طفل مريم، الطفل السادس له، يقول لمريم عندما أخبرته بقرب الميلاد:" هل تتوقعين أن أرقص فرحاً؟ إنه الولد السادس، نصحتك ألف مرة الخلاص منه، لكنك تعتقدين أنه شيء مهم ومثير، والناس ماذا سيقولون؟ هذه فضيحة أخرى، طفل بعد خمسة أشهر من الزواج! " [2]، العجب العجاب أن يفعل المرء العجيب ويحمله إلى غيره، زكريا النتن ارتكب الفاحشة مع مريم، والآن يتذكر الفضيحة وكلام الناس، كما يفعل العملاء من خيانة لقتل الشرفاء المناضلين، ويقولون انتهى الأجل، يفكر زكريا في أكل الأفواه، ستة أطفال، وامرأتان، عليّ أنا أن أطعمهم، إن هذا يحتاج إلى معجزة، ثم خاطبها بقوله:" هل حسبت أنني تزوجتك لتنجبي لي ولداً أيتها العاهرة؟، اسمعيني، وقولي غداً إن زكريا قال: إذا لم تستطيعي إسقاط ذلك القواد الصغير، فأنت طالقة.. طالقة.. طالقة.. هل تسمعين؟ طالقة " [3]، فما كان من مريم بعد هذا كله إلا أن تحمل السكين الطويل وتضعه أسفل بطنه بقوة شديدة، فاندفع النصل يغوص فيه، فأن أنيناً طويلاً حتى سقط على الأرض، وتكوم بين قدمي الطاولة، إنه الجزاء من جنس العمل، فالخيانة ليس لها إلا الموت، حتى تشرق الشمس بشعاعها من جديد، وتعود البوصلة إلى الوجهة الصحيحة، إنها بداية الثورة والانتفاضة الفلسطينية، فما تبقى لنا.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص215.
2) السابق: 223.
3) السابق: 229.

استطاع غسان كنفاني في رواية (ما تبقى لكم) أن يصور لنا العلاقة القائمة بين الشخصيات والمجتمع على حقيقتها، من خلال الهموم وذكريات الماضي والحاضر تصويراً واقعياً دقيقاً، يشعر به، وينذر بجديد قادم، إنه الثورة والانتفاضة، وتعديل المسار، والعودة إلى ما يستحسنه الناس.

المضمون الثالث: المرأة (رواية أم سعد 1969).

يقسم غسان كنفاني روايته الرائعة والعظيمة (أم سعد) إلى تسعة أجزاء، تكمل بعضها بعضاً، ويمكننا أن نقرأ كل الأجزاء منفردة، وتتكون لدينا فكرة مكتملة وواضحة، كما يمكننا أن نقرأ هذه الأجزاء مع بعضها البعض، فتشكل لنا فكرة مكتملة وواضحة، فكأن هذه الأجزاء عبارة عن مجموعة من المجوهرات تجمعت؛ لتشكل للقارئ عقداً رائعاً.

إن رواية (أم سعد) مرآة تعكس الواقع الفلسطيني المرير، وهي صورة للواقع في تحولاته وطموحاته نحو التغيير، وإيجاد قواعد جديدة يرتكز عليها للنهوض بالأمة، ويكمن ذلك في حدوث ثورة على جبروت الطغاة، وعدم الاستسلام للواقع والخضوع للمحتل، حيث قال غسان في روايته (أم سعد): " المعلم الحقيقي الدائم، هو الذي في صفاء رؤياه تكون الثورة جزءاً لا ينفصم عن الخبز والماء وأكف الكدح ونبض القلب" [1]، ولم يدع غسان في الرواية أية مسافة بين الواقع الحضاري والواقع الفني، كما ركز على دور المرأة في القضية الفلسطينية والثورة.

وليس من شك في أن هذه الرواية تتحدث عن شخصية أم سعد،" وهي لاجئة فلسطينية في الأربعين، تسكن المخيم كغيرها من أبناء الطبقة الفقيرة المسحوقة من اللاجئين، تعاني ما يعانون، وتعيش على أمل الخلاص في يوم قادم، يحرر فيه العرب فلسطين لتعود إلى أرضها، فتضع حداً لحياة العمل المهين عند الآخرين " [2]، إنها صورة واقعية للمرأة اللاجئة الفلسطينية.

وللمرأة الفلسطينية ردها على الحرب التي انتهت بالهزيمة،" وضعت صرتها الفقيرة في الركن، وسحبت من فتحتها عرقاً بدا يابساً، ورمته نحوي: قطعته من دالية صادفتها في الطريق،

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص241.
2) تحولات السرد دراسات في الرواية العربية، إبراهيم السعافين، 1996، ص259.

سأزرعه لك على الباب، وفي أعوام قليلة تأكل عنباً، ودورت العرق الذي بدا خشبة بنية داكنة لا تنفع شيئاً بين أصابعي، وقلت لها: أهذا وقته يا أم سعد؟ قلت: قضيب ناشف، إنه يبدو كذلك، ولكنه دالية " [1]، إنه التفكير في المستقبل، وضرورة البناء؛ للخلاص من الاحتلال.

فجوهر الرواية يتلخص كله في ما قالته أم سعد عن الدالية،" قضيب ناشف، إنه يبدو كذلك، ولكنه دالية " [2]، فمصير هذا القضيب الناشف أن يتحول إلى عرق أخضر، فغسان هنا يشبه حال الفلسطينيين بحال عرق الدالية الناشف، فهو يريد تحويل حياة اللاجئين السوداء القاحلة والصعبة والمتشوقة للحياة والشمس إلى حياة فدائية، تملأها الكرامة، متنامية تماماً، مثل العرق الذي تثق أم سعد أنه سيتحول إلى دالية تشق عنان السماء، هذه إرادة المرأة الفلسطينية القوية.

كل ذلك عرضه غسان في روايته بلغة جميلة وسلسة وواضحة، بحيث يستطيع القارئ أن يتشرب ألفاظها بسهولة، يبين فيها غسان اندثار القواعد الاجتماعية القديمة أمام الثورة القادمة، فيذكر لنا في روايته المختار الذي يمثل السلطة القديمة في القرية الفلسطينية، عنصر الذل والخضوع والإحباط، حيث أنه طلب من الفدائيين أن يكونوا (أوادم)، وألا يقاتلوا المحتل، فبدلاً من أن يقوم بتحفيزهم وتشجيعهم على النضال والصبر في السجن، والمثابرة من أجل تحرير الوطن، قال لهم كونوا أوادم، وابتعدوا عن المشاكل، فالمختار لم يعرف أنه ما كان ينفع في القرى قديماً، أصبح لا ينفع في المخيم، حيث قال غسان كنفاني في روايته (أم سعد) على لسان أم سعد:" ألم أقل لك أن لا تفكر بالمختار؟ أتعرف ماذا حدث؟ ذهب وأراد أن يأخذ من كل واحد منهم توقيعاً على ورقة، يتعهدون فيها أن يكونوا أوادم، ولكنهم رفضوا وطردوه، من هم؟ سعد ورفاقه " [3]، وهذا افتخار من المرأة الفلسطينية بابنها.

إن غسان يغلب عليه طابع التفاؤل الثوري في روايته (أم سعد)، التي تتحدث عن الألم والأسى، فبالرغم من وجود الصعوبات والمعاناة والأسى إلا أنه يظل متفائلاً، ويعطي نفسه أملاً بقدوم فرج من الله بعد طول انتظار، فبإذن الله سيأتي السعد يرفرف بأجنحته الزمردية الخضراء فوق كل بيت من بيوت الشعب الفلسطيني، عندما يكون شعارنا الوحدة وسلاحنا الثورة.

---

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص11.
2) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص249.
3) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص16.

فالمرأة في رواية غسان تبشر بالثورة، وتبشر أيضاً أن هناك جيلاً جديداً سيحمل راية النصر، وسيمضي على خطى صلاح الدين وعمر بن الخطاب،" أتحسب أننا لا نعيش في الحبس؟ ماذا نفعل نحن في المخيم غير التمشي داخل ذلك الحبس العجيب؟ الحبوس أنواع يا ابن العم ! ... اسمع أنا أعرف أن سعد سيخرج من الحبس. الحبس كله! أتفهم؟ " [1]، إنها تربية المرأة الفلسطينة التي تربي أبناءها على الصمود والثورة وحب الوطن.

ثم يوضح الكاتب أن الحل النهائي ليتخلص الإنسان من قهر العدو وظلمه، وليحقق الإنسان حريته هو الثورة، الثورة ضد هذا العدو الغاصب، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وهذا ما فعله سعد، لقد التحق سعد بالثورة والفدائيين، حتى أن أم سعد كانت لها الرغبة في الانضمام لصفوف الثورة والمقاومة والفدائيين،" أتدري؟ إن الأطفال ذل! لو لم يكن لدي هذان الطفلان للحقت به، لسكنت معه هناك، خيام ؟ خيمة عن خيمة تفرق! لعشت معهم، طبخت لهم طعامهم، خدمتهم بعيني، ولكن الأطفال ذل " [2]، هنا يظهر جوهر المرأة الفلسطينية، إنها مناضلة، تخدم، وتدافع، وتربي، وتقاوم مع المقاومين، هي نصف المجتمع، وتلد وتربي النصف الآخر، إنها كل المجتمع.

وإن هناك فرق شاسع وكبير بين خيمة البؤس والفقر الغارقة بالمعانة والوحل في المخيم، وبين خيمة الفدائي الذي يعلن من خلالها مقاومته لمن سلبه حقه، وعدم قبوله للوضع الراهن، وأن الفدائي يريد التغيير والارتقاء بالوطن نحو الأفضل،" إن الرجل الذي يلتحق بالفدائيين لا يحتاج بعد لرعاية أمه... أقول لك، لتكن توصيتك به إلى رئيسه أن لا يغضبه، قل له : أم سعد تستحلفك بأمك أن تحقق لسعد ما يريد، إنه شاب طيب، وحين يريد شيئاً لا يتحقق يصاب بحزن كبير، قل له، دخيلك، أن يحقق له ما يريد .. يريد أن يذهب إلى الحرب؟ لماذا لا يرسله؟ "[3]، فالتغيير يحتاج إلى ثورة، والمرأة الفلسطينية بالرغم من قوتها، ومناصرتها للفدائيين، إلا أنها تحب أبناءها، وتخاف عليهم حتى من الحزن.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص255- 256.
2) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص25.
3) السابق: ص26.

ويذكر غسان كنفاني أن الشعب هو المعلم، وأن هناك علاقة تكاملية بين الشعب وطليعته ومثقفه الثوري الذي يؤمن بمدرسة الجماهير، ولا ينقصها حقها،" أنت تكتب رأيك، أنا لا أعرف الكتابة، ولكني أرسلت ابني إلى هناك، قلت بذلك ما تقوله أنت أليس كذلك " [1]، فغسان أراد أن يوصل من خلال روايته رسالة للمثقف الذي ينظر لشعبه من أعلى، أنه منفصل عنهم، ولا يبادلهم آرائه وثقافته، زعماً منه أنه أكثر منهم ثقافة وعلماً، وأنه أعلى من مستواهم العقلي، فهذه الرسالة وجهها غسان كنفاني لهذا المثقف المنفصل عن شعبه؛ ليعلم هذا المثقف أن الشعب هو المدرسة التي يجب أن يتعلم منها الجميع، فالواقع مرآة لما يحدث بالشعب الفلسطيني، فهو يعكس معاناته، وأهمية التعاون المشترك بين الرجل والمرأة في الفداء والتضحية.

وإن السبب الحقيقي في التعاسة ليس الوحل ولا العيش في المخيم، بل إن السبب الحقيقي هو المصدر الذي أوصلنا إلى هنا، وإلى هذه الحالة المريرة المتشربة بجميع معاني الأسى والظلم، "تعرف ماذا كان يفعل سعد حين كان يطوف المخيم؟ كان يقف ويتفرج على الرجال وهم يجرفون الوحل ... ذات ليلة سيدفنكم هذا الوحل ... ولكنني حين نظرت إليه رأيت في وجهه شيئًا أرعبني، كان منصرفاً إلى التفكير وكأن الفكرة راقت له، كأنه سيذهب في اليوم التالي ليسد ذلك المزراب، ثم ذهب " [2]، فالمرأة الفلسطينية دائمة المراقبة والمتابعة لابنها المناضل.

هذه رسالة واضحة لأبناء الشعب الفلسطيني بأنه يجب علينا أن نسد مزراب المصدر الأصلي للوحل الذي نغوص فيه، والمصدر الأصلي للظلم والمعاناة، فغسان أرسل بطل روايته سعد ليسد المزراب، ولكن هذا المزراب ليس في السماء بل في مكان آخر، أي في مصدر الهزيمة الأصلية، وفي مصدر البؤس الأصلي والمعاناة بأشكالها، والظلم المرير الذي يقع على الشعب الفلسطيني، ولا خوف على المناضلين،" أمس فقط جاء رفيقه وقال لي إنه بخير... سعد يسلم عليك، إنه بخير، وسيهديك غداً سيارة، ثم ذهب، يهديك سيارة؟، أجل، ألا تعرف؟ يعني أنه

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013 ، ص29.
2) السابق: 30.

سينسف سيارة، وهل فعل؟، ماذا؟ سعد لا يقول شيئاً ثم لا يفعله، أنا أعرفه جيداً ... لقد انتظرت حتى المساء؛ لأسمع نبأ سقوط سيارة إسرائيلية في كمين مقاتلين" [1].

وعند سماع أم سعد بالخبر دوّت كالرعد في السماء،" شاهدت أم سعد واقفة مثل شارة الضوء في بحر لا نهاية له من الظلام، وقد رأتني قادماً، فلوحت بيدها، كان صوتها أعلى من صوت الرعد المدوي في سقف السماء، وانهمر الصدى من كل صوب كالشلال: أرأيت؟ قلت لك أن سعد سيهدي أمه سيارة " [2]، وهذا دليل على أن سعد حقق ما يريد، وما كان يفكر به، وسعد كل من في المخيم، وأولهم أمه التي لطالما انتظرت هذا الخبر بفارغ الصبر.

فأم سعد تمثل المرأة الفلسطينية، وهي في الرواية المعادل الموضوعي والذاتي، لأن " فن القصص كسائر الفنون الابداعية يكون ثمرة لرؤية المبدع لواقع ما، سياسي أو اجتماعي أو تاريخي أو تراثي، ثم يقوم بتحويل هذه الرواية إلى واقع فني في شبكة علاقات فنية معادلة لشبكة العلاقات الحياتية النفعية، وهو ما يسميه النقاد المعادل الموضوعي، هذه النظرة التحليلية المتفحصة لعمل المبدع في مدى مطابقته أو مشابهته للواقع أو نقله نقل مرآة " [3]، فأم سعد لا تدخر جهداً ولا وقتاً إلا كانت فيه مناضلة، شأنها شأن المرأة الفلسطينية.

ومن روعة وجمال غسان كنفاني أنه يقدم لنا حلولاً ونتائج وإجابات على أسئلة لم يطرحها أحد من صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية، يقدم لنا جواباً لسؤال : لماذا هزمنا؟ ولماذا حدث ما حدث؟ قدم لنا الجواب في وقت مبكر جداً قبل أن يطرحه أحد من صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية، فغسان يعلمنا أن الحياة عبارة عن أسباب ونتائج، ويفصل بين المستغلين وبين الفدائيين الحقيقيين، ومن يصعدون على أكتفاهم من الذين ضحوا من أجل الوطن بكل غالٍ وثمين، كما ويبين لنا دور المرأة في العمل الفدائي، وحسرتها على الضعفاء،" آه يا ابن العم ! لو يومها قام فضل عن العتبة وطخ عبد المولى، أما كانت هذه المشكلة قد انتهت؟ ... لو فعل ذلك لقتله الناس، لو ظل في الجبل يا أم سعد لما استطاع عبد المولى أن يقيم الحفلة... المسكين فضل ركبوا على ظهره، في المعصرة وفي الجبل، ثم في المعصرة، ولو جاء إلى

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص31.
2) السابق: ص32.
3) الفن القصصي والمسرحي، عبد الخالق العف، 2017، ص7.

المخيم لركبوا أيضاً على ظهره " [1]، وكأن غسان يسائلنا اليوم: لماذا رضيتم بالذل ولم يحرك أحد ساكناً من أجل الوطن؟ فالواجب يحتم على الجميع أن يقف بجوار الحق، ونصرة المظلوم على الظالم.

إن غسان كنفاني يجمع بين الطبقة العاملة وطبقة المضطهدين، من خلال ثلاث شخصيات، وهي: أم سعد، والمرأة اللبنانية، والناطور.

فالمشكلة ليست في الليرتين اللتين يريد أن يوفرهما صاحب البناية من أجر المرأة اللبنانية، حيث أحضر أم سعد بدلاً منها، حتى يعطيها خمس ليرات بدلاً من أن يعطي المرأة اللبنانية سبع ليرات، بل إن المشكلة تكمن في تلاعب هؤلاء الطغاة بمصير الكادحين والعاملين البسطاء، الذين يبحثون كل يوم عن قوت يومهم وبخاصة المرأة، ويريد هؤلاء الطغاة ومصدر الجبروت والظلم أن يضربوا طبقة الكادحين والبسطاء ببعضهم البعض، حتى يتفكك المجتمع، وتملأه الكراهية والبغضاء، وينسوا عدوهم الحقيقي،" يريدون ضربنا ببعضنا، نحن المشحرين، كي يربحوا ليرتين ... وهم لا يهمهم مع ذلك إلا أن يدفعوا واحدة منا لتقطع رزق الأخرى، وانظر ماذا يفعل ذلك الناطور؟! ذلك الناطور الكريه! إنه يستجيب لهم، ويظل طول النهار يكرج على البسكليت؛ ليوفر لهم ليرتين! يا حرام .. " [2]، فالمرأة الفلسطينية بالرغم من الفقر والحاجة إلى العمل، تعمل بشرف، ولا تتعدى على حقوق الآخرين، ولا ترضى بالضيم.

كما وأن غسان كنفاني في روايته (أم سعد) من خلال استبدال أم سعد لحجابها القديم، الذي صنعه لها شيخ عتيق في فلسطين برصاصة سعد المخبأة في فراشه يبين لنا ضرورة المحافظة على الماضي؛ لأنه مكمل للحاضر والمستقبل،" ولكن يا أم سعد، متى بعث سعد لك تلك الرصاصة؟ إنه لم يبعثها، تركها في البيت حين زارنا لآخر مرة، وكنت أراها كل يوم في ثنيات الفراش، ثم قررت أن أضعها في صدري، وجاء ابن جارنا ذات يوم فثقبها، وأخرج بارودها، وربط فيها سلسلة " [3]، فالمرأة الفلسطينية تتمسك بالماضي والوطن كما تتمسك بأبنائها.

---

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص55.
2) السابق: 62.
3) السابق: 66..

والمرأة الفلسطينية تشارك الرجل في ثورته على القوة الظالمة، وانتفاضه على البؤس والفقر، وإعلانه لرفض الذل والهوان والهزيمة والاستسلام للمحتل، حيث عرض غسان كل ذلك بلغة جميلة ومبكية، تقشعر لها الأبدان، وتطيش بقراءتها عقول الرجال ذوي الأحلام لجمالها، وتعجز أمام عقل غسان عقول ذوي الأفهام، كان هذا النهوض والثورة ضد المحتل، من خلال دخول العمل الفدائي إلى المخيمات، وثورة اللاجئين على كل مصادر الجبروت والظلم والمعاناة في المخيم.

فالثورة هي الحل الوحيد، التي تقلب هذه الموازيين، وتغير حياة البشر من حياة البؤس والفقر والمعاناة والظلم إلى حياة مليئة بالسعادة والأمل، واحتضان الوطن، وتقبيل ترابه، وعيش الفلسطيني بكرامة وعزة، كما كرمه رب العباد، حيث **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [1].

فالحياة البشرية انعكاس للواقع المعاش، وما يحدث به من ممارسات سواء إيجابية أو سلبية، حيث عبر غسان عن ذلك على لسان أم سعد، حيث قالت:" الفقر يا ابن العم الفقر.. الفقر يجعل الملاك شيطاناً، ويجعل الشيطان ملاكاً، ما كان بوسع أبو سعد أن يفعل غير أن يترك خلقه يطلع، ويفشه بالناس، وبي وبخياله؟ كان أبو سعد مدعوساً، مدعوساً بالفقر...، ومدعوساً تحت سقف الزينكو، ومدعوساً تحت بسطار الدولة.. فماذا كان بوسعه أن يفعل؟ ذهاب سعد رد له شيئًا من روحه ... لو تراه الآن يمشي مثل الديك، لا يترك بارودة على كتف شاب يمر من جانبه إلا ويطبطب عليها. كأن بارودته القديمة كانت مسروقة ولاقاها " [2] ، فالمرأة الفلسطينية تجد الأعذار لزوجها، وتتحمل عصبيته في سبيل المحافظة على بيتها.

وينهي غسان رواية (أم سعد) بعرق الدالية اليابس والناشف، وقد اخضر وأزهر، كما اخضر المخيم وأزهر بالثورة، والهمة العالية للمقاومة والمرأة الفلسطينية الممثلة في أم سعد،" برعمت

1) سورة الإسراء: 70.
2)أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص74.

الدالية يا ابن العم برعمت! " [1]، إن ما حدث في رواية أم سعد" ليس رغبة كاتب يريد أن يجسد أفكاره في عمل أدبي روائي، بل إنها قوانين حياة، يفرضها علينا هذا الواقع الممتلئ بالصراع والآلام والمعاناة، فلا يمكن أن نصف الواقع إلا كما هو.

وإن أم سعد عندما أعلنت عن تبرعم عرق الدالية اليابس والناشف؛ إنما هو انتقام من المحادثة الأولى، والجدال الذي حصل بينها وبين الراوي من عدم وجود جدوى لغرس عرق الدالية اليابس والناشف، ولكن في النهاية صدقت رؤية أم سعد.

وقصد غسان كنفاني من ذكر عرق الدالية اليابس والناشف على لسان المرأة الفلسطينية، هو أن الوطن كعرق الدالية اليابس والناشف، وهذه رسالة جميلة، محملة بالعاطفة الوطنية، وستكون الحرية نبراس هذا الشعب، كما ينمو و يزدهر عرق الدالية اليابس والناشف إذا اعتنى به الشخص، وأبعد عنه كل ما يتلفه من حشرات ضارة، فالمعلم الحقيقي الدائم، هو الذي في صفاء رؤياه تكون الثورة جزء لا ينفصم عن الخبز والماء وأكف الكدح ونبض القلب، ومن واجبنا أن نقوم بالثورة ثم الثورة ثم الثورة إلى أن يأتي نصر الله، وتتحرر فلسطين الحبيبة، كما ويؤكد لنا على دور المرأة في القضية والثورة.

المضمون الرابع: حق العودة (رواية عائد إلى حيفا 1969).

إن مواجهة الحقيقة في النص الأدبي هي المهم، وإن ما يهمنا كفلسطينيين هو حق العودة إلى الديار، الأماكن التي هجرنا منها بالحديد والنار، والمجازر التي ارتكبت بحق القرى والمدن الفلسطينية، فذبحوا الأطفال والنساء والشيوخ، أبادوا قرى ومناطق بأكملها، إنه الاحتلال الغاشم.

لذلك عاد سعيد إلى حيفا بعد أن ترك منزله في منطقة الحليصة عام 1948، مع زوجته صفية، من رام الله عن طريق القدس، فرأى حيفا آخذة بالبكاء الصامت، وزوجته صفية تحس الشيء ذاته، وإنها لذلك تبكي، خرجا في الحر الذي لا يطاق، وتحت أشعة الشمس الحارقة الملتهبة، تحدث مع زوجته " عن الحرب والهزيمة، وعن بوابة مندلبوم التي هدمتها الجرافات، وعن العدو الذي وصل إلى النهر والقناة ومشارف دمشق خلال ساعات...، ونهب الجنود

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص336.

للأشياء والآثاث، ومنع التجول... والجار الذي لمّ أغراضه وهرب... والفلاح الذي أعدموه " [1]، إنه الحنين للوطن بعد طول الغياب، وتصوير المارسات الإجرامية للعدو.

حضر سعيد وزوجته إلى مدخل حيفا بعد عشرين سنة بسيارة "الفيات" الرمادية، عبر مرج ابن عامر، وعند الوصول قال لها:" هذه هي حيفا ياصفية... إنني أعرفها، حيفا هذه، ولكنها تنكرني" [2]، إنه الوطن، والرغبة الصادقة في حق العودة المنتظر.

فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، والاحتلال قد يفتح الحدود، ويقدم التسهيلات بشرط الصمت، وعدم المطالبة بحق العودة، والرضا بالاحتلال،" لقد فتحوا الحدود فور أن أنهوا الاحتلال، فجأة وفوراً، لم يحدث ذلك في أي حرب في التاريخ ... ذلك جزء من الحرب، إنهم يقولون لنا: تفضلوا انظروا كيف أننا أحسن منكم وأكثر رقياً، عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدماً لنا، معجبين بنا " [3]، ما يُقَّدم لنا من المحتل هو استمرار للحرب علينا، والرضا بما حدث، والقناعة بمكرمة التسهيلات، والاستعداد للخدمة في المستوطنات المقامة فوق القرى المدمرة على رؤوس أصحابها، ونسيان حق العودة.

ولقد أبدع غسان كنفاني في تصوير المكان، فالمرور في شوارع حيفا يذكر بالحرب وماحدث فيها قبل عشرين سنة، " رائحة الموت ماتزال هناك،... يسوق سيارته في حيفا دون أن يشعر بأن شيئاً في الشوارع قد تغير، كان يعرفها حجراً حجراً، ومفرقاً وراء مفرق، فلطالما شق تلك الطرق بسيارته " [4]، إن الابتعاد عن الوطن مرارة ليس بعدها مرارة، فحب الوطن من الإيمان، والعودة حق مشروع لكل من هُجر عن وطنه.

وعند العودة يتذكر الرجال، تذكر سعيد " وادي النسناس، وشارع الملك فيصل، وساحة الحناطير، والحليصة، وحي الهادار" [5]، مناطق في حيفا لا يمكن أن تنسى، لها ذكريات جميلة، يبكى عليها من الصادقين، ذكريات قبل عشرين سنة، والآن ينبثق ذلك كله من بين

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص342.
2) السابق: 343..
3) السابق: 344.
4) السابق: 345.
5) السابق: 345.

الحطام والنسيان والأسى، ويأتي على ركام الهزيمة المريرة التي ذاقها مرتين على الأقل في حياته، الأولى أثناء حرب 1948، والثانية أثناء حرب الخامس من حزيران/يونيو 1967، والتي عرفت بحرب الأيام الستة، إنها بحق أيام صعبة على النفس، ومؤثرة في الصدور، وذكريات لا تنسى، فيها ضاعت فلسطين، كل فلسطين التي وقعت في قبضة المحتلين.

وسرعان ما يعود الماضي إلى الذاكرة، وهو في طريقه إلى وادي النسناس لمح مجموعة من الجنود،" لمح مجموعة من الجنود المسلحين يقفون على المفترق أمام حاجز حديدي، وحين كان يرمقهم بطرف عينيه، صدر صوت انفجار ما من بعيد، وأعقبه طلقات رصاص... وشهد صبياً يعدو عبر الطريق، وعندها جاء الماضي الراعب بكل ضجيجه، ولأول مرة منذ عشرين سنة تذكر ما حدث بالتفاصيل، وكأنه يعيشه مرة أخرى، صباح الأربعاء، 21 نيسان عام 1948 " [1]، الحرب وما يدور فيها، تفجير، وإطلاق رصاص، وجنود مسلحة، والمقاتلين الشرفاء، والرجال المسلحين، إنها الحرب التي لا ترحم، والتي تأكل الأخضر واليابس، فيها القصف يأتي من كل مكان، والقذائف تطير عبر ووسط القرى والمدن لتنصب عليها بلا رحمة ولا شفقة، فيكتسح الرعب المكان، فتغلق نوافذ البيوت، وأبواب الحوانيت.

تزوج سعيد من صفية قبل عام وأربعة أشهر من الحرب على حيفا، حرب 21 نيسان 1948،" واستأجر بيته الصغير في تلك المنطقة التي حسب أنها ستكون أوفر أمناً " [2]، لكن الحرب فرقت بينهما، فلا يستطيع الوصول إلى بيته وزوجته، ولم يتوقع سعيد وصول القصف والأحداث قبل الوقت المحدد بين الإنجليز واليهود، الموعد المحدد لانسحاب البريطانيين من المدينة، فقامت الحرب، وضاع سعيد بين الطرقات يبحث عن منفذ يبعده عن شبح الموت، كان يركض في شوارع حيفا، فاندفع نحو الميناء، " تذكر خلدون الصغير، ابنه الذي أتم في ذلك اليوم بالذات شهره الخامس " [3]، إنها لحظات مزعجة، يصعب على الرجال تحملها، وتكون الرغبة في العودة صادقة.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص346..
2) السابق: 349.
3) السابق: 351.

ويبين غسان كنفاني صعوبة الموقف أثناء الحرب، فسعيد يحاول العودة إلى البيت ولكنه لا يستطيع،" فقد كانت الأزقة المتفرعة عن الشارع الرئيس مغلقة تماماً، وكان يحاول الاندفاع في إحداها ليتدبر أمر عودته إلى بيته، يزجرونه بعنف، أحياناً بفوهات البنادق وأحياناً بحرابها "[1]، كان الأمر صعباً على الجميع رجالاً ونساءً وأطفالاً، الجميع يبكي ويسبح داخل ذلك الذهول الصامت وضاع سعيد بين أمواج البشر المتدفقة وفقد القدرة على التحكم بخطواته، كان سعيد قلقاً على زوجته صفية وابنه خلدون، كانت لحظات قاسية على سعيد كأنها كابوس ثقيل لا يصدق، وكان كالحيوان الطريد يشق طريقاً مستحيلاً للخلاص، لقد مضى على ذلك كله عشرون سنة.

وكذلك صفية تتذكر تلك الأيام،" وحين دوى الرصاص وانطلق الناس يقولون إن الإنجليز واليهود أخذوا يكتسحون حيفا" [2]، فكان الأمر مشتركاً بين اليهود والإنجليز بتسليم فلسطين لهم، وهذا الأمر منذ القدم بينهما حيث وعد بلفور، وإعطاء اليهود وطناً قومياً في فلسطين، أعطى من لا يملك من لا يستحق، كانت صفية أكثر أمناً من سعيد، كانت في البيت،" وحين طال غيابه، هرعت إلى الطريق دون أن تدري على وجه التحديد ما الذي كانت تريده " [3]، كانت النار تنهمر بغزارة، مما دفعها للخروج من البيت بحثاً عن زوجها، فكانت تحسب ألف حساب مع كل رصاصة تطلق، كانت بين الجموع المندفعة كأنها محمولة على نهر متدفق، مثل العود، تاركة ابنها خلدون في سريره في الحليصة، إنها اللحظات الصعبة المذهلة والمفاجئة التي جعلتها تنسى ابنها في سريره، وعندما تذكرته وقفت في مجرى السيل الهائل من الناس كأنها شجرة، وارتدت تدفع ذلك السيل بكل قوتها.

كما ويبين غسان كنفاني اللحظات الصعبة في الرواية، حيث كادت صفية تسقط وسط الأقدام، حين سمعت صوت سعيد يناديها باسمها، كانت كمن يحلم، رأته وراءها يتفصد بالعرق والغضب والارهاق،" اكتسحها حزن يشبه الطعنة التي ملأتها بطاقة من العزم لا حدود لها، وقررت أن تعود بأي ثمن... فمضت تشق طريقها بكل ما في ذراعيها من قوة وسط الغاب الذي

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص351.
2) السابق: 353.
3) السابق: 353.

كان يسد في وجهها طريق العودة، محاولة في الوقت نفسه ألا تضيع سعيد. " [1]، كل ذلك خوفاً منها على الاثنين، وعدم الرغبة في فقدهما، على الأقل المحافظة على أحدهما، بالرغم من رؤية سعيد لها، والمناداة عليها وعلى خلدون ابنهما، فأمسك بها، ولكن سيول البشر تقاذفتهما ودفعتهما أمامها نحو الشاطئ، لركوب البحر والعوم تحت خشب المجاديف.

في الطريق من رام الله إلى القدس إلى حيفا تحدث سعيد عن كل شيء، وعند الوصول إلى الحليصة في حيفا ربط الصمت لسانه، لقد ضاعت عشرون سنة من الغياب، ترى عم يبحث؟، لقد تحدثت معه صفية قبل أسبوع، وهما في منزلهما في رام الله:" إنهم يذهبون إلى كل مكان، ألا نذهب إلى حيفا؟ " [2]، إنه الحنين إلى الوطن الضائع بحراب المحتلين، والحنين إلى الطفل الرضيع المفقود منذ سنين، وبكت صفية بدموع غزيرة عندما تذكرت ابنها خلدون، أرادت البحث عنه بعد الفراق والضياع والغربة، شأنه شأن الكثير من أبناء فلسطين، إنها الحرب الشرسة، والعدو الغاشم، والحنين للوطن والولد.

كما ويظهر غسان كنفاني تحفظ سعيد على ذكر ابنه فيما مضى، ولم يظهر ذلك الأمر لصفية خوفاً عليها، وكي لا تشعر بأنها هي التي ارتكبت تلك الفجيعة، خلدون،" واكتشف على التوان ذلك الاسم، لم يلفظ قط في تلك الغرفة منذ زمن طويل، وإنهما في المرات القليلة التي تحدثا عنه كانا يقولان "هو"، بل إنهما تجنبا تسمية أي من أولادهما الثلاثة ذلك الاسم، وإن كانا قد أطلقا على أكبرهما اسم "خالد"، وعلى البنت التي أنجباها بعد ذلك بعام ونصف "خالدة"، بل إن أولادهما لم يعرفا قط أن لهما أخاً اسمه خلدون، وهو نفسه ينادونه: أبا خالد. " [3]، فالمهمة قاسية على الاثنين، والبحث والعودة ضرورة ملحة.

قرر سعيد العودة إلى حيفا وحده، ولكن تراجع وقال لزوجته:" لنذهب غداً إلى حيفا، نتفرج عليها على الأقل، وقد نمر قرب بيتنا هناك، أنا أعرف أنهم سيصدرون قريباً قراراً يمنع ذلك كله" [4]، إنهم احتلوا البلاد، وسيمنعون أهلها حتى من المرور بقربها، لنسيان حق العودة إليها،

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 355.
2) السابق: 357.
3) السابق: 358 .
4) السابق: 360.

إنه مخطط صهيوني لإبعاد وتشتيت الأهل الأصليين، وجلب المستوطنين لسكناها، الدموع تجري في العيون على الوطن، والوجه يصفر من كثرة الحزن، إنه الوطن.

وإن المتابع لأحداث رواية (عائد إلى حيفا) يجد أن الروائي غسان كنفاني قد ركز على حق العودة، وما عمله اليهود في فلسطين طيلة الأعوام الماضية من سحق للشعب الفلسطيني، وجلب للمستوطنين من جميع البلدان، العربية والإسلامية والأجنبية، وتغيير معالم أرضها، وقولهم: فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، لم يغير شيئاً في الأمر، ولم يذهب بعيداً حق العودة عن ذهن غسان كنفاني، ابن البلد الأصلي، والمتحدث في روايته (عائد إلى حيفا) باسم أبناء فلسطين.

وفي رواية (عائد إلى حيفا) يعود سعيد وزوجته إلى بيته في حيفا بعد عشرين سنة مضت، ويصل إليه، ويدخله بعد الاستئذان من مالكيه المغتصبين الجدد،" هل نستطيع أن ندخل؟، لم تفهم المرأة العجوز، السمينة بعض الشيء، والقصيرة، والتي كانت تلبس ثوباً أزرق منقطاً بكريات بيضاء، فأخذ سعيد يترجم إلى الإنجليزية، وعندما انفرجت أسارير العجوز المتسائلة، ووسعت من الطريق حتى دخلا، ثم أخذت تسير أمامهما نحو غرفة الجلوس " [1]، إنها من اللحظات الصعبة أن يجد صاحب البيت نفسه ضيفاً عند عدوه، كما نلاحظ أن غسان كنفاني أكثر من كلمة (عائداً) في الرواية، كقوله: (وحين استدار عائداً إلى مكانه)، وكأنه يخبرنا بالإصرار على العودة.

إن فلسطين أرض عربية إسلامية، ولا يستطيع كان من كان أن يغير هذه الحقيقة، ولا بد من عودتها إلى أصحابها في يوم من الأيام،" أنتما أصحاب هذا البيت، وأنا أعرف ذلك، كيف تعرفين؟ من كل شيء، من الصور، من الطريقة التي وقفتما بها أمام الباب، والصحيح أنه منذ انتهت الحرب جاء الكثيرون إلى هنا، وأخذوا ينظرون إلى البيوت ويدخلونها، وكنت أقول كل يوم أنكما ستأتيان لا شك " [2]، فهم يعرفون أننا أصحاب الحق، وسنعود يوماً، ولكنهم يحاولون تأجيل هذا اليوم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولا شك في حق العودة عندنا وعندهم، ولكن هذا

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص364.
2) السابق: 366.

يحتاج إلى حرب، فما أخذته الهاغاناه وسيطرت عليه، لا يسترد إلا بنفس القوة، حتى تسترد البلاد.

وإن ما حدث لفلسطين وشعبها إنما هو مؤامرة بين بريطانيا واليهود،" لم يكن افرات كوشن الصهيوني بحاجة إلى من يؤكد له أن الإنكليز مهتمون بتسليم حيفا للهاغاناه، فقد كان بوسعه معرفة أنهم كانوا وما زالوا يقومون بدوريات مشتركة، وقد رأى ذلك بنفسه مرتين أو ثلاث مرات"[1]، ولكنهم كتموا موعد خبر الانسحاب من حيفا، ولم يسروا به إلا للهاغاناه، لتحقيق عنصر المفاجأة للفلسطينيين والعرب.

ولقد كانت قلوب الهاغاناه قاسية، فقد أمسكوا بطفل صغير وألقوه في الشاحنة كأنه حطبة، "ولو كان يهودياً لما فعلوا ذلك" [2]، إنها القلوب المتحجرة، بلا رحمة ولا شفقة، كل ما فيها: القتل، والدمار، والخراب، هذا ديدنهم، وطريقتهم في الحياة، لمنع الفلسطينيين من العودة، وبالرغم من ذلك فإن ميريام تقرر "العودة إلى إيطاليا، ولكنها لم تفلح" [3]، فهي تعتبر نفسها هُجرت منها على يد الألمان، ولكنها لم تفلح في إقناع زوجها ايفرات كوشن بالعودة إلى إيطاليا، إنه حصل على بيت في حيفا وطفل عمره خمسة شهور من مكتب الوكالة اليهودية، بعد قبوله تبني الطفل.

كما وأن حالة دوف حالة مميزة، إذ أن مربيته ميريام لا تنكر حق والديه فيه، ولكن الاختيار له،" أنا أعرف أبوه، وأعرف أيضاً أنه ابننا، ومع ذلك لندعه يقرر بنفسه، لندعه يختار، لقد أصبح شاباً راشداً " [4]، ولكن الأمر كان صعباً على سعيد وصفية، إن خلدون في حكم المسروق، كالبيت، وحيفا، وفلسطين، وكان عليهما ألا يتركا شيئاً، خلدون والمنزل وحيفا، إنه الحق، والخطأ فيما ارتكب في الماضي، وها هو فارس الذي ترك يافا قبل عشرين سنة يعود إلى بيته، ويخبر ساكنه الأسمر طويل القامة، متجاهلاً الراحة الممدودة لمصافحته، بقوله:" جئت ألقي نظرة على بيتي، هذا المكان الذي تسكنه، هو بيتي أنا، ووجودك فيه مهزلة، ستنتهي ذات

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص377.
2) السابق:378.
3) السابق: 379.
4) السابق: 383.

يوم بقوة السلاح " [1]، فلا أحد ينسى حق العودة مهما تباعدت السنوات، فارس يرتحل مع أسرته إلى غزة ثم الأردن، ثم عاد إلى رام الله، وها هو يعود إلى يافا، ثم يعود إلى رام الله أملاً في العودة الحقيقية إلى يافا، ومعه صورة الشهيد شقيقه بدر ثم إلى يافا لإعادة الصورة إلى مكانها، فالمشكلة ليس في الصورة، وعليه إن أراد الاسترداد؛ استرداد البيت ويافا، ثم عاد فارس إلى رام الله ليحمل السلاح من أجل العودة الحقيقية.

ويؤكد سعيد الفلسطيني، ودوف "خلدون" من تربى بين أحضان اليهود على " أن الإنسان هو قضية " [2]، ومن هنا يرفض خلدون العودة مع والديه الأصليين، ويبقى مع من رباه ميريام وايفرات كوشن.

لقد نجح غسان كنفاني في إبراز كينونة فدائي المستقبل في روايته (عائد إلى حيفا)، إنه خالد، وجه فلسطين العربي الفدائي رجل المستقبل، وربما " تكون معركتك الأولى مع فدائي اسمه خالد، وخالد هو ابني " [3]، إنها كلمات قالها سعيد للجندي دوف المنهزم، والذي يقف مع الطرف الآخر، لتكتمل القضية، وتتحقق العودة مرة أخرى، فالجبن من أضاع خلدون والبيت، وأضاع حيفا ويافا، والعودة بحاجة إلى الأقوياء.

ويؤكد غسان كنفاني على " أن خطأ زائد خطأ لا يساويان صحاً، ولو كان الأمر كذلك لكان ما حدث لايفرات ولميريام في اوشفيتز صواباً " [4]، فالعودة للجميع من حيث أتى، والظلم لا يصحح بظلم آخر، فالإنسان قضية يجب أن يتمسك بها، وأن أخطاء الآخرين لا تبرر أخطاء وجرائم المعتدين، ولا تشكل حقهم في الوجود على حسابهم، هذا هو الوطن، وفلسطين الحقيقية أكثر من ذاكرة، وهي جديرة بأن يحمل المرء السلاح، ويموت في سبيلها، الوطن هو الماضي والحاضر والمستقبل، الوطن بحاجة إلى خالد الفدائي، وعشرات الآلاف من أمثال خالد الذين يصححون أخطاء العالم بأسره، فخلدون يشير إلى العار والخيانة في القضية وحق العودة، وخالد يمثل الشرف الباقي والحرب والمستقبل وحق العودة.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 387.
2) السابق: 401.
3) السابق: 402.
4) السابق: 410.

المضمون الخامس: الثورة الفلسطينية (رواية العاشق 1966).

اختار غسان كنفاني (العاشق) اسماً لروايته التي بدأ كتابتها 1966 ؛" لتأريخ الثورة الفلسطينية " [1]، والتأكيد عليها، لما لها من أثر قوي في عودة الحقوق إلى أصحابها، لذلك فهي بحاجة إلى إعداد، فالثورة إن قامت كانت كالنار، تحتاج إلى نفخ ، والسير فوقها، وسط الشرر المتطاير؛ لتؤتي ثمارها.

فالثورة في وجه المعتدي تحتاج إلى رجال يمتلكون إرادة العظماء، والسير فوق الحفر الملتهبة، بلا خوف أوجزع،" صرخت: قاسم!، فوقف دون أن يقول شيئاً... ماذا فعلت بنفسك يا فتاح يا عليم؟، فنظر وراءه إلى حقل النار، ورأينا معاً دخاناً صغيراً يتعالى من الحفر التي خلفتها خطواته، ثم عاد فنظر إلى قدميه ثابتتين فوق التراب " [2]، إنه الثبات، وجعل الأرض حقول نار ملتهبة تحرق الأعداء، ودخاناً متصاعداً يخنق المستبدين .

وعلى الثائر أن يتحمل ويصبر، إنه يسير فوق النيران،" جاءت سمرا فشمت الماء، ونظرت إليّ برهة... وقالت لي: إن القروح لن تلبث أن تلتحم، فقمت معها إلى كوم التبن حيث جففت قدمي، وهناك تركتني أتمدد ريثما تجف القروح " [3]، فالثائر يحتاج إلى من يقف بجانبه، يسانده، ويدعمه، ويرفع من معنويته، ويقدر عمله ونضاله، وهو بحاجة إلى استراحة مقاتل؛ لتجف الجروح، وتستمر الثورة، وهذا لا يحدث إلا لعاشق.

ويؤكد غسان كنفاني على أن العاشق من أحب الثورة، ولم يحس بنارها،" إن نار العشق التي تكويه من الداخل أشد حرارة من النار التي داس عليها، ولذلك لم يحس بها، إنه عاشق، وهكذا فقد قاسم اسمه دفعة واحدة " [4]، فعلى المعلمين في المدارس أن يزرعوا في نفوس أبنائهم الطلاب حب الثورة، وعشق الجهاد والتضحية، وبذل الغالي والنفيس من أجلها، فهي شرف الأمة.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص415.
2) السابق: 424.
3) السابق: 427.
4) السابق: 428.

والأمر كله بيد الله – عز وجل –، يقدر كل شيء في هذا الكون، بما يشاء وكيفما يشاء، "إن مستقبل إنسان كامل تراه فجأة متعلقاً بحادث صغير لا قيمة له، إن عقدة المسبحة أصغر من حباتها ولكنها إذا انفكت كرت ثلاث وثلاثون حبة واحدة أثر الأخرى، وأحياناً ينجرف الماعز الأكبر في القطيع وراء قشرة برتقالة فيتبعه القطيع بأكملهن وقد يجتاز سياجاً فيشتبك الرعاة بالمزارعين، ويموت ناس، وتفقد دواب، وتعقد ولائم صلح، فيأكل فقراء القرية ومجانينها وأطفالها العراة وخيلها وبقرها، ويرى مدعو ما فتاة ما هناك فيخطبها، ويتزوجها، وتنجب له أولاداً وبناتاً، يعيشون ويموتون، ويمشي في جنازاتهم رجال لا يعرفونهم " [1]، إنه الإيمان بالقضاء والقدر، فقد تحدث أشياء صغيرة لا قيمة لها في حكم البشرية، يترتب عليها خسائر فادحة في الأرواح والأموال والممتلكات، فالمقدر مكتوب علينا، لذلك فلا خوف من الثورة والنضال، والدليل خالد بن الوليد القائد المسلم، سيف الله المسلول يموت على فراشه، فلا نامت أعين الجبناء.

وعلى الثائر أن يكون رجلاً متيناً ينبت فجأة أمام الناس، كما حدث مع قاسم، وبدل أن يتجه مثل كل الناس إلى الأشياء تتجه إليه الأشياء من تلقائها، فيأتي إليه قيم مزارع الشيخ سليمان، للعمل في المزرعة وأخذ الخضار إلى الحسبة، وبعد الموافقة والذهاب إلى عكا وقبل أن يدور حول الساحة متجهاً إلى الحسبة " وجد نفسه محاصراً ... فلم يقاوم... فقد سهل على العسكري الذي كان أكثرهم حماساً ربط القيود حول معصميه " [2]، فَقُيد بالقيود وصعد إلى السيارة دون الاستعانة بأيما شيء، مع عدم الاكتراث بشماتة الشامتين، وعلى الثائر أن يتحمل ما يحدث له من مفاجآت، قاسم قبض عليه على أنه مجرم خطير، وتخلى عنه الشيخ سليمان، بل عاقب الرئيس بالطرد من المزارع، وحلف " يميناً بالطلاق أن يرمي الرئيس بالرصاص إذا رآه في الغبسية من هنا إلى الأبد " [3]، ووضع قاسم في سجن عكا.

والثائر في سجنه في انتفاضة حتى يفرج عنه؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يكون إلا محصلة تجاربه، وهو يفترض دائماً أن الأمور ستعبر مهما حدث، ولا بد من اعتيادها، واعتيادها واجب لا فرار منه، وأن الزوبعة ستدور دورتها الغاضبة ثم تزول.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص429.
2) السابق: 432.
3) السابق: 434.

ويؤكد غسان في روايته (العاشق) أن الشماتة من الأعداء بأهل الثورة واردة، فالكابتن بلاك يتحدث عن قاسم وفي صوته رنة الثأر الدفين الذي انتعش،" سأحتفظ به في سجن عكا من دون كل الناس، أعرف أنه صار ينبغي أن يفتح ملفه من جديد ولكني سأبقيه هنا، أتفرج عليه كل يوم " [1]، فاليوم تفتح الملفات، والتهم تكثر، والتهديد بإطلاق النار أمر حتمي، ولكن الثائر من أجل قضيته يتحمل ويصمد، ويكره الفرار؛ لأنه موت للرجال، ويسخر الله لهم الأقدار، " لم يهرب عبد الكريم فقط ولكنه هرب أيضاً بحصان الجابي " [2]، طار عبد الكريم "قاسم" مثل الحلم ومعه حصان الجابي، وآلاف من الجنيهات مرتبة ومربوطة، وكذلك الأرض تثور على مغتصبيها، إنها الثورة الفلسطينية، وإن أراد الكابتن بلاك أن يقبض على قاسم فعليه " أولاً القبض على الأرض " [3]؛ لأنها المتواطئة والمشاركة معه في الهرب.

كما وأن الثورة بحاجة ملحة إلى سلاح، وبنادق جاهزة للدفاع عنها، فلا ينفع حمل بندقية غير محشوة في لحظة تحبل بالخطر، فلا بد من أخذ الحيطة والحذر، وترك الغيظ يأكل الأعداء ويقلق راحتهم، ويكون كالكابوس الطويل،" وطول شهور مديدة كان عبد الكريم كل شيء في حياة الكابتن بلاك، يمثل أمامه، ليل نهار، اليأس والأمل والخيبة والانتصار والدين والسداد في آن واحد، كان جزءاً من مشاعره...، وحتى عيد الميلاد كان بالنسبة للكابتن بلاك مناسبة يقيسها على عبد الكريم، وهو لن ينسى يوم قال له كئيباً: بودي لو أستطيع أن أتمتع بإجازة "[4]، فقاسم كان كالكابوس يدك مضجع وحلم الكابتن بلاك، حتى أصبحا وكأنهما عائلة واحدة لا يفترقان، ولو شنق قاسم أول من سيبكيه الكابتن بلاك، فكل حسابات بلاك مرتبطة بقاسم، حتى أمنيته كانت القبض على قاسم قبل عيد الميلاد؛ ليتمتع بالإجازة.

ولقد استخدم غسان كنفاني التدرج في الوصول إلى شخصية حسنين، قاسم ثم عبد الكريم ثم حسنين، الرجل القوي الذي ذهب مثل عشرات الفلاحين للعمل عند الحاج عباس في حقول التبغ، يقطف ويحرس وينقل ويحصي، ويطمئن إليه من يعمل معه، تركته أمه بعد خبر موت

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص441.
2) السابق: 446.
3) السابق: 447.
4) السابق: 451.

والدها، تركته يتدبر أمره، ويجمع قليلاً من المال يعيده إلى بلد أمه التي لم يرها في حياته، فيعجب به الشيخ عباس، ويقول في نفسه:" هذا هو زوج زينب " [1]، إنها لحظات الإعجاب بالرجال.

كما ويؤكد غسان كنفاني على أن الأقدار هي التي تفجر الثورة، وينخرط فيها الشرفاء من أبناء الوطن، وها هو زيد ينضم إليها، فكان الثمن استشهاده،" لقد التحق زيد بالشيخ القسام في تلال يعبد مجذوباً بالكلمة القصيرة الكافية التي يقولها ذلك الرجل: موتوا شهداء ، فمات زيد وضاعت أخبار زوجته وظلت زينب في بيتنا، وقالت زوجتي: نتركها هنا، وغداً تكبر فتخدم وتنفع ويأتي نصيبها فتتزوج ونكسب ثوابها... فأي ثواب أكثر من أن نزوجها لرجل لا يعرف عنها إلا أنها من داري " [2]، فالثورة من نتائجها إما النصر أو الشهادة، وبجانب زيد كان قاسم يعارك بلاك وأعوانه.

وأخيراً يكشف غسان كنفاني في رواية (العاشق) عن كرم الله تعالى، ورزقه للعبد، فالحاج عباس يقول لحسنين:" سأعطيك زينب يا حسنين إن نويت على خير " [3]، فهذا كرم من الله لمن يحسن العمل، ويحارب المحتل ليسترد أرضه، فالجزاء من جنس العمل، فرُزق حسنين بالعمل والزوجة الصالحة الطيبة، إنها كرامات الثورة في وجه المعتدين.

المضمون السادس: الاحتلال (رواية الأعمى والأطرش).

إن الاحتلال هو السبب الرئيس فيما حدث للشعب الفلسطيني منذ البداية، الانتداب البريطاني كان احتلالاً، وبالاتفاق مع اليهود سقطت فلسطين في قبضتهم، استمر الاحتلال حتى يومنا هذا، ومع المحتل يأتي الجهل والمرض والفقر، إنها أمور متلازمة، فالمحتل ينشرها بين الناس ؛ ليكتم نار الثورة، ويجعل الشعب لا يفكر إلا في لقمة العيش، وكيفية الحصول عليها، وينشر بين أبنائه الخرافات والشعوذات والإشاعات؛ للسيطرة عليه، وبالنظر إلى حمدان الطفل الصغير في رواية الأعمى والأطرش، تمضي به أمه إلى قبور كل الأولياء الصالحين، المزروعة في كل

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص455.
2) السابق: 457.
3) السابق: 464.

حي وعلى درب كل قرية،" وسكبوا هناك على عيني من الزيت والدعاء ما يذوب جبلاً " [1]، إنه الجهل الذي يجلبه الاحتلال معه؛ للسيطرة على البلاد والعباد.

ويؤكد غسان كنفاني على ما جلبه الاحتلال من ويلات، ومنها التسول والوقوف في طوابير الإغاثة والإعاشة، بعد الحرب العالمية الأولى حيث وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، وتقديم المساعدات لهم؛ لستر المحتل وجرائمه التي ترتكب بحجة توفير الأمن لمستعمريه وعملائهم،" لكن الحقائق الكبيرة كما يبدو لا تحتاج إلى مناسبات، كنت أناول رجلاً ما كيس الإعاشة، وكنت أقول: عيشة النكد هذه، أود لو..." [2]، هذا النكد جلبه المحتل بعد أن وقعت الديار في قبضته، إنه حرم أبناء الأرض الأصليين من أرضهم وخيراتها، وجعلهم مستخدمين عنده، بعد أن استولى على أراضيهم وجعلهم يعملون فيها مقابل أجرة، أي ألم ونكد جلبه لنا الاحتلال.

ولعل أوضح ما يقال في المحتل وجرائمه ما وصل إليه الشعب الفلسطيني من تشرد ولجوء، فتحول اسمه من مواطن وابن البلد، إلى لاجئ، يستحق بطاقة التموين، بل يبحث عنها رغماً عن أنفه، لسوء الحال الذي وضعنا فيه المحتل بعد احتلال فلسطين،" في قاع الساعات الرتيبة لحياة لا يعرف أحد كيف تسير ولا إلى أين. ومنذ عشرين سنة وأنا جالس هنا، أناول الأكياس لصفوف لا تنتهي من اللاجئين، منذ عشرين سنة يمتد أمام بصري هذا الصف الطويل من الرجال والنساء والأطفال، يتحركون أمامي كالأشباح، يتدافعون بلا صوت " [3]، منذ عشرين سنة أي بعد سقوط فلسطين في قبضة الاحتلال الصهيوني بعد عام 1948، تحول الناس إلى أشباح، يقفون في صفوف الإعاشة، ويتناولون أكياس الطحين والفول وصفائح السمن، وقد يكون الطحين قليلاً أو فاسداً، والعالم ينظر إليهم وكأنه يغطس في حوض ماء، لا يرى ما يحدث لفلسطين وشعبها من قتل وتشريد على يد الاحتلال، واكتفى بتقديم المساعدات لهم.

لكن غسان كنفاني في رواية (الأعمى والأطرش) يفصل فيما ترتب عن الاحتلال لفلسطين، فوكالة الغوث اختارت رجلاً لا يسمع الأصوات أطرشاً؛ ليتحمل الطوفان من الغضب الكسيح

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص473.
2) السابق: 479.
3) السابق: 480.

من اللاجئين، إنها " عشرون سنة متواصلة... لقد كنت البوابة الحديدية لقصر المحسنين... ملايين اللاجئين يعومون داخل حوض زجاجي كالأسماك الصغيرة العاجزة، دون صوت " [1]، ماذا تفعل لمحتل لا يرحم؟ إنها الأقدار لشعب فلسطين، وعيشة النكد التي جلبها الاحتلال.

وعند غسان كنفاني يجتمع الأعمى والأطرش بجوار قبر الولي عبد العاطي؛ لطلب البصر والرؤية، الأطرش لطلب السمع، فإنه أصم لا يسمع، وأمام هذه الخرافات يقف العاجزون،" إنني أعلق عليك عمري كما يعلق القميص " [2]، وهذا الأمر ليس من الإسلام، ومنهي عنه، ولكن الاحتلال يبقي عليه ويغذيه؛ لنشر الخرافات بين الناس،" قرأوا لي اليوم في الجريدة أن امرأة لم تنجب طوال عشرة أعوام، إنفك عنها الرصد ببركة الولي عبد العاطي " [3]، وهذا ما يبحث عنه الاحتلال، ليعيش الناس في تيهان وضلالة، ويضعف إيمانهم، لأن بالإيمان تقوى العزائم، ويبحث المؤمن عن وطنه المسلوب، ويفكر بالثورة والانتفاضة في وجه المستعمر، وهذا ما لا يرضى عنه الاحتلال، ويبذل كل ما في وسعه من أجل الاستمرار في بسط السيطرة على الأرض والشعب.

وعلى الأيام أن تجمع بين اللاجئين المشردين؛ لرص الصفوف على أرض فلسطين، كما جمعت بين الأعمى والأطرش في مكان واحد، " اثنان من طيرة حيفا، يلتقيان بالصدفة حول حبة الفقع! أليس ذلك معجزة يا عبد العاطي؟ " [4] ، فمن الأولى أن يجتمع الشعب مع قيادته لطرد المحتل.

كما ويوجد عند غسان كنفاني الكثير من الدلالات والإيحاءات المرسومة بدقة، والتي تشير إلى المخيمات الفلسطينية ووكالة الغوث الدولية، فالأعمي دليل على الظلام المخيم على الشعب وهو ما يجلبه الاحتلال، والأطرش دليل على الصمت، والمتمثل في العالم المتفرج على الاحتلال والضحية، والأعمى والأطرش يعنيان الثورة والتمرد على الواقع المفروض على الجماهير الفلسطينية، المعذبين المقهورين من الاحتلال وقمعه.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص481.
2) السابق: 486.
3) السابق: 498.
4) السابق: 501.

ولقد اختار غسان كنفاني مجموعة من الكلمات والعبارات المقترنة بالاحتلال،" في وهم المنهزمين... أن تنتهك زوجها... في طابور المنسيين... ينبض بالبؤس... سلبتك اسمك وأعطيته لرجل حي ينبض بالبؤس " [1]، وكأنها ثورة على الاحتلال وجرائمه المرتكبة في حق الشعب كالنار الضروس،" وأنا الآن ربما لأول مرة أرى في الظلمة المحيطة بعيني حقيقة تتوهج بضوء لا قبل لأحد على احتماله... أتحداك...وإذا كان المبصرون يرون في الفطر نبياً ووليا يجترح المعجزات، فأنا الذي رأيته بأصابعي، ثمرة من الطيش تنزلق على سفح أحلامنا مثلما التفاهة تنمو وتنقرض، ولقد طرحتك" [2]، فالاحتلال ثمرة شيطانية من ثمار الانتداب البريطاني على فلسطين.

ولقد أثبتت رواية (الأعمى والأطرش) أن ما يقدم للشعب الفلسطيني من تسهيلات ومساعدات لوجود الاحتلال إنما هي خيبة أمل في عالم متفرج لا يحسن العمل،" لقد عرفت أمي قبور كل الأولياء، صحيح، ولكنها لم تعرف فيها إلا الخيبة " [3]، فالدول تقدم الإحسان للفقراء والمحتاجين، ولكنها تنسى أو تتجاهل حقهم في الوجود على أرضهم، وحقهم في إقامة دولتهم، وطرد الاحتلال منها.

وهاهو غسان كنفاني يبين سنوات الاحتلال،" كل يوم نسجل أسماء جديدة لأطفال يولدون، ونقول: بزر جديد، اللاجئون الذين أضاعوا التراب يحرثون ويزرعون الفراش! وهذا الصف الطويل من البشر، واقف مثل طريق مسفلت متعرج يمتد من عام 48 إلى 1967 ، ليس فيه ثغرة واحدة، مثل الطرق الصحراوية في دول النفط" [4]، فما كان اللجوء والصف الطويل، الذي طوله عشرون سنة من البشر إلا بالاحتلال، ومازال حتى يومنا هذا، وتحول الخبز والمحافظة على الإعاشة كالمحافظة على الأولاد والعرض، لا يمكن الاستغناء عنه من زينة وأولادها، كباقي المنهزمين المكسورين المحزونين.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص504.
2) السابق: 506.
3) السابق: 509.
4) السابق 514.

إن الولادة الجديدة للثورة لا بد من بزوغها، وتتمثل في المجاهدين كالشيخ حسنين،" قد انضم الشيخ حسنين إلى المجاهدين في الطيرة... ولكنه في الحقيقة كان مقاتلاً من الدرجة الأولى، وكان دوره مهماً إلى أن استشهد ذات ليلة، وأخفق الرجال في العثور على جثته من فرط ما كان متقدماً على خطوط البلدة " [1]، فلا بد من الثورة للخلاص من الاحتلال.

وأكثر ما يغيض الاحتلال الانتفاضة في وجهه، والثورة عليه، ومحاربته بكل الوسائل، ولا يقوم بذلك إلا الفدائيون، ولا سيما عند رسم غسان كنفاني لوالد حمدان صورة تضفي العديد من الإيحاءات،" لقد عاد والدي، أطلقوا سراحه أمس، إن والده كان محبوساً... دخل السجن قبل نحو 12 سنة... الحرب والهزيمة والفدائيون... وما علاقة والدك بالحرب والهزيمة والفدائيين؟ كان فدائياً " [2]، إن هذا القول يعني الثورة ضد المحتل، والسجن لمن يقاوم المحتل، والحبس المؤبد لمن خطط وأطلق الرصاص، وأوقع الخسائر في صفوف الاحتلال، وكان شوكة في حلقه.

ولعل أوضح الطرق في مقاومة المحتل والقضاء عليه، هو الالتحاق بصفوف المقاومة، كما فعل مصطفى، الذي كان يتغيب عن مكتب الإعاشة بين الفينة والأخرى، ثم امتد غيابه أسبوعاً، وحين عاد كان يلبس بدلة، ويحمل مسدساً كبيراً كان يدسه تحت حزامه، فقد أصبح مصطفى فدائياً، وكان يتدرب باستمرار على استخدام مختلف الأسلحة،" وأنه قد تسلم قيادة مجموعة من الفدائيين الشبان التحقوا قبل فترة وجيزة بالثورة الآخذة في الصعود " [3]، إنه من أجل الوطن، والتحرير والاستقلال.

المضمون السابع: المخيم والشهادة (رواية برقوق نيسان).

كانت برقوق نيسان هي آخر رواية " كتبها، وكان ذلك حديثاً، وكان قلمه قد توقف فيها عند لحظة من لحظات أوجها، ولم يكن بعد قد اختار لها عنواناً " [4].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص526.
2) السابق: 550.
3) السابق: 558.
4) السابق: 416.

ومن المؤكد أن المخيم جاء على أثر الاحتلال، ونتج عنه بعد القتل والخراب، فأقيمت المخيمات للاجئين بعد حرب 1948 ،" فقاسم خليل ولد في طيرة دندن قرب يافا عام 1940 ... وقد أصبح لاجئاً في نيسان من عام 1948 ... وبعد ذلك سكن في أحد بيوت الصفيح في مخيم عقبة جبر قرب أريحا مع أبويه... كان يعمل أجيراً في كراج للسيارات في أريحا... وكانت آماله أن يصبح ميكانيكي طائرات، أو مالكاً لكراجه الخاص، إلا أنه في الخامسة والعشرين تخلى عن هذه المطامح... وفكر في أن ينشئ حزباً فدائياً بنفسه " [1]، فاللجوء يعني الحرب والشتات، وترك دندن قرب يافا مسقط رأسه والذهاب إلى أريحا يعني القهر والطرد وترك الوطن، والهجرة ظلماً وعدواناً، والسكن في بيت صفيح دليل على الذل والهوان والفقر الذي وصل إليه الناس جراء الاحتلال لفلسطين، وترك الدراسة والعمل كأجير في كراج، دليل على فقر الأسرة، وفكرة إنشاء الحزب الفدائي دليل على ولادة الثورة الفلسطينية؛ لتحرير الأرض.

ومن المخيم تتفجر الانتفاضة، ومع بدء حرب 1967 التحق قاسم بالفدائيين، تاركاً أباه ومخيم عقبة جبر، وفي نيسان من عام 1970 استشهد مع مجموعة من الفدائيين جنوبي البحر الميت " وقد استمرت المعركة عدة ساعات... وهكذا أخلي سبيل الرجل العجوز بعدما سجل توقيعه وتعهداته على أوراق عديدة تنص على أنه سيتحمل بنفسه مسؤولية أي عمل يمكن لابنه قاسم الذي يعيش شرقي النهر أن يرتكبه ضد سلطات الاحتلال " [2]، إنه درب التحرير، ورفض الضيم، وضريبة الثورة التي يدفعها الفدائي وأهله.

كما وفي رواية (برقوق نيسان) يأتي غسان كنفاني بصورة غريبة للشهيد،" بدن الأرض مثل بدن رجل مثقب بالرصاص، يتضرج بزهر البرقوق، ويكاد المرء يسمع نزيز الدم يتدفق من تحته، ولا ريب أن قاسم بدا كذلك بعد هنيهات من سقوطه، ثم ذبلت بقع الدم على سترته الخاكية مثلما تجفف شمس الصيف المتوقد أوراق البرقوق الهشة " [3]، حيث صور بدن الأرض المتضرج بزهر البرقوق بجسد الشهيد المثقب بالرصاص.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 581.
2) السابق: 582.
3) السابق: 585.

ومن المخيم يخرج الجيل الثائر،" فقد التحقت سعاد بالذراع الفلسطيني للحركة الذي كان قد بنى تنظيماً فدائياً صغيراً أطلق عليه اسم شباب الثأر، وكانت تشعر بشيء من الاعتزاز حين كلفت بالقيام باتصال صغير في نابلس إبان عطلتها الصيفية، والعمل على بناء خلية هناك... وكانت القدرات التي أظهرتها في الاتصال وفي العمل هي التي أوصلتها في فترة وجيزة إلى مرتبة قيادية في نابلس" [1]، فالتنظيم الفدائي يعني مجموعة من المناضلين الثائرين على المحتل، ومنهم قد يكون الشهداء أو الأسرى أو الجرحى، وشباب الثأر توحي بالتضحية والفداء.

من هنا نرى أن الشهادة شرف وبطولة وإرادة رجال،" وكان قاسم هناك، ممدوداً على الطاولة وقد نظرت إليه لحظة واحدة فحسب، ثم أخذت أنظر إلى راحة يده، ورأيت فيها إرادة رجل بطل ظل ممسكاً بسلاحه حتى اللحظة الأخيرة، ولم تفرد أصابعه إلا بالقوة، وبعد أن مات، وسألوه إن كان يعرفه، فنفى ذلك بشدة " [2]، فالمخفر الاسرائيلي أرسل شرطيين لاستدعاء أبي القاسم؛ لتعرض عليه جثة أحد الفدائيين القتلى، فكان الشهيد ابنه، قاتل المحتل وأعوانه ببطولة وبسالة حتى اللحظة الأخيرة من عمره، وهذا دليل على الصمود في وجه الترسانة العسكرية الصهيونية من قبل الفدائيين الفلسطينيين، ولم تفرد أصابعه إلا بالقوة وبعد مماته، وهذا دليل على تمسك قاسم بسلاحه وعدم التفريط به، لأن السلاح شرف المناضل، ودليل آخر على قوته وشجاعته، وأما عدم التعرف على ابنه في المخفر والنفي بشدة، دليل على أن ما يفعله اليهود اليوم من اعتقال لذوي الشهداء، ونسف البيوت ودفع الغرامات، والتهجير، هو ما كان يفعله اليهود مع الشهداء وأهلهم من قبل، مما دفع أبو القاسم وبشدة نفي معرفة الشهيد، ولأنه لا يتحمل السجن أو الضرب، فهو رجل عجوز.

ومن الواضح أن والد الشهيد مستباح، ومتابع من الاحتلال ومن معه،" إلا أنه فوجئ بقبضة قوية تعض كتفه، وتجذبه بعنف إلى الداخل، ثم سمع اصطفاق الباب وراءه مثل انفجار، وحين استرد توازنه على المقعد الذي قذف إليه، أطلت عليه ثلاثة رشيشات، ووراءها وقف جنديان وضابط، وفتح أبو القاسم فمه دون أن ينوي قول شيء معين " [3]، فالقبضة القوية التي عضت

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 586.
2) السابق: 587.
3) السابق589.

كتف أبي القاسم تعني قسوة المحتل وجنوده في التعامل مع آباء الشهداء، وتوحي بالعنف الممارس ضد المناضلين، ورشيشات تصغير لرشاشات وهذا يعني تحقير السلاح الذي يحمله الصهاينة، وعدم الخوف منه من قبل الشرفاء.

وكان مما يفعله اليهود للشعب المناضل الاعتقال والتحقيق والسجن والتعذيب، " لقد قبض الإسرائيليون على إحدى الرفيقات، وأخشى أن تعترف بعلاقتها بي، لا أستطيع الذهاب إلى المنزل، وأحس بشيء من الخوف... إن المسألة معقدة... أسلوبهم هو أن يتسللوا إلى البيت كي يقبضوا على أكبر عدد ممكن من المتصلين بي، لا أريدهم أن يقبضوا على طلال " [1]، إنها سياسة إسرائيل في مواجهة المناضلين ومن يساعدهم في الثورة والمقاومة.

ولكن غسان كنفاني يفضل المواجهة والتحذير من المحتل ووجوده، فأبو القاسم " لماذا تقبضون علينا؟ ماذا فعلنا؟ إننا أبرياء، وانتفض عليه الضابط وصفعه بقفا كفه على وجهه فألقاه على الأرض، واندفع الجنديان نحوه وجراه بعيداً إلى الداخل، فيما ركض الضابط باتجاه الباب، وألصق أذنه هنيهة على الخشب، ثم فتحه بعنف واتجه إلى الخارج، ووضع أحد الجنديين ركبته على صدر أبي القاسم، وصوب فوهة الرشاش إلى رأسه " [2]، السؤال من أبي القاسم للضابط عن سبب القبض؛ يستدعي الصفع على الخد، والجر على الأرض، والدعس بالركب على الصدر، ونزيف الفم بالدم حتى يتسرب إلى شعر اللحية، أي جرم ارتكبه أبو القاسم ليستحق ذلك؟ الجريمة أنه وقع تحت الاحتلال، وأغاظه هروب المناضل قبل القبض عليه، إنه الثمن الذي يُدفع للشهادة والتحرير.

المضمون الثامن: الصمت الشيء الآخر (رواية من قتل ليلى الحايك؟).

الصمت نوعان: حسن ومذموم، الحسن ما ليس في الكلام خير، والمذموم إن كان في الكلام خير.

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص601.
2) السابق: 607.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت" [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من سُئل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار" [2].

ولقد كرم الله – عز وجل– الإنسان، ومنحه العقل؛ ليتدبر به أموره في هذا الكون، والدليل على ذلك أنه سوف يحاسب على أعماله يوم القيامة، وقد أعدّ الله له إما الجنة وإما النار، والإنسان هو من يختار الصمت أو الكلام، وحسب الموقف الذي يتعرض له،" لقد تكلمت كثيراً في الساعات الأولى، دافعت عن نفسي بالحقائق التي يستطيع الرجل المفرد أن يراها، ثم فجأة – كما ينشدّ حبل ما حول عنق إنسان فيرفع في لحظة واحدة جداراً حاسماً بين الموت والحياة – قررت أن أصمت " [3]، فإن لم ينفع الكلام المدعم بالحقائق في موقف ما، فقرار الصمت أولى وأفضل، لأن الكلام في هذه اللحظات لا فائدة منه.

كما وأن الصمت في بعض المواقف قوة من الرجال، وليس ضعفاً، وإن استغربه الكثير،" لقد استغرب الكثيرون مني أنا بالذات أن ألتزم الصمت في حين أخذت الدلائل كلها تدفعني أكثر فأكثر نحو حبل المشنقة .. أنا الذي ما تعودت أن أصمت حين كان الموت يهدد الرجال الذين سلموني بقدرية لا مثيل لها، حبال مصائرهم " [4]، فالدلائل والإيحاءات متعددة فيما سبق، المتحدث، وعمق تفكيره، واقتناعه بمايفعل، مما يدفع الآخرين لاستغراب صمته في بعض الأحيان.

كما ويبين غسان كنفاني أنه لا بد من تبرير الصمت حتى تقنع الحضور،" أنا لم أقتل ليلى الحايك! تقولين: إذن لماذا التزمت الصمت طوال الوقت؟ ما الذي ربط لسانك؟ لماذا لم تدافع عن حياتك أنت الذي خلصت حياة الكثيرين من حبل المشنقة؟... لقد كان صمتي إعلاناً راعداً عن شيء آخر في حياتنا ... شيء آخر هو الذي قتل ليلى الحايك، شيء لم يعرفه القانون، ولا

1) رياض الصالحين، أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي، ط9، 1986، ص116.
2) السابق: 387.
3) الشيء الآخر "من قتل ليلى الحايك؟"، غسان كنفاني، ط1، 2013، ص6.
4) السابق: 6.

يريد أن يعرفه.. شيء موجود فينا، فيك أنت..." [1] ، فالصمت يحتاج إلى مبررات، ومن يُنقذ حياة الناس بكلامه المقنع الملتزم ، فكيف به يصمت عند الدفاع عن نفسه، ولكن الصمت كان فيه إعلان عن عدم الفائدة من الكلام.

ولعل أوضح ما يدفع الإنسان إلى الصمت اكتشاف الحقائق،" نعم أنا جزء من الجريمة، وأنت كذلك... ولكن الذي نفّذ الجريمة هو وحش غامض ما زال – وسيظل – طليقاً، لقد صمتُ حين اكتشفت هذه الحقيقة فجأة.. وجدت نفسي في الفخ ... ولذلك قررت أن أصمت"[2]، فالصمت جاء بقرار من الداخل، وهو أن الصمت أفضل من الحديث، فالمفاجأة تجعل الإنسان أكثر صمتاً.

وبالصمت نضع الناس أمام الحقائق بالدلائل والبراهين،" أنا في الواقع أضع على كتفيك الحمل الثقيل الذي واجهته بالصمت.. فإذا اخترتِ أن تواصلي الصمت وتطوي المسألة برمّتها فهذا يعني أنني أنا أيضاً كنت على صواب، وإذا اخترتِ أن تفتحي الملف أمام القضاء مرة أخرى فسترين بعينيك أنك ستدخلين إلى عالم غريب لا مخرج منه، تفضلين فيه لو أنك اخترت – مثلي – أن تصمتي" [3]، فالخوف من المحاكم القضائية وإجراءاتها يدفعان الفرد إلى التزام الصمت في بعض الأحيان.

ومما يدفع الإنسان إلى الصمت الأسر، فالسجين في زنزانته يفضل الصمت على الحديث والكلام؛ لأنه لوحده، والحديث مع النفس يتعبها، ويجعل للزمن حساباً مراً،" وفي الشهور التي قضيتها سجيناً نشأت علاقة من نوع جديد بيني وبين الزمن، لقد كفّ عن أن يكون بالنسبة لي علاقة مع الناس ومع نفسي، وأضحى خصماً محضاً " [4]، فالسجن يجلب الصمت لجليسه، فكيف لو كانت المدة خمسة شهور في غرفة مغلقة، بلا أمل تقريباً، فالزمن يكون هنا فارغاً، وليس كباقي الناس في الخارج من يعمل أو من يوشك على الانتهاء من عمله، أما مع السجين فيكون الوقت فظاً على النفس وأقل أهمية.

---

1) الشيء الآخر "من قتل ليلى الحايك؟"، غسان كنفاني، ط1، 2013، ص7.
2) السابق: 8.
3) السابق: 8- 9.
4) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص18.

ومن أسباب الصمت عدم القدرة على الإجابة،" لماذا تعتقد أن ليلى الحايك امرأة سهلة؟ وفي تلك اللحظة بالذات فقط، قررت أن أبذل المحاولة، ذلك أنه ليس بوسعي إعطاء جواب آخر، ليس لزوجتي فحسب، ولكن لنفسي أيضاً. وحين التزمت الصمت سألت زوجتي مرة أخرى" [1]، فغموض الأمر يلزم صاحبه التوضيح، وعند العجز والضعف لا بد من الصمت للهروب من الإجابة.

ويكون الصمت من أجل تسهيل مهمة الحديث للمتحدث،" أجل، إنه موضوع صعب كما يبدو، ولذلك فهو يحرص على خلق جو من الصداقة الحميمة قبل الشروع في الحديث، وحاولت أن أسهل له مهمته بالصمت، والابتسام مستشعراً قلقاً غامضاً " [2]، فالصمت مفتاح الحديث للمتكلم، يتركه المستمع؛ لإفساح المجال للمرسل من الاسترسال في الكلام.

ويفصل غسان كنفاني في الصمت، فيكون الصمت من أجل التفكير، ويأتي أيضاً عند المواقف الطارئة والمضادة والصعبة،" إنني أعرف ذلك كله، وقد فكرت فيه ملياً، إلا أن الأقدار وجدت حلاً ما، هو الذي من أجله طلبت مقابلتك، وبدأنا نأكل صامتين، ولم أستعجله لأنني كنت أود التفكير بالأمر، إنني لم أواجه قط مثل هذا الموقف، واجهت عشرات من المواقف المضادة، ولكن أبداً لم يجئ إنسان عندي كي أساعده في التخلص من ثروة " [3]، فالتفكير يلزمك بالصمت حتى لا يخرج ما تندم عليه، وقد يكون الصمت من أجل التفكير فيما قيل وما سيقال،" وصمتَ قليلاً وفكّر فيما قاله باعتناء، ثم وصل إلى المرحلة الأخيرة، إن ذلك كله يحتاج إلى محام لامع، لا تربطه بنا علاقة وثيقة، ويتمتع بأمانة وسمعة تجعلانه يحجم عن استغلال قضية من هذا النوع " [4]، فالصمت يَلزم لمتابعة الحديث والقدرة على المواصلة، ويكون لتجميع الأفكار والمتابعة، واستحضار الحجج والبراهين.

ويكون الصمت من أجل قبول العرض، والموافقة على الأمر،" إن ديما في بغداد... حين تكون ديما غائبة أنقطع عادة عن تناول وجبات منظمة، وصمتت، في حين انفتحت حواس

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك؟"، غسان كنفاني، ط1، 2013، ص22.
2) السابق: 28.
3) السابق: 30.
4) السابق: 32.

الأنثى الألف على وسعها، كشبكات التقاط هائلة متحفزة للاصطياد، ومضيتُ: لو لم يكن سعيد يكرهني بسبب هذه القضية اللعينة، لدعوت نفسي للعشاء عندكما... قالت: إنه مسافر، إذن لماذا لا نتعشّى معا؟" [1]، فالصمت يعني القبول بالأمر، ويكون الصمت أيضاً من أجل إقرار ما قيل والموافقة عليه، " كلا يا صالح، إننا نقوم بعمل سيئ، والتزمت الصمت ... وما لبثت أن قالت: كان يجب أن لا تقول ذلك، على الأقل لم أكن أتوقعه منك أنت " [2]، فالصمت دليل تصويب المسار، وتصحيح الطريق بعد التفكير.

ومن الملاحظ أن غسان كنفاني يرى أن كثرة الكلام تجلب الصمت،" ولحقتها دون أن أتوقف عن الكلام، وحين جلست في الصالون أحضرت لي بصمت كأساً من المارتيني، وجلستْ على المقعد المقابل وقالت بهدوء: الآن استطيع أن أفهم لماذا تربح قضاياك دائماً " [3]، فكثرة الكلام تسحر العقول، وتجلب الصمت، وكذلك الاضطراب والغضب يجلبان الصمت،" كنت مضطرباً وغاضباً حين فتحت الباب، ولم أتناول العشاء، ومضيت صامتاً إلى فراشي، ولم أتبادل أي كلمة مع زوجتي " [4]، فعندما يكون المرء مضطرباً وغاضباً يفضل الصمت على الحديث حتى لا يخطئ في الحديث.

ويرى غسان كنفاني أن من أسباب الصمت وجود مجموعة من الأشخاص يتبادلون النظر فيما بينهم؛ ليتحدث أحدهم،" سألت: إن ما يهمني أن لا يكون الحادث أو أنتم أيها السادة قد أوحيتم لها بأن علاقة غير مشروعة كانت تربطني بليلى؟ وتبادلوا النظر بصمت، ثم تولى رجل آخر الجواب " [5]، فالسؤال المطروح على مجموعة من الأشخاص يستدعي الصمت والتفكير والنظر فيما بينهم؛ ليتحدث أحدهم، بالإضافة إلى الحيرة عند السؤال المحتاج إلى إجابة مصيرية، وبخاصة عند الخوف من الإجابة المستعجلة.

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك؟"، غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 38.
2) السابق: 39- 40.
3) السابق: 41.
4) السابق: 57.
5) السابق: 57.

وبين أطراف الحديث يأتي الصمت، وبخاصة في أوقات التحقيقات،" إنني أجتاز بعض المصاعب الآن، ولكن هذا شيء عادي وعابر، ومضت لحظة صمت، ثم قذف المحقق أمامي علبة السجائر، وسأل: كيف سقطت هذه العلبة منك؟ " [1]، فالصمت يأتي في لحظات عند الجميع؛ لعرض أدلة وحقائق جديدة على الحضور، وعند العجز يأتي الصمت،" وأطبقت شفتي لأحبس الكلام المجنون، أطبقتهما في وجه كل شيء، تاركاً القضية كلها التي حدثت وأنا مطبق شفتي تكمل رحلتها في عالم يستعصي على الضبط، وقال المحقق: إن الصمت لن يساعد في حل القضية " [2]، فالعجز عن الاستمرار في الحديث وعدم القدرة على الإقناع يستلزم الصمت.

كما ويأتي الصمت من أجل إيقاع الحيرة في نفس الخصم،" وعلى أي حال.. كان المحققون قد احتاروا قليلاً قي صمتي " [3]. فالصمت يسبب الحيرة، والتردد في اتخاد القرار من المحقق.

كما ويؤكد غسان كنفاني على أن من دوافع الصمت السخرية بالآخرين، وعدم الاقتناع بهم، " وكان طريفاً حين اقترح عليّ بعد أن أعيته الحيلة أن يسألني أسئلة لا تحتاج في جوابها إلا أن أهزّ رأسي نفياً أو إيجاباً، ولما فشل في هذه اللعبة الطريفة أيضاً أبلغني، وهو غاضب محمر أنه يقبل التحدي " [4]، ويكون الصمت من أجل عدم الرغبة في الكلام، والاستماع للمتحدث،" وصمتت القاعة فجأة، واتجه القاضي إليّ، قافزاً فوق التقاليد والعرف، ربما لشعوره بأن صمتي أيضاً هو قفز فوق التقاليد والعرف " [5]، وكذلك الحصار بالأدلة يلزم الصمت، " إن التحقيقات القليلة التي جرت مع المتهم، قبل أن يكتشف أنه محاصر ويلتزم الصمت، تثبت ذلك بما لا يقبل الجدل" [6]، ويأتي الصمت لإخفاء الحقيقة والتمويه " إن الصمت قد يخفي جانباً من الحقيقة"[7]، وأحياناً يكون الصواب في اختيار الصمت.

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك؟"، غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 62.
2) السابق: 63.
3) السابق: 67.
4) السابق: 68.
5) السابق: 77.
6) السابق: 90.
7) السابق: 96.

كما ويعتبر الصمت أداة ممتازة في الدفاع عن النفس،" ولكن في حالة مثل حالتي، على قدر ما علمتني خبرتي، يمكن للصمت أن يكون أداة ممتازة في الدفاع إذا أحسن استعمالها، وكنت مشوقاً لمعرفة الكيفية التي سيستعملها بها " [1]، والصمت يكون حتى برفض قول لا أو نعم، ويأتي الصمت كطلب من الآخرين، " وفتح المحامي أوراقه ببطء متعمد فيما خيم صمت ثقيل، وقد حدق إليّ وهو يرفع الصفحة الأولى لفترة طويلة، كأنه يرجوني هذه المرة أن أتمسك بصمتي إلى الأبد " [2]، فالصمت الثقيل يعني انتظار مفاجأة، والصمت الأبدي يعني عدم التلفظ بأي كلمة، فما الذي يستطيع قوله متهم جميع الأدلة ضده؟.

ولقد رأينا الكثير من المتهمين في السجون يعلنون الإضراب المفتوح عن الطعام حتى الموت، قبل الوقوع في أخطاء العدالة، فالصمت هنا صراخ من النوع نفسه، أكثر عمقاً وأكثر لياقة بكرامة الإنسان، وبخاصة إذا كان البريء مغلوباً على أمره، ويكون الصمت عند عدم الرغبة في الحديث مع الحضور، كما ويكون الصمت كردة فعل لما حدث، " وفجأة ضرب المحامي منضدته بجماع كفّه فأحدثت دوياً هائلاً أعقبه صمت مطبق، وانطلق صوته الراجف وسط ذلك الصمت " [3]، ويكون الصمت من باب الإقتناع بما يقال، " لقد قوبلت تلك المرافعة بالصمت والذهول " [4]، ويأتي الصمت على أثر الذل وقلة الحيلة، " لقد ألقى والدي الاتهام بقسوة وإيجاز، وهزت أمي رأسها تعسة وعيناها ممتلئتان بالدموع، فيما ظلت الخادمة صامتة وهي تقف في الزاوية مستشعرة الذل حتى أعماقها" [5]، ويأتي الصمت كنوع من الاعتراف بارتكاب جرم ما، " وأعلن القاضي أن هيئة المحكمة قانعة تماماً بأن صمتي هو نوع من الاعتراف بالجرم وسببه وفرة الأدلة التي لم أكن أحسب لها حساب" [6]، فالصمت الطويل قد يضر بصاحبه.

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك؟"، غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 105.
2) السابق: 106.
3) السابق: 115.
4) السابق: 128.
5) السابق: 133.
6) السابق: 154.

ومن السهل على من يقرأ روايات غسان كنفاني أن يلمح فيها الوعي بقضايا المجتمع، فهي شاملة لمعظم قضاياه، وهي متكررة حتى وقتنا الحاضر، إذ طرح غسان كنفاني في روايته (رجال في الشمس) قصة الرجال الثلاثة، الذين خرجوا طلباً للرزق والاستقرار مستهزئين بوعورة الطريق، والخطر المحدق بهم من كل جانب، وأما روايته (ما تبقى لكم) فطرح فيها قضية الهجرة، وهي مكملة للرواية الأولى، وفيهما تصوير لمحاولة الفلسطيني للهجرة والهرب من الواقع، ولكن في الأولى لم يستطع أحد حتى الدق على جدران الخزان، أما في الثانية كل شيء كان يدق، الساعة في البيت تدق، والجنين في بطن مريم يدق، والخطوات على صدر الصحراء تدق، ثم يتذكر حامد صورة والده الشهيد وسالم الفدائي؛ لتبدأ عنده صحوة الضمير، حتى لا يكون علامة طريق لا ترشد إلا للضياع، ومريم تقتل الخيانة، فالخيانة ليس لها إلا الموت.

أما رواية (أم سعد) فتتحدث عن المرأة الفلسطينية، ودورها في بناء المجتمع والثورة الفلسطينية، وكذلك رواية (عائد إلى حيفا) تتناول حق العودة، وحق الفلسطيني فيه، لأن الأرض أرضه، هجر منها بالقوة، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وهي حقيقة لا يمكن أن نغفل عنها.

كما وأن رواية (العاشق) فيها تأريخ للثورة الفلسطينية، والتأكيد عليها، والعاشق من أحب الثورة.وفي رواية (الأعمى والأطرش) يتناول غسان كنفاني الاحتلال، وما جلبه لأصحاب الأرض من ويلات وتشريد ولجوء وبؤس، وأن أقصر الطرق للقضاء عليه الالتحاق بصفوف المقاومة، كما فعل مصطفى الذي كان يتغيب عن مكتب الإعاشة؛ للتدريب مع الفدائيين.

ورواية (برقوق نيسان) تناولت المخيم الذي نتج عن الاحتلال لفلسطين، ومن المخيم انفجرت الثورة في وجه الغاصب، فكان الاستشهاد، وأخيراً رواية الشيء الآخر (من قتل ليلى الحايك؟) ومضمون الصمت، وما يحمله من دلالات وإيحاءات ودوافع لحدوثه.

الفصـل الثانـي

شخصيـة الفلسطينـي والآخـر

الفصل الثاني

شخصية الفلسطيني والآخر

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: شخصية الفلسطيني.

المبحث الثاني: شخصية الآخر.

شخصية الفلسطيني والآخر

إن شخصية أي فرد تشتمل على مجموعة من السمات: الجسمية، والعقلية، والاجتماعية، والانفعالية، والتي من خلالها يتميز الإنسان عن غيره من البشر، وللوراثة والبيئة الدور البارز في تكوينها، وتشكيلها، ومن العوامل المؤثرة في التكوين والتشكيل: العوامل البيولوجية، المتمثلة في العاملين: العامل الوراثي (الأسرة)، والعامل الفسيولوجي (التغيرات الجسدية)، والعوامل الاجتماعية من الأسرة والأصدقاء والمدرسة والمسجد والطبقة الاجتماعية المنتسب إليها الفرد، بالإضافة إلى الثقافة والتعليم، والإعلام والتطور التكنولوجي، والوضع الاقتصادي والسياسي للبلد.

ولقد لعبت أحداث 1948م دوراً بارزاً في تشكيل شخصية الفلسطيني، فالعصابات الصهيونية مدججة بالسلاح والحقد والكراهية، تهجم على شعب أعزل، يواجه الترسانة العسكرية الصهيونية المدعومة من بريطانيا والانتداب بصدره العاري، تلك العصابات التي دخلت على القرى والمدن الفلسطينية وأبادتها بالكامل، ودبّ الرعب في القرى والمدن الأخرى، فكان الضياع والتشرد والشتات بين عشية وضحاها، تُرك البيت وما يحتويه من: كرامة ومال وذكريات، وهام الفلسطيني على وجهه بلا مأوى ولا طعام ولا شراب، يحمل معه ذل الهزيمة والفقر واللجوء والضياع، ضياع الوطن والأحلام الجميلة، حتى من تبقى في أرضه ورفض الخروج، كان غارقاً في مأساة الوطن الذبيح على أيدي العصابات الهمجية الصهيونية.

عاش الفلسطيني تحت الاحتلال الغاشم، هذا الجسم الغريب المتغول الذي لا يشبع، تعامل معه بحكم الجوار، فتأثر بثقافته المتنافية مع الدين؛ لامتلاكه القوة العسكرية والاقتصادية والإعلامية، وعمل الفلسطيني في أرضه كأجير عند المحتل، على أمل العودة في يوم قريب، ولكن الأيام والشهور والسنوات طالت، ومازال المحتل يحتل الوطن والشعب.

ومن الجدير بالذكر أن بعد النكبة جاءت النكسة، أحداث الأيام الستة عام 1967م، والتي كان لها الأثر الكبير على تشكيل شخصية الفلسطيني، فالآن ضاع الوطن بأكمله، بعد أن

جاءت الجيوش العربية؛ لنصرة الشعب الفلسطيني في حرب 1967م، فهُزمت، وتم احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وبذلك احتلت العصابات الصهيونية كل الأراضي الفلسطينية، وبعض الأجزاء من الأراضي العربية المجاورة، فاضطر الشعب الفلسطيني أكثر من السابق إلى التعامل مع المحتل في العمل والحياة؛ لأنه "في صراع مع لقمة العيش، والحاجات الإنسانية، والكرامة الوطنية، وتأثير الهوية، كما نرى الإنسان الفلسطيني وهو مضطر للتعامل مع عدوه الذي اغتصب أرضه " [1]، فانتشرت بعض العادات الغريبة لدى الفلسطيني، كشرب الخمر والتخابر ضد أبناء الوطن؛ للنيل من الشرفاء والمناضلين والثوار، حتى وصل التأثر والحال إلى أن يهدي اليهودي الفلسطيني في الأعياد اليهودية أوعية الخمر، ولا يرى بعض الفلسطينيين في ذلك الأمر شيئاً، وعندما تقام الأفراح العربية الفلسطينية، يقوم العامل الفلسطيني بتقديم دعوة حضور فرح لصاحب العمل اليهودي، فيحضر الفرح بهديته، ويأخذ واجبه، وقد يبيت ليلته عند الفلسطيني، ثم ينصرف إلى بيته في اليوم التالي.

هذه الأحداث والشخصيات المشاركة فيها قدمتها لنا الأعمال الأدبية الفلسطينية، وخير من قدمها وصرح بها في رواياته الروائي غسان كنفاني، فتحدث بكل وضوح عن شخصيات رجولية، وشخصيات نسائية، وطفولية، فرأينا عنده شخصية: المناضل، والثائر، والعميل، والمثقف، والعامل، والمحامي والمعلم، والأم الصابرة، والطفل الباحث عن عمل من أجل إعالة أسرته، وتحدث في رواياته عن السلبيات التي أوصلتنا إلى المزيد من الهزيمة والنكسة حتى ضياع كل فلسطين، وتحدث عن الصفات الأصيلة للشعب الفلسطيني، كحب الأرض والتمسك بها، والتضحية من أجلها بالغالي والنفيس، ولقد وضح غسان كنفاني كل ذلك، فتعددت الشخصيات في رواياته: الرجل والمرأة والطفل.

المبحث الأول: شخصية الفلسطيني.

تشتمل شخصية الفلسطيني على شخصية الرجل الفلسطيني: الأب، والمناضل، والمتمرد، والشهيد، والعميل، والعامل، والمعلم، والمحامي، وشخصية المرأة الفلسطينية: الزوجة والأم، والسلبية أو الخائنة، والمرأة العاملة، وشخصية الطفل الفلسطيني.

1) الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، علي عودة، 1990، ص60.

أ- شخصية الرجل الفلسطيني:

قدمت الرواية الفلسطينية نماذج مختلفة للرجل الفلسطيني الإيجابي والسلبي بموضوعية مقنعة ومن الواقع الفلسطيني، وحسب نفسية الروائي، فجاءت الشخصيات الآتية:

1- شخصية الأب:

تناولت الرواية الفلسطينية شخصية الأب المهتم بأسرته، المدافع عنها بكل ما يملك، الحريص على رعايتها، ففي رواية (رجال في الشمس) " لا تتحركي كثيراً، دعيني أنادي أم عمر.. أسرع.. أسرع.. يا رب الكون! " [1]، فمن خوفه على سلامة زوجته يدعوها إلى عدم الحركة، ومن أجل أسرته، وتوفير ما يلزمها من مأكل ومشرب ومسكن يعرض نفسه للخطر، " وذهب إلى دكان الرجل السمين الذي يعمل في تهريب الناس من البصرة إلى الكويت، وقف أمامه حاملاً على كتفيه كل الذل وكل الرجاء اللذين يستطيع رجل عجوز أن يحملهما " [2]، إنها مسؤولية الأب الملتزم، التي لا يستطيع التخلي عنها، مهما تقدم به العمر، " وعلى الرغم من الأهمية التربوية للأسرة، فإننا نجد كثيراً من الآباء والأمهات لا يهتمون إلا بتأمين متطلبات النمو المادية للأطفال، مثل: الغذاء واللباس والصحة والألعاب وغيرها أكثر من الاهتمام بالجوانب الاجتماعية التي يجب أن تؤهل الطفل للحياة العامة المقبلة " [3].

ويرى الباحث أن الاحتلال والفقر لم يتركا لأبي قيس التفكير في التربية والنواحي الاجتماعية بقدر التفكير في لقمة العيش.

ويوضح غسان كنفاني اهتمام الأب بأبنائه، فيقول على لسان عم أسعد لأسعد في (رواية رجال في الشمس): "سأعطيك الخمسين ديناراً التي طلبتها، وعليك أن تعرف أنها جني عمر... إنني أريدك أن تبدأ... ولو في الجحيم حتى يصير بوسعك أن تتزوج ندى.. إنني لا أستطيع أن

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص45.
2) السابق: 49.
3) دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء، باسمة حلاوة، مجلة جامعة دمشق، المجلد(27)، العدد الثالث والرابع، 2011، ص74.

أتصور ابنتي المسكينة تنتظر أكثر هل تفهمني؟. " [1]، فبعض الآباء لا يهتم بالآخرين إلا بمقدار ما فيه النفع لأبنائه.

وبعض الآباء يكابر فلا يقيم وزناً لمشاعر الأبناء والزوجة، فيترك أسرته ويطلق زوجته، ويتزوج من غيرها، والعلاقة بينهما تنافرية، كما فعل والد مروان بأسرته في رواية (رجال في الشمس)، بعد أن انقطعت أخبار زكريا في الكويت، الذي كان يرسل إلى أسرته كل شهر حوالي مئتي روبية، وروايات كثيرة تحدثت عن الأب المكابر حتى على فراش الموت، كرواية (الحاج إسماعيل) لصافي صافي، فقد تعرض في الرواية إلى وفاة الحاج إسماعيل (الأب المكابر)، ووجوده على سرير المرض وفراش الموت بعد ذلك، " فالأب يدرك أنه يقترب من الموت، ولكنه يكابر، وهو لم يهزم قط، فكيف للموت أن يهزمه " [2]، وكذلك والد مروان يكابر ويتخلى عن أسرته الفقيرة مهملاً التوافق الأسري في التعامل مع الأبناء، " لأن نوع العلاقات السائدة في الأسرة بين الوالدين من جهة، والأطفال من جهة أخرى، يحدد إلى مدى كبير شخصية الطفل وتوافقه الاجتماعي " [3]، فالأسرة التي تركها والد مروان أسرة مدمرة اجتماعياً؛ لعدم الانسجام بين الأب وأسرته.

كما وأن في رواية (رجال في الشمس) يجد غسان الأعذار لوالد مروان حين يتعمق في تفكيره، ويغوص في مشاعره " إن الرجل يريد أن يستقر في شيخوخته، لا أن يجد نفسه مجبراً على إطعام نصف دزينة من الأفواه المفتوحة... من الذي سيكمل تعليم مروان، ويشتري ملابس مي، ويحمل خبزاً لرياض وسلمى وحسن؟ من؟ إنه رجل معدم... لقد عرض عليه صديقه القديم والد شفيقة أن يتزوجها... إنها تمتلك بيتاً من ثلاث غرف في طرف البلد " [4].

ويرى الباحث أن الأب السلبي لا يفكر إلا في نفسه وراحته، والحقيقة أن الله هو الرزاق، وما على الوالد إلا السعى والاجتهاد والتعب.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص21.
2) الحاج إسماعيل، صافي صافي، 1990، ص61.
3) المشكلات النفسية للطفل وطرق علاجها، ملاك جرجس، 1990، ص28.
4) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص80.

ويبقى الأب أباً، فلا ينسى أبناءه طوال الوقت، فوالد مروان يقدم لمروان قبل سفره مبلغاً من المال، " خذ هذه عشرة دنانير.. قد تنفعك .. واكتب لنا دائماً ...وقال له أبوه: وفقك الله يا مروان يا سبع " [1]، إنها عاطفة الأبوة مهما حدث من خلافات وتضحيات.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى التضحية بالنفس كما قامر أبو قيس بحياته عندما فكر بالذهاب إلى الكويت، " تأتون إلينا من المدارس مثل الأطفال، وتحسبون أن الحياة هينة، أتحسب أن أبا قيس لم يكن يقامر بحياته.. وسوف يكون هو الخاسر!" [2] ، فالوصول إلى الكويت ليس بالأمر الهين، والطريق ليست مفروشةً بالورود.

لقد مثّل أبو قيس دور الأب الحريص على إسعاد أسرته، فلم يشفع له الشيب وضعف الجسد، " خلع أبو قيس قميصه، ولفه باعتناء تحت إبطه، وبدا صدره مشعراً وعظام كتفيه بارزة إلى الأمام " [3]، فالكبر والشيب لا يثنيان المرء عن التفكير في الأسرة، وكيفية توفير ما يلزمها، فيتوجه أبو قيس مع رفاقه إلى الكويت، " ويدل توجه هذه الشخصيات شرقاً إلى الكويت على انسلاخها المادي عن الوطن، ولكن هذا الانسلاخ لم يحل دون وجود صلات نفسية قوية، تعززها ذكريات المواقف والأحداث، وهي تترى على مخيلة أبي قيس وفكره وأحلامه " [4]، فالخروج من الوطن للعمل عند أبي قيس في الخارج من أجل العودة إليه والاستقرار فيه.

وفي رواية أم سعد يفخر أبو سعد بأبنائه، يفخر بسعد المناضل، وبسعيد الطفل الذي يحمل المرتينة، ويهزها في وجه الرجال المحتشدين بكل براعة، " ترى ذلك الولد الذي يرفع المرتينة؟ إنه ابني سعيد، أتراه؟... وأخوه الكبير سعد مع الفدائيين في الأغوار... وهذه المرأة تلد الأولاد فيصيروا فدائيين، هي تخلف وفلسطين تأخذ " [5]، ولِمَ لا؟ فالنضال شرف لكل حر غيور على قضيته.

أما في رواية (عائد إلى حيفا) والتي كتبها غسان كنفاني عام 1969م، يقدم الكاتب الأب سعيد العائد إلى حيفا بموقفه السلبي المدان من قبل فلسطين والقضية الفلسطينية، فيتحدث مع زوجته صفية عن " الحرب والهزيمة...، وعن العدو الذي وصل إلى النهر والقناة ومشارف

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص86.
2) السابق: 113.
3) السابق: 116.
4) الرؤية الفنية في أعمال غسان كنفاني الروائية، حسن عليان، 2000، ص57.
5) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص334.

دمشق خلال ساعات، وعن إطلاق النار، والراديو، ونهب الجنود للأشياء، ومنع التجول... والجار الذي لمّ أغراضه وهرب... والفلاح الذي أعدموه لحظة رأوه قرب أكبر فنادق رام الله " [1]، دون أن يفعل سعيد شيئاً لوطنه، بل هرب من فزع الحرب كما فعل الآخرون من عامة الناس.

لقد اختار الأب سعيد خيار اللامواجهة، بالرغم أنه هجر قسراً من حيفا، وبالقوة وتحت حراب العدو، الذي استولى على بيته ووطنه، لقد ترك حيفا بدون مقاومة، بل هرب كما يفعل الجبناء وقت الشدة، " إنني أعرفها، حيفا هذه، ولكنها تنكرني "[2]، تنكره حيفا لأنه تخلى عنها، وهرب دون الدفاع عنها، فوقعت فريسة سهلة في قبضة العصابات الصهيونية، " كنت أشعر أنني أعرفها، وأنها تنكرني، وجاءني الشعور ذاته وأنا في البيت، هنا ...إنه ينكرنا! ألا ينتابك هذا الشعور! إنني أعتقد أن الأمر نفسه سيحدث مع خلدون.. وسترين! " [3].

ويرى الباحث أن الكل يتنكر لسلبية سعيد التي وضع نفسه فيها، فكان بوسعه الصمود في وجه الدخيل المغتصب للأرض، والبقاء في حيفا مع زوجته وابنه.

وفي رواية (عائد إلى حيفا) يركز غسان كنفاني على القضية الفلسطينية والاحتلال ومراحل الحرب، فيقول سعيد لزوجته صفية: " لقد فتحوا الحدود فور أن أنهوا الاحتلال فجأة وفوراً...، لماذا؟ لسواد عينيك وعيني؟ لا، ذلك جزء من الحرب، إنهم يقولون لنا: تفضلوا انظروا كيف أننا أحسن منكم، وأكثر رقياً، عليكم أن تقبلوا أن تكونوا خدماً لنا، معجبين بنا " [4]، إنه الذل والهوان من العدو لأصحاب الأرض، وركام مرارة الهزيمة.

ولقد أدان الكاتب شخصية الأب سعيد؛ لأنه يتطلع إلى فلسطين الوطن بعين الذكريات، والشوق والحنين فقط، " ليل الأربعاء 21 نيسان 1948 حين غادر سعيد حيفا على متن زورق بريطاني دفع إليه دفعاً مع زوجته " [5]، تعرضت حيفا لقذائف المورتر، وعمت شوارعها الفوضى، وأغلقت الحوانيت ونوافذ البيوت، وبدأت أصوات الرصاص والمتفجرات تملأ المكان ، فلم يستطع سعيد العودة إلى البيت؛ لأن القتال كان قد اتسع، وصار الرجال المسلحين يندفعون

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص342.
2) السابق: 343.
3) السابق: 385.
4) السابق: 344.
5) السابق: 371.

من الشوارع الفرعية إلى الرئيسة وبالعكس، فشعر سعيد بأنه ضائع تماماً، ولكن ابنه خلدون الصغير في البيت، اليوم بالذات أتم " عمره خمسة شهور " [1]، إنها السلبية المرفوضة، ولكن الأب سعيد ما زال يفكر في ابنه خلدون ، بالرغم من ترك حيفا وخلدون والبيت للعصابات الصهيونية، إنها السلبية وضعف الحيلة منه.

كما أن الحنين إلى الوطن، والبحث عن الولد من الأب سعيد وزوجته يأتي بين الفينة والأخرى، " قبل أسبوع قالت له صفية، وهما في منزلهما في رام الله: إنهم يذهبون إلى كل مكان، ألا نذهب إلى حيفا؟ " [2]، ولكن لماذا الذهاب إلى حيفا؟ ، والحقيقة هي البحث عن خلدون الطفل الرضيع، " تلك الفجيعة التي شجرت في قلبيهما معاً... كانا يقولان هو ... وإن كانا قد أطلقا على أكبرهما اسم خالد وعلى البنت... خالدة " [3].

ويرى الباحث أن سعيد وصفية وقعا في: ذل الهزيمة وضياع الوطن، وذل ترك الطفل الرضيع وحده في البيت، وضياعه قبل عشرين سنة.

وعند باب الدار في حيفا يضع غسان كنفاني شخصية الأب سعيد في دائرة الصراع الداخلي والاضطراب النفسي؛ لفراق المنزل وخلدون وحيفا، والتخلي عنهم، فالكاتب يتخذ منه مواقف العرب السلبية من القضية الفلسطينية، وذلك ما فعله ابن البلد، فهو مدان كباقي العرب الذين يتفرجون على القضية وكأن الأمر لا يعنيهم، ويؤكد الأب سعيد على أن العودة إلى البيت ليس بالأمر الهين، " طبعاً نحن لم نجيء لنقول لكِ اخرجي من هنا، ذلك يحتاج إلى حرب " [4]، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

وبعد عشرين عاماً يحسم غسان كنفاني الأمر بين الأب وابنه، فيقابل الأب سعيد ابنه خلدون، الشاب طويل القامة، أو دوف اليهودي بالتبني لميريام وافرات كوشن، فتقول ميريام لخلدون: " أريد أن أقدم لك والديك ... والديك الأصليين...، أنا لا أعرف أماً غيرك، أما أبي فقد قتل في سيناء قبل 11 سنة، ولا أعرف غيركما " [5] وبذلك يرفض دوف الرجوع مع الأب سعيد ، إنه يهودي ذهب إلى الكنيس وإلى المدرسة اليهودية، ودرس العبرية، خدم في الجيش

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص380.
2) السابق: 357.
3) السابق: 358.
4) السابق: 367.
5) السابق: 397.

اليهودي، والإنسان من وجهة نظره قضية، فكيف بسهولة وبعد عشرين عاماً يظهر له والدان عربيان.

وبعد الحوار والمناقشة بين الأب سعيد ودوف اليهودي بالتبني، والمفاوضات والمواجهة الحقيقية بين الأب وابنه، يرفض دوف هروب الأب سعيد ، وتركه له: " بعد أن عرفت أنكما عربيان كنت دائماً أتساءل بيني وبين نفسي: كيف يستطيع الأب والأم أن يتركا ابنهما وهو في شهره الخامس ويهربان؟ وكيف يستطيع من هو ليس أمه وليس أباه أن يحتضناه ويربياه عشرين سنة؟ عشرين سنة؟ " [1]، وهنا يتجلى موقف الأب سعيد، فيشعر بالواقع المرير، وبالهزيمة والانكسار، نتيجة للسلبية التي سلكها في الماضي قبل عشرين سنة، فيسيطر عليه الخضوع والاستسلام، ويسلم بالأمر الواقع، لقد ضاع خلدون كما ضاعت حيفا.

في تلك اللحظات تذكر الأب سعيد ولده خالداً، ومحاولته الالتحاق بالفدائيين، " لا حاجة لتصف لي شعورك فيما بعد، فقد تكون معركتك الأولى مع فدائي اسمه خالد، وخالد هو ابني، أرجوك أن تلاحظ أنني لم أقل أنه أخوك، فالإنسان كما قلت قضية، وفي الأسبوع الماضي التحق خالد بالفدائيين " [2]، وسعيد يعرف أن هذا كذب، وأن خالداً لم يلتحق بالفدائيين، لأنه هو الذي منعه، بل مضى ذات يوم إلى حد تهديده بالتبرؤ منه إن هو عصى إرادته، والتحق بالمقاومة، فيغير الأب سعيد موقفه تجاه القضية بعد عشرين عاماً، ويندم على سلبيته، وعلى منع خالد من الالتحاق بالفدائيين، والآن يفخر بأبوته لخالد، وببزوغ خالد تظهر حركة المقاومة والثورة الفلسطينية.

ولقد اتخذ غسان كنفاني من شخصية خلدون العربي الصغير، ودوف اليهودي الكبير رمزاً لفلسطين، يتنازع عليها قطبا الصراع، الفلسطينيون واليهود، فهي بؤرة مركزية للصراع، وفي النهاية ستعود الأرض لأصحابها الأصليين، العرب المسلمين الفلسطينيين.

ثم يدخل غسان كنفاني الأب سعيد في صراعات داخلية وتساؤلات عديدة ، " ما هو الوطن؟ أهو هذان المقعدان اللذان ظلا في هذه الغرفة عشرين سنة؟ الطاولة؟ ريش الطاووس؟ صورة القدس على الجدار؟ المزلاج النحاسي؟ شجرة البلوط؟ الشرفة؟ ما هو الوطن؟ خلدون؟ أوهامنا

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 401.
2) السابق: 402.

عنه؟ الأبوة؟ البنوة؟ ما هو الوطن؟ بالنسبة لبدر اللبدة؟... إنني أسأل فقط " [1]، فالوطن هو كل شيء، الكرامة والشرف، التضحية والفداء، الإيجابية والابتعاد عن السلبية، التحرر والاستقلال.

ولو متأخراً يدرك الأب سعيد الحل لفلسطين في الموقف البطولي لخالد ورفاقه، " وأن الإنسان هو قضية، وليس لحماً ودماً يتوارثه جيل وراء جيل مثلما يتبادل البائع والزبون معلبات اللحم"[2]، ففلسطين تحتاج إلى رجال أشداء، لذلك الأب سعيد يشتاق لخالد، وأحب لو يستطيع الطيران؛ ليقبل خالداً ويبكي على كتفه؛ لأنه هو الوطن، وجدير به أن يحمل السلاح من أجل فلسطين، ويموت في سبيلها، فالوطن عند خالد هو المستقبل، وخالد شرف الأمة، ودوف عارها، وعودة فلسطين ودوف يحتاجان إلى حرب، وكان رجاء الأب سعيد أن يكون خالد قد ذهب والتحق بصفوف الفدائيين أثناء غيابه في حيفا؛ ليحقق حلم العودة، وتحرير الوطن وعودة حيفا لأهلها الأصليين.

وتُعدّ رواية (عائد إلى حيفا) من أجمل الروايات التي كتبها غسان كنفاني، فهي تطرح مأساة الشعب الفلسطيني بعمق أدبي مميز بعيداً عن الخطابات والشعارات الرنانة، وتقرر حق العودة إلى المدن والقرى الفلسطينية المسلوبة بحكم القوة على لسان الأب سعيد ، وتعطي الرواية حيزاً كبيراً للوطنية وحب الوطن؛ لأن حب الوطن من الإيمان، وبهذا يكون الفرز بين النقائض أكثر حدة، فسعيد السلبي أثناء سقوط حيفا 1948 ، يصبح إيجابياً بعد عشرين عاماً، ويقرر العودة إلى حيفا المهجر منها بقوة السلاح، ليجد ابنه خلدون قد أصبح ضابطاً في الجيش الصهيوني، " أنت في الجيش؟ ... أنا على الجانب الآخر " [3].

ويرى الباحث أنه لا بد من النقيض للفكرة الصهيونية في خالد الفدائي السائر على طريق سعد ورفاقه في رواية أم سعد.

ونعثر في رواية (الأعمى والأطرش) على نموذج جديد من الشعب الفلسطيني، تمثله شخصية أبي قيس (الأطرش)، يتحدث عما جلبه الاحتلال للشعب الفلسطيني من ويلات مع شخصية عامر (الأعمى)، " إن هذا العالم يدور بسرعة مجنونة، وتختلط أشياؤه في فوضى مروعة ما تلبث أن تنداح في حقائق متسقة، هذه اللغة التي يتحدث عنها أبو قيس، لغة

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص405.
2) السابق: 410.
3) السابق: 399.

اللاجئين، لغة البؤس التي لا يسمعها، ولكنه يراها، لغة البؤس التي لا أرها ولكنني أسمعها، وغالباً أحسها " [1]، فالاحتلال مصدر الفقر والمرض للشعوب، ولأجله بنيت المخيمات، وكان التشرد في الخارج.

وأما في رواية (برقوق نيسان) نرى أبا القاسم يلجأ إلى بيت سعاد وقاد، ويقيم في بيتها يوماً أو يومين، ويأخذ الدنانير الخمسة، ويعود إلى أريحا من نابلس، لأن " وكالة الغوث قد قطعت إعاشته، وسحبت منه الدفتر الأحمر الذي كان يخوله تناول المؤن، وذلك لأن تقارير شعبة التحري في الوكالة قد أثبتت بأن ابنه يحصل مدخولاً شهرياً يزيد عن عشرة دنانير " [2]، فالحاجة والفقر والتقارير الكاذبة ألزمت أبا القاسم للذهاب إلى بيت سعاد وأخذ الدنانير؛ للنفقة على نفسه.

ولقد قدم غسان كنفاني صورة مشرفة للأب الفلسطيني المناضل، والمتمثلة في شخصية أبي القاسم الذي يرفض الذل والإهانة، ويرفع صوته في وجه المحققين معه؛ ليهرب مناضل آخر يكاد أن يسقط في شرك الاحتلال الموجود في بيت سعاد، " لماذا تقبضون علينا؟ ماذا فعلنا؟ إننا أبرياء " [3]، دون خوف من سطوة المحتل، فيُضرب على وجهه، ويسقط الرجل العجوز على الأرض، إنها العنجهية والهمجية الصهيونية مع أبناء الوطن، وينزف من فمه الدم؛ ليتسرب في شعر لحيته الشائب، ويهرب المناضل بفضل ذكاء وحنكة أبي القاسم.

2- شخصية المناضل:

قدمت الرواية الفلسطينية المناضل الفلسطيني على عدة صور، كالعاشق للثورة، والعمل في الكفاح المسلح، ومحاربة المحتل لأرضه من أجل تحريرها، وعودتها إلى أصحابها، وتارة في مجال السياسة، وأخرى في مجال الفكر بعقله وقلمه، ولكن كان التركيز على العمل المسلح لمختلف التنظيمات الفلسطينية، فها هو أبو العبد يقاتل من أجل فلسطين، ففي رواية (رجال في الشمس) " فسوف أقدم لك خدمةً كبرى لأنني كنت أعرف والدك، رحمه الله.. بل إننا قاتلنا سوية في الرملة منذ عشر سنوات " [4]، أي بعد احتلال فلسطين عام 1948.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص521.
2) السابق: 588.
3) السابق: 607.
4) السابق: 54.

والكثير من أبناء فلسطين كان ينضم إلى المناضلين، " كان أبو الخيزران سائقاً بارعاً، فقد خدم في الجيش البريطاني في فلسطين قبل عام 1948 أكثر من خمس سنوات، وحين ترك الجيش، وانضم إلى فرق المجاهدين كان معروفاً بأنه أسن سائق للسيارات الكبيرة يمكن أن يعثر عليه، ولذلك استدعاه مجاهدو الطيرة؛ ليقود مصفحة عتيقة كان رجال القرية قد استولوا عليها إثر هجوم يهودي " [1]، وعلى المناضل أن يتحمل الخسائر، ويوطّد نفسه على الصبر والجلد، " عشر سنوات طوال وهو يحاول أن يقبل الأمور، ولكن أية أمور؟ أن يعترف ببساطة بأنه قد ضيّع رجولته في سبيل الوطن؟ وما النفع؟ لقد ضاعت رجولته، وضاع الوطن " [2]، فأبو الخيزران يفقد رجولته من أجل الوطن، ويقع في الحيرة والخجل من نفسه عندما يُسأل عن عدم زواجه.

وفي رواية (ما تبقى لكم) تظهر لنا قوة المناضل الشريف، وشجاعته في وجه المحتل المدجج بالبنادق الفولاذية وعملائه، " أنا أدلكم على سالم، وقبل أن يفعل تقدم سالم من تلقاء نفسه، ووقف أمامنا مباشرة، وقد رأيناه يغسلنا بنظرة الامتنان... إلا أنه عاد فالتفت إلى زكريا وشيعه بنظرات رجل ميت... ثم جاء صوت طلقة واحدة فيما أخذنا ننظر إلى زكريا وكأننا جميعاً متفقون على ذلك " [3].

ويرى الباحث أن المناضل الشريف يتصف بالشجاعة والإقدام، وعدم الخوف من العدو وعملائه، إنه حب الوطن.

ولا بد للمناضل من سلاح ورصاص؛ للدفاع عن وطنه وشرفه، وتحول فكرة الكفاح المسلح بسرعة إلى فعل، فالمناضل " يكتسب قناعات جديدة مؤداها أن أي تنظيم لا يعتمد الكفاح المسلح يبوء بالفشل " [4]، ولم يكن أمام المناضل سوى أمرين: إما أن يدخل السجن، ويعاني التعذيب الوحشي بأنواعه المتنوعة، وإما أن يطارد في ربوع الوطن أو خارجه.

وعلى المناضل أن يجيش الجيوش، ويحث الشباب على الثورة، " أوقفني ذات يوم بعد أن مضى أسبوع واحد على دخولهم إلى غزة، وسألني وهو يشبك ذراعه في ذراعي: ألم تشتهِ يوماً

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 94.
2) السابق: 110.
3) السابق: 176.
4) إسماعيل، أحمد حرب، 1987، ص39.

أن تطلق رصاصة في معركة فاتتك دون أن تطلق فيها أية رصاصة؟... لقد قتلوا أباك كما أعلم، وأغلب الظن أنك عشت تعلك أسنانك وتتوعد وتقول لو...، لدينا كل شيء فهل تأتي "[1]، كلمات قالها الفدائي سالم لابن الشهيد حامد.

وعلى الرغم من قوة المحتل إلا أن المناضل يظل ثائراً، لا يهاب الشهادة، والعميل يركع بين الأقدام، " وكان سالم يقف معنا في صف مستقيم، ورأسه يعمل كعش نحل مهتاج... إلا أن سالم فوّت عليه أن يكون خائناً حقيقياً، فتقدم ثلاث خطوات ثابتة ووقف... ثم جاءت طلقة واحدة من وراء أنقاض الجدار...ثم جاءت أم سالم إليّ، ذهبت في الليل إلى هناك ولكنني لم أجده، لقد دفنوه خلسة ألا تعرف أين دفنوه؟ " [2]، ورأسه يعمل كعش نحل مهتاج تدل على عزة نفس الثائر، وقوته، واستعداده للتضحية والفداء بنفسه.

كما وأن في رواية (أم سعد) يلقي المحتل القبض على المناضل سعد، ويسجنه في معتقلاته، "لقد ذهب سعد ولكنهم أمسكوه، ومنذ يومين كنت أعتقد أنه يحارب، هذا الصباح عرفت أنه محبوساً، يا للعار، كنت أقول لنفسي: لو مات... صباح الاثنين سمعنا الراديو، فحمل أغراضه وجمع رفاقه، وطلعوا من المخيم كالعفاريت " [3]، خرج سعد مع رفاقه لمقاومة المحتل، فالمخيم رمز المقاومة والنضال والثورة ضد المحتل.

ويقوم غسان كنفاني بمعالجة الأحداث بين الشخصيات بالحوار، حيث يذهب المختار إلى سعد ورفاقه ويأخذ من كل واحد توقيعاً على أن يكونوا أوادم، لكنهم يرفضون، ويقومون بطرده، لأن أوادم تعني الذل والهوان، وتعني السقوط في الوحل، " يا حبيبي، أوادم يعني بنحارب، هيك يعني هيك... قالوا للمختار: راحت عليك...وقال له سعد: سلم عالأهل يا ابني " [4]، إنها عزيمة الرجال الذين لا يخشون الأسر، ويحرصون على النضال، ولقد أهان سعد المختار؛ لأنه أكبرمن سعد، من جيل أبيه، وكأنه ولد.

ويصف الراوي الشكل الخارجي والداخلي لشخصية المناضل، " إن الرجل الذي يلتحق بالفدائيين لا يحتاج بعد إلى رعاية أمه...، إن أحداً لا يستطيع أن يوصي بالفدائي...، أما سعد

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص200.
2) السابق: 215.
3) السابق: 250.
4) السابق: 254.

نفسه ورفاقه، فيعتقدون أن أحسن توصية بهم هي أن يرسلوا على الفور إلى الحرب " [1]، إنه يحمل الآن مرتينة (بندقية)، وغداً سيهدي أمه سيارة، يعني أنه سينسف سيارة عسكرية للعدو، إنها بشريات النصر على العدو، وسعد لا يقول شيئاً ثم لا يفعله.

وقد أدخلنا غسان كنفاني في رواية (أم سعد) لزمن حكم الانتداب البريطاني لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، وفي ثورة سنة 1936م حارب الفدائيين، " وطلع فضل إلى الجبل، كان حافي القدمين، وحمل مرتينة، وغاب طويلاً " [2]، خرج فضل والمناضلين للثورة على المحتل، من أجل الاستقلال، وتحرير الأوطان، لكن العملاء والخونة وقفوا مع المحتل وضيعوا البلاد والعباد.

وتُعدّ رواية (العاشق) لغسان كنفاني الذي بدأ كتابتها عام 1966م ولم يكملها بسبب استشهاده؛ تأريخ للنضال الفلسطيني والثورة الفلسطينية، فقاسم يأتي إلى الغبسية ويدخلها كالريح القادمة من الجبل، " لقد تسلل إليها بلا صوت وبقي صامتاً طوال الوقت تقريباً " [3]، وهذا يعني أن المناضل سريع الحركة، ويعمل بخفة ونشاط ضد المحتل، ويناضل بسرية حرصاً على نفسه ومن يعمل برفقته من الفدائيين؛ لإقامة الدولة الفلسطينية التي تنعم بالحرية والاستقلال، وحتى لا يكشف أمره للعملاء والمحتل، وقلة من الناس تذكر ملامحه.

كما ويعرض غسان كنفاني ملامح شخصية (العاشق) من خلال سرد الأحداث، فهو مطيع لمن يعمل عنده، يجيد عمله كما يجيد النضال والثورة، يعشق الخيل وركوبها، تصرفاته تدل عليه، فيصفه كبير الغبسية بقوله: " ينفخ النار ويهز فيها وفوقها إبريق النحاس هزة العارف، كان رجلاً صلباً، وقد رأيت عضلاته تحت قمبازه الرقيق، تتكور مشدودة، وهو يحني قامته الطويلة فوق النار... يشبه حصانه الفتي... يسير بهدوء وثبات فوق النار " [4]، فهو يعشق الثورة، ولا يخشى لهيبها، قدماه ثابتتان فوق التراب، ولا ترهبه نار الحقول، يتحمل الصعاب والاحتراق، وأنين الجروح والقروح.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 265.
2) السابق: 307.
3) السابق: 421.
4) السابق: 423.

ويواصل غسان كنفاني في وصف شخصية (العاشق)، فهو شخصية تظهر فجأة، وتجذب الانتباه إليها بسرعة، وصفها قيم مزارع الشيخ سلمان بعد أن طلب منه موظفاً جديداً يحمل الخضار على ظهر الحمير، " رأيت في عيني العاشق وميضاً مخيفاً، ولأول مرة أحسست بأن هذا الرجل المتين الصامت الذي جاءني منذ أسبوعين يستجدي أن أعينه حراثاً، يخفي وراء جلدته شيئاً مخيفاً لا سبيل إلى نكثه، إنه نوع من الرجال ينبت فجأة أمامك " [1]، فغسان كنفاني يقدم لنا مجموعة من الأوصاف الخاصة بالثوري العاشق، والتي نستنتج منها: القوة المخيفة الموجودة في عينيه، وهو أيضاً نوع خاص من الرجال، يخفي بداخله شيئاً لا سبيل لنكثه، ولكن كلامه وسلوكه يوحيان بذلك، فإذا بك غير قادر على نسيانه، وكان " صلباً طويلاً، وله كفان كبيرتان تلفتان الأنظار، إنهما تذكران بالحائط، وكان قميصه الفضي ممزقاً ومفتوحاً عن صدر أسمر مشدود العضلات... وحين نظرت إلى كتفه لاحظت ذلك الخط الداكن الذي خلفه هناك، بلا ريب، حزام بندقية " [2]، إنه كان مقاتلاً بارعاً من أجل فلسطين.

وعلى العاشق أن يجهز نفسه للمفاجآت القادمة، فعندما وصل إلى عكا، سمع صوت السيارة العسكرية، وقرقعت الأحذية الثقيلة، وأصوات أعقاب البنادق المكتومة، وخشخشت القيود، وكأنه في حصار مشدد، " وأطبقت الأيدي على جسده من كل ناحية... فلم يقاوم، والواقع أنه كان يساعدهم بطريقة ما، فقد سهل على العسكري الذي كان أكثرهم حماساً ربط القيود حول معصميه، وتقدم نحو السيارة من تلقائه، وصعد إليها " [3].

فالاحتلال وأعوانه يقلقهم وجود الفدائيين، ويسعون دائماً للقبض عليهم، ومعاقبتهم على نضالهم.

ومما يلاحظ على العاشق أنه عرف بأسماء كثيرة، قاسم القادم من ترشيحا إلى الغبسية؛ ليعمل عند الشيخ سلمان كبير الغبسية في مزارعه، وعرف بالعاشق، لأن ماحدث لقاسم لا يحدث إلا لعاشق، " إن نار العشق التي تكويه من الداخل أشد حرارة من النار التي داس عليها، ولذلك لم يحس بها، إنه عاشق " [4]، والسجين رقم (362)؛ لأنه عندما وضع في سجن عكا

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 430.
2)السابق: 463.
3) السابق: 432.
4) السابق: 428.

كان في غرفة رقم (362)، وعبد الكريم الهارب من الأسر، " لم تنته قصته، العاشق هذا، قاسم، عبد الكريم " [1]، وحسنين أحد جامعي التبغ عند الحاج عباس، والذي كل ترشيحا تعرفه، وكان قاسم يفقد اسمه حسب المكان الذي يتواجد فيه؛ للتعمية عنه من المحتل وعملائه، فقد كان مطارداً لقوات الانتداب البريطاني، والعصابات الصهيونية، التي كانت تلاحقه من أجل القبض عليه، والخلاص من مقاومته وثورته، ولجعله عبرة لغيره من المقاومين، ولإخماد الثورة عند الفدائيين، ولكنها ثورة العاشق المحب لوطنه، والمتمرد على محتله، والراغب في الحرية والاستقلال.

ولقد سخر الله الأرض لقاسم العاشق؛ لتدافع عنه في وجه عصابات المحتل، " إنك كي تقبض على عبد الكريم عليك أولاً أن تقبض على الأرض " [2]، إنها تدافع عنه، وتحميه، وتقف بجانبه حتى يصعب على المحتل القبض عليه، وسجنه في معتقلاته.

ولقد اهتم غسان كنفاني برسم شخصية (العاشق) للثورة الفلسطينية الواعدة، والمتمثلة في شخصية قاسم، والمعبرة عن الثورة ضد المحتل الصهيوني، المستعمر لفلسطين أرض الآباء والأجداد، والتي يصعب على الشرفاء التخلي عنها مهما حدث، ومن أجلها تبذل الأرواح والأموال والأبناء رخيصة، لذلك تعرض العاشق للمطاردة والتخفي في كل مكان يذهب إليه، فثورته تثبت نفسها، بالرغم من العجز الذي تعرض له في حياته، ولكنه يتكيف مع الواقع ومع المحتل، حتى أن الأرض تقف معه، وتناصره على المستعمر الصهيوني، وهو يجسد الروح الفلسطينية الثائرة والثابتة في نفوس الفلسطينيين، وأن الثورة لا يمكن أن تُخمد مادام أمثال العاشق يتنفسون هواء الوطن، ويعشقون النصر أو الشهادة.

وفي رواية (الأعمى والأطرش) يظهر لنا غسان كنفاني شخصية والد حمدان الأسير في سجون الاحتلال أنه كان فدائياً، ويناضل ضد المحتل لأرضه، " لقد أخذوا منذ شهور قليلة يطلقون المحابيس الذين مثله، وأنت تعرف لماذا، الحرب والهزيمة والفدائيون... وما علاقة والدك بالحرب والهزيمة والفدائيين؟ كان فدائياً " [3]، تدرب والد حمدان على الجهاد في سوريا،

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 433.
2) السابق: 447.
3) السابق: 550.

وأطلق الرصاص على خمسة من العسكر، فجرحهم وسلم نفسه، وهو الآن يعمل مع الفدائيين بعد خروجه من السجن.

وأما في رواية برقوق نيسان نرى من يتقن العمل النضالي الفلسطيني رغم صغره، " كان طلال شاباً قصير القامة، لم يبلغ العشرين بعد، ويبدو أنه كان يتقن عبور النهر ونقل الرسائل، وفي الماضي كان يزور أبا القاسم مرةً في الشهر ويعطيه ثلاثة دنانير، ويقول له: قاسم يسلم عليك " [1]، وفي المرة الأخيرة أخبره بزيارة سعاد له.

ويطل علينا في رواية (برقوق نيسان) المناضل زياد حسنين، فيقدم المساعدة للرفيقة سعاد وقاد، الذي تسلل اليهود إلى بيتها، وهي خائفة من القبض على الفدائي طلال فيشي بسرها، ويعترف عليها، " وبعد ذلك أمضى زياد وسعاد طيلة الليل وهم يرسمون الخطة، وقد اهتدوا إلى النقطة التي يكتشفون فيها تفاصيل ما سيحدث في بيت سعاد عن طريق إرسال وليد بصحن الكنافة " [2]، وإذا حدث تأخير من وليد، تخرج سعاد وتترك المكان متنكرة باتجاه النهر، وعلى زياد تكملة المشوار النضالي بمساعدة أبي القاسم والوصول إلى طلال.

3- شخصية المتمرد:

تأتي شخصية المتمرد على الأوضاع (حامد) عند غسان كنفاني في رواية (ما تبقى لكم)، والتي كتبها عام (1966)، شخصية محاطة بالخيانة ذات طابع مأساوي، تعبر عن ثورة وتمرد الفرد الفلسطيني الذي يصارع الخيانة حيث وجدت، فمريم خائنة، وزكريا خائن، والاحتلال خيانة، ورواية ما تبقى لكم تمثل حالة الثورة عند الشعب الفلسطيني ضد المحتل بعد النكبة، وحامد وأمثاله أبطالها.

وتبدأ رحلة المتمرد من بيته في غزة، إلى قلب الظلام تاركاً لخطواته أن تصدر فحيحاً مخنوقاً عبر الصحراء، وهو يشعر بالعجز، والأفكار تفتك به " كرر ورائي: زوجتك أختي مريم، زوجتك أختي مريم، على صداق قدره عشرة جنيهات... كله مؤجل، والعيون تأكل ظهره، وهو جالس

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 587.
2) السابق: 601.

أمام الشيخ، كل الذين كانوا هناك يعرفون أنه لم يزوجها وأنها حامل" [1]، إنها ثورة على الخيانة والذل والإهانة.

ولقد جعل غسان كنفاني من حامد بطلاً متمرداً في قمة عنفوانه، متحدياً لخصمه، والقادر على سحقه، إنها الثورة والتمرد على الواقع المرير، " كان ضئيلاً بشعاً كالقرد، اسمه زكريا، وكان بوسعه أن يعتصره بين قبضتيه الكبيرتين، وأن يخنقه بمجرد الإطباق حول خصره، ولكنه كان عاجزاً، وكانت أخته مريم تتسمع وراء الباب، والجنين يضرب في أحشائها... لم يقل لي مبروك بعد، فأنا الآن صهره، ثم إني أكبر منه " [2]، فالخيانة تحقر من صاحبها، وتقلل من قيمته، فيحتقره الناس؛ لخلقه الذميم، ووقوفه مع المحتل ضد أبناء الوطن.

ونلاحظ أن الكاتب يكثر من الحوار الذاتي؛ للكشف عن المشاعر الوجدانية داخل شخصية (حامد)، " ليس بمقدوري أن أكرهكِ، ولكن هل سأحبكِ؟ أنت تبتلعين عشرة رجال من أمثالي في ليلة واحدة، إنني أختار حبك، إنني مجبر على اختيار حبك، ليس ثمة من تبقى لي غيرك "[3]، ومن الأمور الصعبة على نفسية الشاب أن يلحقه العار وجريمة الشرف، " ولكن الملعونة لم تنتظر، جاءتني بجنين يضرب في أحشائها، وأبوه ذلك النتن، الكلب زكريا، لقد خدعاني معاً، ثم طرداني وأنا غارق في عارها " [4]، فالناس لا ترحم، والشرف قيمة لصاحبه، وفقدانه عار يطارد من ارتكبه.

ويُقرّ غسان كنفاني بحقيقة الثأر للشرف عند الفلسطيني، وضرورة غسله بالدماء، وبخاصة عند الشباب المتمردين الثائرين " حامد سيذبحني لو عرف، وأعتقد أنني حامل... أنت أرض خصبة أيتها الشيطانة، أرض خصبة، أقول لك " [5]، هناك من يتذكر بعد فوات الأوان، فأين العقول قبل ارتكاب الجرائم؟، علينا التفكير، وعرض أعمالنا على الكتاب والسنة؛ للفوز والفلاح.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص162.
2) السابق: 167.
3) السابق: 170.
4) السابق: 175.
5) السابق: 179.

ولقد كان لغسان كنفاني القدرة على النفاذ داخل الشخصية وتصويرها تصويراً داخلياً وخارجياً، من خلال الغوص في أعماقها، ووصفها بما يناسبها، فشخصية حامد كلها رجولة وشجاعة منذ الصغر، " كان صغيراً وشجاعاً بصورة لا تصدق، وقد ظل ينظر بعينيه الحادتين إلى كل الرجال نظرة الند، وهو ملتصق فيّ كأنه درع صغير من الفولاذ يرصد سنّ الرمح "[1]، فعلامات الرجولة والشجاعة مع حامد منذ الطفولة، وهو كالدرع الفولاذي، وند للرجال بالرغم من صغره، وكأن غسان كنفاني أراد لشخصية حامد أن يكون المنقذ لفلسطين من كل سلبياتها المحدقة بها من كل جانب، وهو الثورة القادمة والولادة الجديدة للتحرير والاستقلال.

ويواصل غسان كنفاني استخدام ضمير المتكلم مع شخصية (حامد) في تقديم الأحداث؛ لربطه بالماضي الذي لا يستطع التخلي عنه، " لقد حرصتُ عليك حرصي على حياتي ذاتها أيتها البقرة، أمضيت كل أيامي وأنا غارق في خدمتك الصغيرة ليلاً نهاراً بلا كلل، وكنت أريدك امرأة شريفة تتزوج ذات يوم رجلاً شريفاً، ولكنك فتحتِ فخذيك لأول رجل، لأول نتن، وجئت تحملينه في أحشائك، دون أن تكترثي لحظة بي... سأقول لأمك أنك متّ، وأنني دفنتك في سروال رجل نتن، مع امرأة أخرى لديها منه خمسة أطفال، وقد تلد طفلاً سادساً في المساء " [2]، الموت بشرف أفضل من الخيانة ألف مرة.

ومن الملاحظ عند غسان كنفاني الدخول في عالم المتناقضات، والصراع الداخلي للشخصية المتمردة، " فما الذي فعلته أيها الأحمق غير أنك قذفت نفسك في الهواء؟ ما الذي تريد لأمك أن تقوله؟ كان أحرى بك أن تذبحها فوق ركبتك... وتبقى هناك، ولكنك كنت أجبن من أن تفعل ذلك، كلا لم يكن جبناً، كان عبثاً " [3]، فالمواجهة خير من الهروب، ومعالجة الأمور خير من تركها كما هي.

ويواصل غسان كنفاني تصوير العالم الداخلي لشخصية (حامد) الذي يشعر بالوحدة، وتخلي الجميع عنه، " أورثني يقيني بوحدتي المطلقة مزيداً من رغبتي في الدفاع عن حياتي دفاعاً

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 186.
2) السابق: 186.
3) السابق: 196.

وحشياً " [1]، فالواقع المرير والأحداث الصعبة التي تعرض لها حامد، وبخاصة من أقرب الناس إليه، جعله يفكر في نفسه، وكيفية الدفاع عنها.

كما ويبقي غسان كنفاني حامداً في مواجهة مع عدوه، والنيل من خصمه الذي احتل أرضه، ينعره برأس السكين المثبت في خاصرته، ثم يجلسه بعنف، فيستسلم الخصم فارشاً كفيه أمامه محتاراً، " لا شك أنه يتوقع وجود دورية ما في مكانٍ قريب، وانتابني الندم لأنني أطرحت الرشاش... أما الآن فأنا أمتلك رهينة لا أعرف أين آخذها، ولا أعرف كيف أستفيد منها، ربما كان من الأفضل لو ذبحته فوراً أثناء صراعنا القصير " [2]، فحامد الآن في فترة ضياع بلا قرار، ولا يعرف كيف يدبر الأمور، ولكنه لا يكترث للزمن، وكل ما يعرفه حامد الآن أن المسافة لصالحه، فعدوه أقرب إلى نصل سلاح حامد، من قرب حامد إلى فوهات بنادق العدو، والأخطر أن يقتل الجندي الصهيوني على بعد خطوات من معسكره.

فحامد يتعامل مع الأمور بالربح والخسارة، " قبل دقائق فقط كان كل شيء في هذا الكون ضدي تماماً، وكانت الأمور كلها في غزة وفي الأردن تعمل في غير صالحي... في رقعة محاطة بالخسائر من كل جانب... ليس لدي ما أخسره الآن " [3]، خسارة غزة، وخسارة مريم الخائنة، لقد وضعت ولدها الأول من زكريا بعد خمسة شهور من الزواج فقط، وخسارة زكريا النتن ابن البلد العميل الذي استولى على البيت، وخسارة الأم إن تزوجت في الأردن، ولكن على حامد الصمود والبقاء حتى النهاية، فهو يتفوق على خصمه.

ويكشف غسان كنفاني طريقة التحقيق مع العدو، من خلال تصرفات حامد مع الجندي الصهيوني، " هل تعرف رجلاً من غزة اسمه سالم؟ ولكنه لم يلتفت إليّ، وظل ينظر إلى التراب بين قدميه، فقلت له: بل ربما أنت الذي قتلته أيضاً " [4]، فالنظر إلى القدمين من الجندي دليل على العجز والذلة والهوان.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 204.
2) السابق: 208.
3) السابق: 209.
4) السابق: 211.

والمدقق في رواية (الأعمى والأطرش) يرى أن غسان كنفاني يبين لنا تمرد شخصية أبي قيس على الواقع الفلسطيني، وأن الأمر يحتاج إلى تغيير، " نستطيع مثلاً أن نذهب فنحطم قبر الولي... ونفش غلنا، نستطيع أن نذهب فنضرب مصطفى، ونرغمه على الزواج من زينة، نستطيع ان نلقي خطاباً في جموع اللاجئين ... ، نستطيع أن نفعل ذلك وأكثر... نستطيع أن نعود إلى الطيرة " [1]، فالتبرك بقبور الأولياء الصالحين عادة قديمة، وما زالت مستمرة حتى الآن في مجتمعنا، ولا بد من تركها، وما يفعله مصطفى مع زينة يحتاج إلى زواج حقيقي تحفظ فيه الأنساب، واللاجئون الفلسطينيون لا بد من عودتهم إلى ديارهم فلسطين، وضرورة الكف عن التسول أمام مكاتب الإعاشة، ونستطيع أن نحرر البلاد والعباد من الاحتلال بالإيمان والوحدة.

4- شخصية الشهيد:

وجدت شخصية الشهيد الفلسطيني منذ بداية الاحتلال للأرض الفلسطينية، فهو مناضل وثوري ضد الاحتلال، لا يفكر إلا في القضية، وعندما يكشف أمره للمحتل يضطر للاختفاء حتى لا يكون فريسة سهلة لوحوش الاحتلال، فيختفي في النهار، ويظهر في الليل، يعرف بالشجاعة والإقدام وحب الأرض والوطن، وفي أغلب الأحيان معرض للفقدان والشهادة، وأكثر المناضلين الفلسطينيين يتمنون الشهادة من أجل الوطن، وحب لقاء الله عز وجل، وفي كثير من الأحيان تنتهي حياة المناضل بالشهادة، ويعلم الجميع أن الفلسطينيين قدموا قوافل من الشهداء، والحرب الأخيرة على غزة تشهد بذلك.

وفي رواية (ما تبقى لكم) يظهر غسان كنفاني معاني التضحية والفداء جلية عند والد حامد، الذي يرفض الذل والاستسلام للاحتلال، " لا تتحدثوا عن الزواج قبل انتهاء القضية، وكان إذ يلفظ كلمة القضية يبدو الخطر محدقاً ودامياً... وقد أخذ حامد هذه العادة منه... حملوه من طرف الطريق مضرجاً... وأخذت الأصوات تندب، وتسلق الرجال السلم صامتين، وهو ملفوف بمعطفين وذراعه العارية تتهدل بينهم " [2]، إنها الشهادة وحب القضية الفلسطينية.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 544.
2) السابق: 189.

ومن الملاحظ أن الاحتلال الصهيوني مستمرٌ في القتل، ولا توقفه كثرة الدماء المنسكبة من الشهداء، " لقد قتلوا سالماً اليوم، وغداً قد يجيء دور أي منا ... قد يكون دوري أنا غداً " [1]، فوجود الاحتلال يعني القتل والاستشهاد وفقدان الوطن.

ويقف غسان كنفاني وراء شخصياته؛ ليحرك الأحداث داخل الرواية، ومن المقاومة تأتي الشهادة، " كان بدر أول من حمل السلاح في منطقة العجمي في الأسبوع الأول من كانون الأول عام 1947، ومنذ ذاك تحول المنزل إلى ملتقى للشباب...، أما الآن فقد تغير كل شيء، وانخرط بدر في القتال... وفي السادس من نيسان عام 1948 جيء ببدر إلى الدار محمولاً على أكتاف رفاقه، كان مسدسه ما زال في وسطه، أما بندقيته فقد تمزقت مع جسده بقذيفة تلقاها وهو على طريق تل الريش، وشيعت العجمي جثمان بدر كما يتوجب على الرفاق أن يشيعوا الشهيد " [2]، فالمقاوم على موعد مع النصر أو الشهادة.

وفي رواية (العاشق) لغسان كنفاني يلتحق زيد بالمقاومة الفلسطينية، وبالشيخ القسام في تلال يعبد؛ ليدافع عن فلسطين في وجه المحتل، ومستمعاً لكلام القسام موتوا شهداء، وحين انفجرت الثورة " اختفى زيد تاركاً في ترشيحا زوجته وابنته الصغيرة دون أن يترك لهما شيئاً، وقلنا يعود زيد... ولكنه لم يعد إلا بعد ثلاثة شهور جثة مطرزة بالرصاص " [3]، فالحرية ترخص لها الأرواح والأنفس، والثورة تطلب الرجال الشرفاء المناضلين، والشهداء أكرم منا جميعاً.

ونرى في رواية (الأعمى والأطرش) لغسان كنفاني، أن الشيخ حسنين إمام الجامع في طيرة حيفا يدعو الناس إلى الصلاة في المسجد، ويشدد عليهم، ثم ينضم إلى الفدائيين، يجاهد عدو الوطن حتى استشهاده، " وقد انضم الشيخ حسنين إلى المجاهدين في الطيرة، وكان منظر عمامته فوق البدلة الكاكية طريفاً...، ولكنه في الحقيقة كان مقاتلاً من الدرجة الأولى، وكان دوره مهماً إلى أن استشهد ذات ليل، وأخفق الرجال في العثور على جثته من فرط ما كان

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 201.
2) السابق: 369.
3) السابق: 456.

متقدماً على خطوط البلدة " [1]، فالشهيد حسنين كان خطيباً ومجاهداً من الدرجة الأولى، يدعو الناس إلى الخير، ويحثهم على الجهاد، وكان في المقدمة حتى استشهد فوق ثرى الوطن.

ومن الملاحظ أن الاستشهاد كان جماعياً، فأسرة أبي قيس تستشهد، وينجو أبو قيس لصممه، " يبدو أنني لم أسمع أصوات الانفجارات ونحن نجلس أمام بيتنا في الطيرة ذلك المساء، واندفع والدي وشقيقي وأمي عبر الطريق إلى حيث يقوم الملجأ المرتجل، وسقطت عليهم القنبلة وهم في منتصف المسافة، أما أنا فكنت ما أزال جالساً في مكاني، وأنقذني الصمم " [2]، إنه الاحتلال، الذي لا يرحم الصغير ولا الكبير.

أما في رواية (برقوق نيسان) لغسان كنفاني نجد أن قاسم خليل الابن الأوحد في العائلة، قد أصبح لاجئاً في نيسان 1948 ، فيسكن بيت الصفيح، ولفقره يعمل أجيراً في كراج للسيارات في أريحا، وفي الخامسة والعشرين من عمره أنشأ حزباً فدائياً بنفسه، وعند تفجر حرب 1967 التحق بالفدائيين؛ لمواجهة الاحتلال الصهيوني، وفي نيسان 1970 استشهد قاسم في المعركة مع مجموعة من رفاقه جنوبي البحر الميت على أيدي دورية عسكرية صهيونية، وتعرف على ملامحه أحد الفدائيين الأسرى، وفي اليوم التالي أحضرت الشرطة والده للتعرف عليه، ولكنه أنكره، " وهكذا أخلي سبيل الرجل العجوز بعدما سجل توقيعه وتعهداته على أوراق عديدة تنص على أنه سيتحمل بنفسه مسؤولية أي عمل يمكن لابنه قاسم الذي يعيش شرق النهر أن يرتكبه ضد سلطات الاحتلال " [3].

ويرى الباحث أن الاحتلال كان ومازال يعاقب أسر الشهداء والفدائيين بالسجن، وهدم البيوت والغرامات المالية والإبعاد حتى وقتنا الحاضر، لذلك ينكر أبو القاسم ابنه الشهيد.

كما وأن أحداث رواية (برقوق نيسان) تقع في مدينة نابلس الفلسطينية، شعبها كأفراد العائلة الواحدة، وتجمعهم الهوية الواحدة، تلفظ الغرباء وتركلهم بأقدامها عند الإساءة، " كانت نابلس ذلك الصباح منكفئة على نفسها، وكأنها ما تزال نائمة... وإن المدن مثل الرجال، تشعر

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص526.
2) السابق: 529.
3) السابق: 582.

بالحزن، وتشعر بالوحدة، تفرح وتنام، وتعبر عن نفسها بصورة فريدة تكاد لا تصدق، وتتعاطف مع الغرباء أو تركلهم، بل إن الأحياء في المدينة مثل الأولاد في العائلة، لكل منهم شخصيته ومنزلته ومزاجه، فثمة شوارع محببة، وأخرى تتقاذف العابرين فيها بفظاظة " [1]، فالمدن تحزن لفراق الأحبة والمناضلين الشرفاء، المدافعين عن ثرى الوطن، وتتعاطف مع الغرباء المحتاجين لها، وتركل الغرباء المعتدين على حرمتها وأبنائها.

ويظهر غسان كنفاني ارتباط أبي القاسم بالماضي، وتمسكه بحب ابنه الشهيد، " فقد تذكر أنه حين رأى سعاد لأول مرة في أريحا لفت نظره قرص أحمر من زهر البرقوق يتوقد وسط شعرها الفاحم الأسود، وأن ذلك بعث فيه السعادة، لأن طلالاً قال له: بأن سيدة تحمل وردة حمراء ستزوره في أريحا، وتحدثه عن قاسم " [2]، الذي اغتالته الدورية الإسرائيلية، مما أدى إلى استشهاده.

فالشهيد بطلٌ يروي ثرى الوطن بدمائه من أجل حياة الآخرين، والجميع يفخر به، ويقدر تضحياته، فالشهادة حياة للآخرين من أبناء الوطن " وكان قاسم هناك، ممدداً على طاولة، وقد نظرت إليه لحظة واحدة فحسب، ثم أخذت أنظر إلى راحة يده، ورأيت فيها إرادة رجل بطل ظل ممسكاً بسلاحه حتى اللحظة الأخيرة، ولم تفرد أصابعه إلا بالقوة، وبعد أن مات، وسألوه إن كان يعرفه، فنفى ذلك بشدة " [3]، إنها الشهادة وحب الدفاع عن الوطن حتى الرمق الأخير، ونفي معرفة الشهيد من والده خوفاً من العواقب المترتبة على ذلك الاعتراف، فأبو القاسم رجل عجوز لا يتحمل الضرب ولا السجن، وإنقاذاً لرفاقه الفدائيين.

5- شخصية العميل:

لا تكاد رواية من الروايات الفلسطينية ذات الأبعاد السياسية تخلو من شخصية العميل، والعصافير في السجن، بل شكلت هاجساً أمنياً في المعتقلات وبين المناضلين الفلسطينيين،

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص585.
2)السابق: 587.
3) السابق: 587.

فكان من الواجب معالجة هذه القضية من المثقف الفلسطيني، وذكرها في روايته وعمله الأدبي؛ لأخذ الحيطة والحذر؛ لأن ظاهرة العمالة متلازمة مع وجود المحتل في الأرض.

والرواية الفلسطينية صورت العميل بالحية السامة، التي تتحين الفرص المناسبة للانقضاض على الفريسة، ونفث السم فيها، وفي بعض الأحيان يتم اكتشافه من المناضلين، ويحققون معه لمعرفة أسباب سقوطه في وحل العمالة، والإدلاء باعترافاته وأسماء الوطنيين الذين تمت تصفيتهم، ومن أسباب السقوط في وحل العمالة: ضعف الشخصية، والتفكك الأسري إما بالطلاق أو الموت، أو الانتقام من المناضلين؛ لقتل قريب منهم وقع في العمالة، فيقرر العميل الانتقام منهم، وكذلك الفقر والبطالة، وتناول المخدرات أو الاتجار بها، بالإضافة إلى الرفقة السيئة.

والكثير من الروايات جعلت من قضية العميل قضيتها المركزية، ومن شخصية العميل شخصية محورية؛ لدورها البارز في استمرار الاحتلال، والسبب الرئيس في سقوط الشهداء، والمتابع للأحداث يجد أكثر من استشهد على أيدي الاحتلال من ورائه العملاء " فرجل المخابرات يهدد العميل بتدمير حياته، وتدميره داخل السجن، وبين السجناء أنفسهم، فيحس أنه ذاهب للمجهول، وأن الخطر يحيط به من كل الجوانب، ويشعر بأن النجاة بيد هذا العملاق الذي يقف أمامه، فتختلط عليه الأوراق، ويسيطر عليه خوف العاجز، فيندفع باتجاهه قائلاً: أنا في عرضك، ساعدني في الخروج من هذه الورطة، فأنا لم أفعل شيئاً " [1]، فضابط المخابرات يستغل مصالح الناس؛ للضغط عليهم، وإسقاطهم في وحل العمالة والخيانة؛ ليستمر في احتلاله للأرض والشعب.

كما وفي رواية (ما تبقى لكم) نجد أن العميل زكريا يبدأ بخيانة وطنه، وانتهاك أعراض بناته، فيستغل ضعف مريم، وغياب صديقه حامد؛ ليعتدي على عرضه، " إن الكلب الذي سيصبح صهره يجلس إلى جانبه، يضحك في أعماقه بصوت مسموع، كله مؤجل، طبعاً، فالمعجل هو جنين يخبط في رحمها " [2]، فالخائن يهون عليه كل شيء، الدين والشعب والوطن.

---

1) الشمس في ليل النقب، هشام عبد الرازق، 2011، ص15.
2) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص165.

وتتضح صورة العميل بعدم المبالاة، وتفسخ النسيج الاجتماعي، فيوصف بالحيوانات، " ومن ورائها نبح الكلب، فقالت له: صهرك حامد يريد أن يترك غزة، ولكنه لم ينظر إليها، وأجابها كأنه لا يعرفه: حامد يقول أشياء كثيرة، اتركيه " [1]، إنه يتعامل مع ضحيته بمبدأ الربح والخسارة، " لقد تركته يلوثها، أعطته نفسها في ربع ساعة مسروقة منه... أنت حر، زوجنيها أو لا تفعل، فلست أنا الذي يخسر... كان ضئيلاً بشعاً كالقرد، اسمه زكريا " [2].

فالخائن لا يفكر إلا في نفسه، وعندما يضع الطوق في عنق فريسته ينقض عليها، ويطلب ما يريده، فهو لن يخسر شيئاً من وجهة نظره الضيقة؛ لأنه خسر نفسه سابقاً بخيانته لوطنه وشعبه.

كما ويظهر لنا الكاتب من خلال الخطاب السردي والحوار تعرف زكريا على حامد في الخيمة التي كانت تسمى مدرسة المعسكر، " ما اسمه؟ زكريا.. من أين تعرفه؟ زميلي في مدرسة المعسكر، صديقك؟ كلا، إنه نتن " [3]، فزكريا النتانة فيه من صغره، وسوء الخلق غلب على طبعه وتصرفاته، فكان مكروهاً من حامد ورفاقه في المدرسة.

ومن المؤكد أن الخيانة تجر خيانة أخرى، فزكريا انتهك عرض وشرف صاحبه، وها هو يخبر المحتل عن مناضل شريف يضحي بنفسه من أجل الوطن، وتحريره من قبضة المستعمر، " فلتذهبوا جميعاً إلى الجحيم، نحن نعرف أنه واقف بينكم... وفي اللحظة التالية تماماً اندفع زكريا خارج الصف المستقيم، وقذف بنفسه راكعاً... وأخذ يصيح... أنا أدلكم على سالم " [4]، إنها الخيانة والعمالة مع العدو ضد الوطن والشرفاء من أبنائه المناضلين.

ومن الجدير بالذكر أن الخيانة عند العميل تراكمية، وعلاقاته الاجتماعية مفككة، ولا يلقي لها بالاً، حتى مع أقرب الأقربين زوجته، " أنت مجنونة، صدقيني! تفتكين بشبابك من أجله، وغداً ستلعنينه، وتلعنين أباه، والساعة التي لم تسمعي فيها إلى النصيحة، ستتحولين إلى امرأة مترهلة

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 166.
2) السابق: 167.
3) السابق: 173.
4) السابق: 176.

ببطن منفوش... وطوال عام كامل لن تكوني امرأة، مجرد زجاجة حليب " [1]، فالعميل ينظر إلى الأمور الظاهرة والسطحية، ولا يهتم بالمشاعر والأحاسيس، كل همه الخيانة والشهوة والمال، وهاهو يضحي بابنه وزوجته التي ارتكب معها الفاحشة، ويرى في المولود أنه قطعة صراخ ستقلب حياة مريم إلى جحيم، وكان السبب في تيه حامد، وتركه غزة باحثاً عن أمه في الأردن، وهرباً من نظرات الناس إليه.

والعميل دائماً تصرفاته غريبة، يستغل الناس، ويهتك أعراضهم، ويخاف منهم، ومن نظراتهم إليه، ويحسب الحسابات الكثيرة لهم، " طفل سادس؟ سادس! هل تتصورين ذلك؟ هل تتوقعين أن أرقص فرحاً؟... والناس! الناس ماذا سيقولون؟ هذه فضيحة أخرى، طفل بعد خمسة أشهر من الزواج " [2]، كل همه الناس وقولهم، لا يخاف من القصاص وإقامة الحد عليه، ولا يخاف على زوجته، وما قد تتعرض إليه إن قامت بالإجهاض، فقد تفقد حياتها، " ستة أفواه عليّ أنا أن أطعمها، ثم أنت وهي أيضاً... آه منكن جميعاً، تعتقدين أن هذا هو مربط الرجل! ... إن رجلاً عنده خمسة أولاد لا يكترث " [3]، الأرزاق على الله، ولكن الخائن لا يكترث.

وفي رواية (أم سعد) نجد أن العميل عبد المولى يشتغل مع الإسرائيليين، حتى صار عندهم نائباً في البرلمان، ومن ظلمه يقتل الفلاح المسكين فضل، حتى أن الفدائي ليث أوصى سعداً "أنه إذا حدث له شيء، وحاول أهله الكتابة لابن عمهم عبد المولى، فما على سعد إلا أن يطخهم " [4]، إنه الشرف، والخزي والعار من العملاء حتى لو كانت لهم اليد عند الأعداء، ولا شك أنهم يتكلمون في خطاباتهم عن الثورة والانتصار والإنجليز واليهود، وينالون التصفيق من الناس، ومن يحارب كفضل وسعد، يجلسون على قارعة الطريق، وعبد المولى العميل " صار مهماً هناك، خاين ولذلك مهم عندهم في البرلمان، كما قلت: يا حيف " [5].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص184.
2) السابق: 323.
3) السابق: 224.
4) السابق: 305.
5) السابق: 309.

فالخائن للوطن مقرب عند اليهود لخيانته، وكان من الأفضل طخه والخلاص منه؛ لأن الأعداء لا يعيشون إلا على رقاب العملاء الذين ينقلون لهم أخبار الفدائيين الشرفاء، وبهم يتم تصفيتهم، والقضاء عليهم، كما حدث مع غسان كنفاني في آخر حياته، واغتياله مع ابنة شقيقته، هذا ديدن اليهود والعملاء مع المناضلين والثوار.

وفي رواية (العاشق) نرى أن العملاء ينشرون الإشاعات الكاذبة عن المناضلين، " وفي المساء قالوا في الغبسية: لقد كان العاشق مجرماً خطيراً اختفى هنا فترة من الوقت، وخدع الرئيس والشيخ سلمان وكل شيء، والحمد لله الذي جعلهم يمسكونه " [1]، إنها العمالة، وإكالة التهم إلى الشرفاء والمناضلين بدون وجه حق أو دليل.

وفي رواية (الأعمى والأطرش) يبين غسان كنفاني من لا ضمير لهم، والذين يتحكمون في أرزاق الناس، بل إنهم أسوء من العملاء الخونة؛ لأنهم يحولون الإعاشة والخبز إلى فراش، وتلك خيانتان: للوظيفة وللوطن، فيلجأ الموظف في وكالة الغوث، والمسؤول عن توزيع الإعاشة للفلسطينيين إلى خداع المرأة المحتاجة والمعدمة بالفقر؛ لتحقيق أهدافه الرخيصة، ويفقد المرأة شرفها، ويعبث بمصير أبناء شعبه، بدلاً من الوقوف بجانبهم في ساعة العسرة، كأبناء البلد الشرفاء، فمصطفى الخائن لوطنه، والموظف في مكتب الإعاشة، والمرتكب الفاحشة مع زينة الفقيرة، يتحداه أبو قيس (الأطرش)، " اسمع يا ضرنُط! سأكسر يدك إن حاولت مرة أخرى أن تمدها نحوي، تستطيع أن تذهب وتتشاطر على الأرامل والمطلقات... أم تراك تحسب أن البدلة صيرتك رجلاً؟ يا حرام الشوم! " [2]، فالأصيل لا يهاب الخائن، والرذيلة في عنق صاحبها مهما بلغ من المراكز والمناصب.

6- شخصية العامل:

العامل يشكل عنصراً مهماً في بناء المجتمعات الإنسانية، ولكن بعض الروايات الفلسطينية مرت على العمل والعمال مرور الكرام، ومن الروايات التي تناولت حياة العامل رواية رجال في الشمس، التي ناقشت أوضاع العامل زمن الاحتلال، لقد عانى العامل الفلسطيني الاضطهاد

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 433.
2) السابق: 561.

العرقي أثناء عمله في داخل الأرض المحتلة من المحتل، وعانى من الاضطهاد الطبقي أثناء عمله في بلده، ومن التمييز الواضح بين العامل الفلسطيني والعامل اليهودي من حيث الأجرة، والأعمال المكلف بها، حيث الصعوبة والدونية، مما دفعه للهجرة، والعمل خارج البلاد، " إذا وصلت إلى الشط بوسعك أن تصل إلى الكويت بسهولة، البصرة مليئة بالأدلاء الذين يتولون تهريبك إلى هناك عبر الصحراء.. لماذا لا تذهب؟ " [1]، فالاحتلال وضيق الحال دفعا العامل الفلسطيني للهجرة بحثاً عن لقمة العيش.

كما ينقلنا غسان كنفاني إلى الصراع الداخلي للعامل الفلسطيني المجبر على السفر رغم أنفه، " غداً سيكبر هو الآخر...، ولكن الطريق طويلة، وأنا رجل عجوز... قد أموت... من قال أن ذلك أفضل من حياتك الآن؟ منذ عشر سنوات وأنت تأمل أن تعود إلى شجرات الزيتون العشر التي امتلكتها مرة في قريتك... ماذا ترين يا أم قيس؟ كما ترى أنت...، سيكون بوسعنا أن نعلم قيس " [2]، فالعامل يذهب للعمل خارج البلاد مجبراً؛ إنها الأسرة ومتطلباتها، فيبذل كل الجهد في المصانع والمطاعم الأوربية، يقول أحد العمال المغتربين: "مصانع ألمانيا أكلت من جلدي راقات، هناك لم أكن أحس بأي فرق بيني وبين أي عامل آخر" [3]، فكان من باب أولى العمل في الوطن بدلاً من الذهاب إلى الدول الأوربية.

وهناك من يعمل في التهريب بلا رحمة ولا شفقة، كل همه جمع المال وبأي الطرق، من الصغير والكبير، " وقف أسعد أمام الرجل السمين صاحب المكتب الذي يتولى تهريب الناس من البصرة إلى الكويت، ثم انفجر: خمسة عشر ديناراً سأدفعها لك؟... ولكن بعد أن أصل وليس قبل ذلك قط... إذا لم تعجبك شروطنا فبوسعك أن تستدير... وستجد نفسك في الطريق"[4]، فهذه السمنة جاءت من أرزاق الناس الفقراء الذين أجبرهم المحتل على الهجرة والهرب من الديار بحثاً عن الرزق في الغربة.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص47.
2) السابق: 48.
3) الصبار، سحر خليفة، 1976، ص85.
4) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، 53.

ويدخل غسان كنفاني داخل أعماق أسعد، الذي ينوي الهرب إلى الكويت مع رفاقه للعمل فيها، " كان رأسه ما يزال يطن مثل الخلية، وصاح بملء رئتيه... متى ستبدأ الرحلة؟ ... حتى يرتفع العدد إلى عشرة أشخاص، ونرسل معهم دليلاً واحداً.. هل ستعطيني النقود الآن؟ " [1]، ثم يأتي بعد ذلك بأدق التفاصيل، " سأعطيك الخمسين ديناراً التي طلبتها، وعليك أن تعرف أنها جني عمر... إنني أريدك أن تبدأ... إنني لا أستطيع أن أتصور ابنتي المسكينة تنتظر أكثر هل تفهمني؟ " [2]، فوالد ندى لا يهمه إلا ابنته، ولذلك يقدم الأموال وجني العمر لأسعد المحتاج إلى السفر، والعمل في الخارج؛ للتوسيع على نفسه وأهله.

وهناك من يعمل في التهريب كالسائقين، ويبدع غسان كنفاني في تصويرهم، " لاحظ الآن أن منظره يوحي حقاً بالخيزران، فهو رجل طويل القامة جداً، نحيل جداً، ولكن عنقه وكفيه تعطي الشعور بالقوة والمتانة... بوسعه أن يقوس نفسه، فيضع رأسه بين قدميه دون أن يسبب ذلك أي إزعاجٍ لعموده الفقري أو بقية عظامه. " [3]، فلا بد للمهرّب أن يتصف بالقوة والمتانة؛ ليحسن التصرف مع الصحراء والمهربين الآخرين.

وفي كثير من الأحوال يُجمع العمال على من ينوب عنهم، ويتفاوض بلسانهم؛ للحفاظ على حقوقهم، " لقد رأيت الشباب سلموني الأمر، فدعني أقول لك شيئاً: إننا من بلدٍ واحد، نحن نريد أن نرتزق، وأنت تريد أن ترتزق، لا بأس، ولكن يجب أن يكون الأمر في منتهى العدل... وكما يقول المثل: ما يبدأ بالشرط ينتهي بالرضا " [4].

ويرى الباحث أن أمير الجماعة مطلوب في كل الأوقات والأماكن، وبخاصة في السفر والمفاوضات؛ لتحقيق أفضل النتائج.

وفي رواية (رجال في الشمس) يبرز غسان كنفاني رجل الأعمال الحاج رضا، صاحب شركة السيارات في الكويت، والذي يعمل معه أبو الخيزران، " أوقف سيارته، وهبط ثم اقترب... ما رأي عمي الحاج رضا أن يصعد إلى سيارتي؟... تمام! إن صوت محرك سيارتك أرحم من

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 60.
2) السابق: 61.
3) السابق: 75.
4) السابق: 93.

الوقوف هنا مدة أربع ساعات " [1]، فسر الحاج رضا من أبي الخيزران، وزاد راتبه قليلاً، وجعله رفيقاً ضرورياً لكل رحلة قنص أو سفر بعيدة، فصاحب العمل يعجب بعامله إذا كان مفكراً ومبدعاً في آرائه وتصرفاته، يجد البدائل والحلول للمشكلات بمهارة وإتقان .

ولقد أظهر الخطاب الروائي شخصية (أسعد) في رواية (رجال في الشمس) باللين والعطف عند التعمق بداخلها، " قال أسعد محدثاً نفسه: سوف يأتي دور العجوز أخيراً ليستظل هنا.. ولكن لا بأس على أي حال، فإن الشمس تبقى محتملة الآن.. أما عند الظهيرة فسيكون حظ العجوز حسناً " [2].

فمن حسن الأدب والأخلاق التفكير في الآخرين، وبخاصة كبار السن والإحساس بشعورهم واحتياجاتهم، وتغليب المصلحة العامة على الخاصة.

ويصف غسان كنفاني الكيلومترات المقطوعة بالصراط يوم القيامة، والسجن بالنار، والوصول إلى الكويت بالجنة، وأما حرس الحدود بالملائكة، وكأن من دخل الكويت فاز ونجا، ومن سقط في الكمائن وسجن فقد وقع في النار، " إن هذه الكيلومترات المئة والخمسين أشبهها بيني وبين نفسي بالصراط الذي وعد الله خلقه أن يسيروا عليه قبل أن يجري توزيعهم بين الجنة والنار "[3]، فالمسافة إلى الكويت عند أبي الخيزران بالصراط، وذلك لصعوبة اجتيازها من حرس الحدود والكمائن المنتصبة للهاربين.

ولقد أعلن السارد حقه في التدخل في مجريات الأحداث، فيكشف لنا حقيقة المهرب وهمه في الحياة، " لقد اكتشفت أنه من الصعب تجميع ثروة عن طريق التهريب.. أترى هذا المخلوق الحقير الذي هو أنا؟ إنني أمتلك بعض المال!.. وبعد عامين سأترك كل شيء وأستقر.. أريد أن أستريح... أستلقي في الظل وأفكر أو لا أفكر.. لا أريد أن أتحرك قط.. لقد تعبت في

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص96.
2) السابق: 105.
3) السابق: 105.

حياتي"[1]، فالمهرب يبحث عن مبررات لعمله في التهريب، وكل همه جمع الأموال، ولا شيء غير المال.

كما ويكشف الخطاب الروائي عن كثرة الأيدي العاملة التي لا تعمل، فهي كالذباب، " الحج رضا لن يطردك، لا تخف.. لا يمكن أن يعثر على شاب مثلك، هه! الشباب يملأون الأرض كالفقع.. لو أشار بيديه لتهاووا فوقه كالذباب " [2]، وهذا دليل على كثرة العمال الذين لا يعملون، ووجود البطالة بين صفوف الفلسطينيين وبأعداد كثيرة، فهم كالذباب لا يمكن عدّهم بسهولة.

ويذهب غسان كنفاني إلى وجه الشبه التعريضي عند العامل أسعد، " وقف أسعد هنيهة... وأخيراً قال لاهثاً: أووف! الطقس هنا في غاية البرودة " [3]، وهنا لا يصرح الكاتب إلا بعكس ما يتوقعه السامع تعريضاً بذكر الصفة للمشبه، فالكاتب يريد غاية السخونة ولا يريد البرودة، فالسفرة كانت في الصيف وليست في الشتاء.

ويستمر الخطاب الروائي في وصف الخوف الذي امتلك القلوب الخائفة وهى تبحث عن عمل، " فدور نظره فوق وجوههم فبدت له وجوهاً صفراء محنطة، ولولا أن صدر مروان كان يرتفع ويهبط، ولولا أن أبا قيس كان يتنفس بصفيرٍ مسموع، لخيل إليه إذن أنهما ميتان "[4]، فالإصفرار دليل على الخوف والضعف والمرض، والتنفس بصفير مسموع دليل على التعب والإرهاق والمرض وكبر السن.

ومن الملاحظ أن الرجال الأربعة يعلم كل واحد منهم خطورة الطريق، وبالرغم من ذلك يستمرون فيه، " لم يكن أي واحد من الأربعة يرغب في مزيد من الحديث.. ليس لأن التعب قد أنهكهم فقط بل لأن كل واحد منهم غاص في أفكاره عميقاً عميقاً " [5]، فالأفكار والغوص فيها ترهق أهلها أكثر من التعب نفسه، إنها صعوبة الطريق، وعسر تحقيق الهدف المنشود.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص114.
2) السابق: 119.
3) السابق: 121.
4) السابق: 122.
5) السابق: 129.

ولغة العامل تختلف عن لغة المثقف الدارس في المدارس والجامعات، فنجد عنده قلة الخبرة، والسخرية من العلم والعلماء، والاستهزاء بالتعليم والمدارس، " أنت ما زلت فتى لا تفهم من الحياة إلا قدر ما يفهم الطفل الرضيع من بيته! المدرسة لا تعلم شيئاً.. لا تعلم سوى الكسل، فاتركها وغص في المقلاة مثلما فعل سائر البشر" [1]، إنها نظرة العجزة الذين يجهلون أهمية التعليم، ودوره في نهضة الشعوب واستقلالها، ودوره في الثورة ضد المحتل من أجل التحرير واسترداد الحقوق.

لقد جعل الكاتب الرجال الثلاثة يدخلون السجن بأيديهم وأرجلهم وبإرادتهم، " إذا كانت سيارتك معصومة عن التفتيش.. فلماذا لا نبقى خارج ذلك السجن الرهيب " [2]، فالخزان بمثابة السجن الرهيب، وبالرغم من ذلك يمزح أبو الخيزران مع الرجال، ويعدهم بإقامة حفلة غداء رائعة وذبح دجاجتين عند وصول الكويت بسلام، فلا بد من وجود من يهون الأمر ويبسطه بالرغم من وعورته، والصعوبة في تحقيقه.

لقد هيّأ الكاتب القارئ نفسياً لتلك النهاية المحزنة في (رواية رجال في الشمس)، فبعد العجز والهرب من الوطن من أجل لقمة العيش، يفقد الرجال الثلاثة أرواحهم داخل الخزان الحديدي، فما كان من القيادة الممثلة في أبي الخيزران إلا أن يقود سيارته ليلاً متجهاً إلى خارج المدينة النائمة؛ ليبتعد عنها حتى يعم الظلام، في ليلة لا قمر فيها إلى أطراف الصحراء الصامتة كالموت؛ لدفنهم، ويلقى بهم على رأس الطريق حيث تقف سيارات البلدية لإلقاء قمامتها، ولدناوة نفسه عاد مرة أخرى للجثث فأخرج النقود من جيوبها، وانتزع ساعة مروان، وعاد أدراجه إلى سيارته، بلا خوف أو إحساس.

والمدقق في رواية (الأعمى والأطرش) يرى أن غسان كنفاني أظهر في تلك الرواية اعتماد العامل الفلسطيني على كيس الإعاشة التي تقدمه وكالة الغوث للاجئ الفلسطيني، وبما فيه من ذل ونكد وإهانة للفلسطيني المعتز بكرامته، " الحقائق الكبيرة كما يبدو لا يحتاج مجيئها إلى مناسبات، كنت أناول رجلاً ما كيس الإعاشة، وكنت أقول: عيشة النكد هذه، أودُّ لو... وقلت

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 130.
2) السابق: 133.

لنفسي! أنت يا ولد منذ عشرين سنة تقول ذلك ألف مرة في اليوم، وللتو شعرت بشيء من الخجل " [1]، فصفوف اللاجئين من الرجال والنساء والأطفال لا تنتهي منذ عشرين سنة، تمتد أيديهم لوكالة الغوث لأخذ الطحين والسمن والفول، إنهم أجيال مسحوقة أمام قصر المحسنين.

7- شخصية المعلم:

من الروايات التي تعرضت لشخصية المعلم عند غسان كنفاني رواية (رجال في الشمس)، فوصف صورته للقارئ، كأنه يراه، "الأستاذ سليم، العجوز النحيل الأشيب... كان الأستاذ سليم واقفاً أمام التلميذ الصغير، وكان يصيح بأعلى صوته، وهو يهز عصاه الرفيعة " [2]، أوصاف دقيقة للمعلم، عجوز، نحيل، أشيب، صوته عالٍ.

والمثقف عند غسان كنفاني أول من يقاوم المحتل، يشارك في الثورة والعمل الفدائي، يقاتل العدو من أجل الحرية والاستقلال، " إنني أجيد إطلاق الرصاص... وإذا هاجموكم أيقظوني، قد أكون ذا نفع " [3]، فهو يعلم، ويقاوم، وآخر من ينكسر.

وعلى المعلم الجاد الكفء أن يوضح للمتعلمين حقيقة الأمور؛ لتعم الفائدة على السامعين، ففي رواية (العاشق) عندما رويت قصة قاسم الشجاع لأستاذ المدرسة مساءً عند الشيخ سلمان ضرب كفاً فوق كف، وهو يضحك ضحكته الشهيرة المتعارف عليها، ويقول: هذا لا يحدث إلا لعاشق، ولكن الشيخ سلمان في المجلس جامله بضحكة أخرى، فهم منها الأستاذ أنه مطالب بتوضيح ما يقوله، فقال: " إن نار العشق التي تكويه من الداخل أشد حرارة من النار التي داس عليها، ولذلك لم يحس بها، إنه عاشق " [4]، فعلى المعلم أن يكون على علاقة طيبة بالطلاب، يبتسم في وجوههم، ويتعرف على متطلباتهم، ويوضح لهم كل مبهم، وإلا كانت الفوضي في المدارس، وعليه أن يبتعد عن الانتهازية والنفاق؛ لأنه القدوة لطلابه، ففي رواية عبد الرحمن عباد (مذكرات خروف) قدم لنا صورة قائمة عن الواقع التعليمي في فلسطين" فالانتهازية والنفاق

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص479.
2) السابق: 38.
3) السابق: 42.
4) السابق: 428.

والرشوة هي دليل بعض المعلمين، هؤلاء الانتهازيون ينالون الحظوة عند رؤسائهم، فيصعدون على سلم الترقيات حتى يصلوا إلى أعلى المراتب، أما المعلم الجاد والمخلص في عمله فمحروم من أبسط حقوقه " [1]، فالانتهازية والنفاق والرشوة تبعد التعليم عن الجادة والصواب، فالمعلم قدوة حسنة لطلبته.

8- شخصية المحامي:

لقد تعرضت رواية الشيء الآخر (من قتل ليلى الحايك؟) لشخصية (المحامي)، المدافع عن المتهمين وعن نفسه، " لقد استغرب الكثيرون مني، أنا بالذات أن ألتزم الصمت في حين أخذت الدلائل كلها تدفعني أكثر فأكثر نحو حبل المشنقة، أنا الذي ما تعودت أن أصمت حين كان الموت يهدد الرجال الذين سلموني، بقدرية لا مثيل لها، حبال مصائرهم " [2]، فالمتهمون في المحاكم يسلمون المحامي رقابهم، ومن خلال مرافعته عنهم يُحكم عليهم بالبراءة أو الإدانة.

وما كتبه غسان كنفاني في رواية (الشيء الآخر) هو عمل بوليسي، يعتمد على إظهار ما يحدث في المحاكم والقضاء الفلسطيني، " فيما مضى كنت أرمقك وأنت جالسة في مقاعد الحضور، تنظرين إليّ ... وأنا منصرف إلى الدفاع عن المتهمين، وحين كنت أنتزع من منصة القضاء حكماً بإبطال الموت عن موكلي كنت أعتبر هذا النصر هدية لعينيك وحدك " [3]، فكل ما يهم المحامي هو تبرئة المتهم، وإرضاء الجمهور؛ للمحافظة على شعبيته بين الناس.

ولقد وظف غسان كنفاني النسيج القصصي ولحظات التوتر في الرواية؛ لمعرفة قاتل ليلى الحايك، والظروف المحيطة بالجريمة، ومحاولة رفع التهمة عن الشاب المحامي، " كيف تفكرين الآن؟ هل تعتقدين لحظة أنني أنا الذي قتلتُ صديقتك ليلى الحايك؟ هذا السؤال هو الذي كان وحده يؤرقني في الليالي التي أمضيتها وحيداً في الزنزانة... لماذا لم تدافع عن حياتك؟ أنت

1) مذكرات خروف، عبد الرحمن عباد، 1990، ص29.
2) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص6.
3) السابق: 6.

الذي خلصت حياة الكثيرين من حبل المشنقة " [1]، فأكثر ما يقلق البريء الشك فيه، وعدم تصديقه.

كما ويؤكد غسان كنفاني على دور عنصر المصادفة في قتل ليلى الحايك، وهو يلعب في الأحداث دوراً كبيراً؛ ليلف حبل المشنقة حول شخصٍ بريءٍ غير القاتل الحقيقي، وعلى المحامي الكفء تبرئت المتهم، " أجيبك ببساطة: شيء آخر هو الذي قتل ليلى الحايك، شيء لم يعرفه القانون، ولا يريد أن يعرفه، شيء موجود فينا، فيك أنت " [2]، فالقانون لا يؤمن إلا بالأدلة والحقائق والوقائع والشهود.

ويشير غسان كنفاني إلى أسلوب في التحقيق، يستخدمه المحققون، وهو التجاهل والحرب النفسية مع المتهم، " وتبادلت تحية الصباح مع عدد من الموظفين الذين يعرفونني جيداً، ودخلت إلى غرفة المحقق دون استئذان... وهناك فقط جاءني للحظة واحدة شعور غير مريح حين تجاهل يدي الممدودة، ولم يقف " [3]، جاء هذا التصرف من المحقق ليفهمه أنه في دائرة الاتهام، وليس بزائر أو ضيف.

والمحامي كباقي البشر، إذا تعرض للاتهام في غرفة التحقيق يكبل بالصمت من هول المفاجأة، ويكون غير قادر على الإجابة؛ لأنه لا يعي ما يحدث معه، وبخاصة إذا كانت المواجهة بالحقائق والأدلة، " لقد أوقعت علبة مفتوحة بالطريقة ذاتها، متى؟ في نفس الليلة التي قتلت فيها، أمس، وبدت كلمة قتلت حين لفظت الآن جديدة، تماماً ومرعبة... أما هو فقد أدار ظهره، وعندها فقط ارتجفتُ، وعضضتُ شفتي، ومنعت نفسي من البكاء " [4]، إنه الضعف وعدم القدرة على التفكير.

وفي الرواية يُدخل غسان كنفاني المحامي في مواجهة مع أمور خارجة عن إرادته، ليثبت عجزه أمامها، فهو أمام جريمة قتل لم يرتكبها، والحكم عليه بالإعدام لا مفر منه، كل ذلك يقدم بطريقة مونولوج داخلي، " أنت محامٍ قديم، رأيتك تدافع بذكاء عن أكثر من قاتل، وتكاد تنجح

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص7.
2) السابق: 7.
3) السابق: 10.
4) السابق: 13.

تقريباً في كل مرة بتخليص رقبته من الحبل، ولكن حين يجيء دورك تسقط علبة سجائرك على باب بيتها، ثم تعترف بأنها لك... وفحصني بعينيه الصغيرتين محاولاً الدخول إلى رأسي " [1].

ويرى الباحث أن الكاتب وضع شخصية المحامي في صراعٍ داخلي، وحوار مع ذاتها؛ فيعترف بأمور توحي بأنه القاتل، ومن كثرة التفكير والصراع مع الذات الظاهر على المحامي يحاول المحقق الدخول إلى رأس صالح؛ لمعرفة ما يدور بداخلها، فالأحداث ضد صالح، ومرافعة الاتهام واستجوابات الشهود أيضاً ضده.

ويبدو في الرواية أن غسان كنفاني يريد إبراز بعض الصفات التي تتميز بها شخصية صالح، " إنني سمعت عنك أنك محام لامع، وأنا في الحقيقة فخور بمعرفتك، ونظرت ليلى إليّ... ودرستني... وكان من العسير عليّ أن أعرف فيما إذا كنت اجتزت ذلك الامتحان " [2]، فإظهار تلك الصفات أمام النساء ملفتة للنظر، والإعجاب منهن بها لا يحمد عقباه.

كما ونلاحظ أن غسان كنفاني يدخل في أدق التفاصيل لشخصية المحامي صالح، والعلاقات الإنسانية التي يؤمن بها، " وتركته يرقص مع ديما، وراقصت ليلى بوقار، وحرصت أن لا أطرح عليها أيما سؤال، أما هي ... قد سألتني إذا كنت أعرف حقاً أن ديما رائعة، وأنها كانت أجمل فتيات الصف بلا منافسة، وسألتني عن عملي ومكتبي وسيارتي وعائلتي " [3]، إنه الاختلاط، وضعف الإيمان، وما يجره من عواقب وخيمة على النفس البشرية إذا اتبعت خطوات الشيطان.

وشرف المحامي في سمعته، وأمانته، وقدرته على تحقيق العدالة بين الناس، وتحت سقف القانون، " إن ذلك يحتاج إلى محام لامع، لا تربطه بنا علاقة وثيقة، ويتمتع بأمانة وسمعة، تجعلانه يحجم عن استغلال قضية من هذا النوع " [4]، إنها قضية إرث مع الشاب الأرجنتيني، ويسعى سعيد للاتفاق مع صالح لمسك القضية، والاعتماد عليه في حلها.

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 15.
2) السابق: 23.
3) السابق: 24.
4) السابق: 32.

ولكن الأحداث عند غسان كنفاني تتطور، ويصبح صالح مع الشاب الأرجنتيني، وضد موكله القديم سعيد، " وقد جاءت برفقته بناءً على نصح المحكمة لهما بأن يحاولا الوصول معي إلى صلح، لقد جلست هناك مع زوجها، كأنها لا تعرفني إلا كما يعرف المرء محامي خصمه فقط، وقد وافقت أنا بدوري على الصلح، ولكني طلبت لموكلي ثلثي الإرث " [1]، مما دفع ليلى الحايك للإعلان عن وثيقة بحوزتها ستحسم بها القضية، وتنهي موضوع الإرث لصالحها.

ويؤكد غسان كنفاني على الأثر السلبي الذي يتركه السجن على نفسية المثقف السجين ولو كان محامياً، " لقد قررت أن أعترف بعلاقتي غير المشروعة بليلى... وبدا لي أنني سأدفع ثمناً غالياً لذلك الاعتراف، وأنني لن أفقد بعده زوجتي فقط، ولكن سمعتي أيضاً، التي تعتبر في مهنة مثل مهنتي أهم بكثير من الكفاءة " [2]، فالسجين يضعف في سجنه، وقد يعترف بأمور لا يريد لأحد التعرف عليها، ولكنه البحث عن الخلاص وبأي الأثمان.

كما وأن المحقق يتلاعب بنفسية المتهم، كمنع المقابلات والزيارات للسجين؛ للنيل من نفسيته وإضعافها، " ولكن يا سيدي لا أستطيع أن أرى مبرراً لمنع المقابلات... كنت أود فعلاً مقابلة السيد الحايك... لقد حاول الانتحار بعد سماعه النبأ، ولكنه أنقذ في آخر لحظة، وزوجتي؟ لقد اقتضى استكمال التحقيق هذا الإجراء " [3]، كل ذلك من أجل تحقيق أفضل النتائج، وأخذ الاعترافات بسهولة من المتهم.

وها هو اليأس يدب في أوصال المحامي صالح، فيدخل في صراع داخلي مع أفكاره بعد أن اجتمعت جميع الأدلة ضده، وأصبح المتهم الوحيد في القتل، " لقد عرفت تماماً أن لا فرار، وعرفت أنه سواء أكنت ضحية مجرم تفوق على كل احتياطاتي وأوقعني، أم كنت ضحية شيء لا يعترف به القانون اسمه المصادفة، فإن الهروب من الفخ أضحى مستحيلاً " [4]، فغسان يحبك الأحداث مع بعضها، من خلال قصة تلعب فيها المصادفة دوراً مهماً مع القاتل في

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 48.
2) السابق: 54.
3) السابق: 56.
4) السابقك 66.

ضياع صالح، ولف حبل المشنقة حول عنقه، فعجز المحامي المبتدئ في الدفاع عنه، ورفض إكمال مهمته، وحاول محامٍ آخر أن يتولى الأمر، ويدافع عن صالح.

ويواصل غسان كنفاني بكل براعة العبور إلى أعماق شخصية المحامي صالح المتهم بقتل ليلى الحايك من خلال مجموعة من الاعترافات، " نعم قلت في نفسي: زرت ليلى الحايك، نعم هذه علبة سجايري... نعم حاولت الصعود إلى بيت ليلى مرة أخرى، نعم طالبت بثلثي الإرث للوريث الأرجنتيني، نعم، نعم، نعم " [1]، إنها أدلة واضحة، وضده في المحكمة وأمام القاضي والجمهور، والمحامي صالح في نظر الحضور مجرم، سيذهب إلى المشنقة.

ولكن أحداث الرواية تكشف كذب الوريث المزعوم، وأن محجوب السيد والد المغدورة ليلى كان فلاحاً، سكن عند أرملة في الأرجنتين ولمساعدتها له قرر أن يساعدها، فكان يرسل لها المساعدات، " لقد كان رجلاً شهماً فلم يشأ أن يترك المرأة إلى مصيرها التعس، فوعدها بمساعدة لمدى الحياة، وكتب لها... إن كان الولد ليس ابنه فإنه يعتبره ابن بلاده على الأقل " [2]، فالمتهم كان يدافع عن إرث الابن المزعوم، وطالب له بثلثي الميراث، " وكان المتهم يعرف بأن المدعي المجهول سيرضى بأقل من العشر " [3]، كل الأمور ضد المحامي صالح، مما أغضب زوجته منه رافضةً صمته أمام المحكمة.

وكما نلاحظ أن غسان كنفاني يستخدم المنطق والمعقول في الأحداث الدائرة حول شخصية المحامي صالح، حيث دراسة القواعد والقوانين العامة للتفكير الإنساني الصحيح، ومعرفة ما إذا كان الشيء صحيحاً، " إن القانون لا يقبل بأن يقوم رجل غاضب بارتكاب جريمة، ولكنه كي يعاقبه يقتله، كأنه هو ذاته هذا القانون رجل غاضب، لماذا لا يقبل الغضب ولكنه يقبل استعمال أدوات الغضب؟... لماذا لا يقبل المصادفة ولكنه يعتمد عليها في إثبات الواقع؟ " [4]، ويستمر غسان في استخدام المنطق والقدرة على التفكير في سرد الأحداث، " ومن الناحية المنطقية ليس لدى موكلي أي مانع من أن يأخذ القضية، وعلى العكس فقد أخذها بناءً على نصح خصمه،

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 79.
2) السابق: 90.
3) السابق: 95.
4) السابق: 105.

لأن خصمه هذا كان يثق بنزاهة موكلي، وحرصه على القانون " [1]، فالقضية تحتاج إلى أدلة وحقائق، ومنطق في طرح الأمور؛ لتنسجم مع القانون، وتحديد الرجل المجهول مرتكب الجريمة.

ويرى غسان كنفاني أن المنطق والمعقول قد يبتعد عن الحقيقة، فتقلب الأمور رأساً على عقب، " وقبل أن أكمل، لمحت في عيني والدتي ارتياحاً، وعرفت أنني ربحت القضية، فقصة الخادمة ليست معقولة ولا منطقية رغم أنها حقيقية، أما قصتي فمعقولة ومنطقية ورغم ذلك ليست حقيقية! " [2]، فالمنطق والواقعية مع صالح بالرغم أنها مغايرة للحقيقة، ولكنها سرقت الحقيقة من الخادمة كما سرقت فلسطين من العصابات الصهيونية، وبمساندة بريطانيا والدول الغربية.

ومن الجدير بالذكر أن الفن القصصي يعتمد على الرمزية؛ ليكون أقدر على التأثير في الجمهور، " فالمحامي هو المتهم الفلسطيني الحائر الباحث عن القانون، والضحية ليلى الحايك هي القضية الفلسطينية أو الحق الضائع، والشيء الآخر هو المسؤول عن ضياع الحق الفلسطيني، وهو ما ينسحب على الغرب " [3]، فصالح المتهم هو الشعب الفلسطيني العاجز عن تحرير أرضه، وهو متهم بإضاعة فلسطين، والمحققون والقضاة هم الدول الغربية المساندة لإسرائيل، وهم في نفس الوقت الشيء الآخر المتحالف مع الصهاينة ضد الضحية فلسطين، وعلى الشعب الفلسطيني أن يركز على وحدته من أجل قضيته العادلة، ويحافظ على مقاومته؛ ليسترد حقوقه ويعود إلى أرضه، وإلا سيبقى الموت والصمت حتى تنهض الثورة من جديد ضد المحتل، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

ب- شخصية المرأة الفلسطينية:

لقد ساهمت المرأة مع الرجل في بناء المجتمع الفلسطيني، فكانت الأم، والزوجة، والابنة، وكان لها دور في العمل الثوري مع الرجل، وللمرأة الفلسطينية دور فاعل في الكفاح المسلح كدلال المغربي، والنضال السياسي والدعوي والعسكري كخنساء فلسطين (أم نضال فرحات)،

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 113.
2) السابق: 134.
3) فلسطين في أدب غسان كنفاني، مصطفى عبد الغني، 1990، ص53.

كما وتأثرت المرأة بالظروف التي تأثر بها الرجل مما ساعد على تشكيل شخصيتها، فشاركت الرجل في الحياة، والكفاح والنضال السياسي، فكانت المناضلة، والعاملة، والزوجة، والأم، فأوجدها المثقف في أعماله الأدبية، " ولأول مرة يجري إبراز الحيف النازل بالمرأة، ويتعاطف مع معاناتها، وقدم الأدب الحديث المرأة كائناً بشرياً يستحق الاحترام " [1].

فالمرأة كالرجل لها حقوق وعليها واجبات، لا يستطيع أحد أن ينكرها، فهي شقيقة الرجل، ونصف المجتمع.

ولقد اختلفت وجهات النظر عند الروائيين بالنسبة للمرأة، فكانت الموظفة العاملة بشرف، والأخت الدارسة، والأم المحتسبة، والزوجة الصابرة، والمناضلة، كما وجدت العابثة بشرفها في لحظة شيطانية أو العميلة البائعة لوطنها.

ووظفت المرأة في روايات غسان كنفاني على عدة أشكال، منها:

1- شخصية الزوجة والأم:

تناولت الرواية الفلسطينية المرأة (الزوجة والأم) التي تحترم زوجها، وتقدره، وتتحمله في السراء والضراء، وتحافظ على بيتها وأبنائها، تربية وتعليماً ورعاية، وهي مسؤولة مع الرجل في تربية الأبناء، وعليها يقع الجرم إذا أنجبت البنات، وتلقب بأم البنات، ويعبس أهل الزوج في وجهها، وقد يُدفع الزوج للزواج بغيرها، وقد تخرج للعمل للنفقة على أبنائها في حالة غياب الزوج أو فقدانه.

ويجسد لنا غسان كنفاني دورها في رواية (رجال في الشمس) بأنها الحريصة على تربية الأبناء، " رمقته زوجته من طرف عينيها، ثم قالت: اذهب والعب يا قيس في الغرفة الأخرى... وقالت لزوجها: لا تحكي أمامه بهذا الشكل، الولد مبسوط لأنه يعرف ذلك، لماذا تخيب

1) تأملات نقدية في نماذج من الأدب الفلسطيني، عزت الغزاوي، 2001، ص67.

أمله؟"[1]، فالمرأة المخلصة لبيتها تتعاون مع زوجها في تربية الأبناء، وتخاف عليهم حتى من أقرب الأقربين، فهي تربية وتعليم للأبناء.

والأم الفلسطينية تحافظ على بيتها في كل الأحوال والظروف الصعبة، تملأ الفراغ الذي يتركه الأب، حتى عند طلاقها، " ولكن هل بوسع والده أن يغفر لنفسه تلك الجريمة؟، أن يترك أربعة أطفال، أن يطلقك أنت بلا أي سبب، ثم يتزوج... ولكن لماذا فعل ذلك معك أنتِ؟ أنا أعرف أنك لا تحبين لأحد أن يحكي عنه... ولكن لماذا تعتقدين أنه فعل ذلك؟ " [2]، وبالرغم من الطلاق تبقى الزوجة الصالحة محافظة على أبنائها، ترعاهم وتهتم بهم.

ومن ويلات الاحتلال على الأم الفلسطينية إبعادها عن أبنائها، وتشريد الأسرة، والإعلان عن المفقودين عبر الراديو، " أختك أم حامد جاء اسمها في الراديو، سألت عنك وعن حامد وعن مريم، وطلبت أن تقولوا لها أين أنتم؟ " [3]، فالاحتلال أربك الأوضاع في فلسطين، وكان وراء الهجرة من المدن والقرى الفلسطينية.

وفي رواية (أم سعد) عام 1969م قدم غسان كنفاني شخصية الأم الفلسطينية متمثلةً في أم سعد، بملامح ثورية نضالية، تمثل الطبقة الفقيرة المثقلة بهموم الوطن، " فقد كان صوتها دائماً بالنسبة لي هو صوت تلك الطبقة الفلسطينية التي دفعت غالياً ثمن الهزيمة " [4]، وهي كعرق الدالية شجرة معطاءة، وكشجرة الزيتون جذورها عميقة في باطن الأرض، تتحمل وتصبر من أجل الوطن.

كما أن شخصية (أم سعد) تجسيد للأم الفلسطينية، التي ترفض ذل اللجوء والمخيمات، فتلحق بابنها سعد عند خروجه من المخيم، وتسمعه كيف تزغرط، وتسخر من المختار وتصفه بالأهبل؛ لقوله لها: سأعود لك به، " الأهبل يعتقد أن هذا ما أريده.. الأهبل يعتقد أن ذلك ما يريده سعد، أتعرف؟ سيعود المختار في الليل، ويقول لي: ابنك ولد شقي، أخرجته من السجن،

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص44.
2) السابق: 79.
3) السابق: 193.
4) السابق: 242.

فهرب مني نحو الجبل " [1]، إنه النضال والثورة، وهذا يغضب من يتعاون مع المحتل ، فالمناضل قراره: إما النصر والحرية وإلا فليكن الأسر أو الاستشهاد، هذا ما علمته أم سعد لابنها منذ نعومة أظفاره، وها هي تفتخر بابنها سعد ورفاقه، وتقول للمختار: "مليح اللي ما ضربوك، احمد ربك عالسلامة!" [2] ، فهي تشجع أبناءها على عزة النفس.

ومن الملاحظ أن أم سعد أم مثالية، بالرغم من حبها لسعد تقف مع الفدائيين، وتفخر بهم، وبذهاب سعد معهم، هذه هي الأم الفلسطينية، وتود لو أن عندها مثل سعد عشرة، تقدمهم للنضال، " كل مساء أقول يا رب! وكل صباح أقول يا رب! وها مرت عشرون سنة، وإذا لم يذهب سعد، فمن سيذهب؟ " [3]، إنه الوطن المحتاج إلى التضحية والفداء، وإلى سعد وأمثاله من الثوار؛ للتحرير والاستقلال.

وتظل شخصية (أم سعد) الأم الفلسطينية، من الشخصيات الفاعلة والقوية والشجاعة في الرواية الفلسطينية، " رأيت كيف يمكن للأمهات أن ينجبن المقاتلين، وخيل إليّ لوهلة أنني أرى أثراً لجرح عتيق، ملتحم ... ذلك جرح عتيق، من أيام فلسطين.. سرق الواوي دجاجة، فسحبته ... وطققت له رقبته... وسعد يقول: أنه سيرجع حين يلتئم الجرح " [4]، فالجرح هو فقدان فلسطين، وسعد وأمثاله من الفدائيين هم يسعون جاهدين؛ لتحريرها من العصابات الصهيونية.

وعلى الرغم من بساطة شخصية (أم سعد) فهي شخصية فنية تمثل الزوجة الفلسطينية، والأم المناضلة، المشاركة للرجل في العمل النضالي والفعل الثوري، كما وظهرت في الرواية الفلسطينية، وهي ترشق الحجارة، وتخلص الشباب والأطفال من المحتل وجنوده، وتحمل الزاد للمطاردين كأم سعد، و تخبئ الثوار في بيتها؛ حتى لا يقعوا في قبضة جنود الاحتلال، فالمرأة عند عمر حمش تقوم بمساعدة زوجها في طباعة المنشورات في الليل، وفي النهار " تطير، ترمح في الساحة، تكشف عن ساقيها لتجري، تصنع بطرف ثوبها مخلاة، تجمع أكثر ما يمكن جمعه من الحجارة، وتجري، تكوم للأولاد سلاح العصر، وتعود لتأتي، تصرخ بوعي... عليهم يا

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص251.
2) السابق: 254.
3) السابق: 263.
4) السابق: 278.

شباب عليهم " [1]، والأم الفلسطينية العجوز لا تخشى وعورة الطريق فتحمل صرتها بالزاد، وتذهب إلى المناضلين بالزاد، " معك بقية الأولاد؟ أطعمهم، في المغرب سأمرق من هنا وأضع الزوادة على الطريق... الله يحميكم يا أولادي " [2]، فالأم الفلسطينية المجاهدة تعتبر جميع الفدائيين في منزلة أبنائها، وتقف معهم ضد المحتل.

وإذا كانت الرواية واقعية عند غسان كنفاني فإن شخصية (أم سعد) نتاج لواقعه، وانعكاس صحيح للبطل الواقعي، فهي تحث رفيقاتها على الثورة ضد المحتل، وتقذفه بالحديد، " هذه الحدائد تفرقع دواليب السيارات... يا صبايا، لنلمها ونقذف بها إلى الرمل.. واندفعت النساء، ... إلى الطريق المظلم، وأخذوا يجمعون قطع الحديد... ويقذفون بها إلى الرمل " [3]، فالرمل يرمز إلى المحتل، ودليل على كثرته، والجميع لا يرغب في وجوده على أرض فلسطين، كبار وصغار، رجال ونساء.

فالأم الفلسطينية هي الثورة والتغيير، وسلاحها الصبر والقوة والشجاعة، فهي تتحدى الرجال خصومها، بكل قوة وعزيمة، وتقول للأفندي: " إن كنت رجلاً حاول أن تأخذها! " [4]، فالمرأة الفلسطينية تحافظ على نفسها وشرفها، وتتحول إلى وحش كاسر إذا اقترب منها غريب.

كما وأن شخصية (أم سعد) تمثل الطبقة المعدمة الضعيفة في المخيم، تصبر لقهر زوجها وقسوته، وتجد له الأعذار حتى تستمر الحياة، بعيداً عن الضجر والصياح، والخروج من البيت، " وحين كان يتعطل عن العمل كان يزداد فظاظة،... وينهر على كل الناس، وإذ يعود إلى البيت كان لا يطاق،... وفي الصباح يشاجر خياله... وذات يوم شمت أم سعد مع لهاثه رائحة الخمر " [5]، فالزوجة الصالحة تصبر، وتتحمل من أجل المحافظة على بيتها.

وفي رواية (العاشق) نلاحظ أم زينب زوجة زيد تنكر زوجها أمام العسكر عندما رجع إليها مطرزاً بالرصاص من العصابات الصهيونية، " وأطلت زوجته ونظرت إليه، وقالت للعسكر: أنا لا أعرف هذا الرجل، مسكينة حسبت أن ذلك يحميها من العقاب، ولكنها كانت امرأة بلا ظهر،

---

1) الخروج من الفمقم، عمر حمش، 1992، ص57.
2) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص286.
3) السابق: 295.
4) السابق: 324.
5) السابق: 331.

وحيدة... وحين أخذوها جاؤوا بزينب الصغيرة إلى بيتي " [1]، أنكرت معرفة زوجها خوفاً من توابع الاعتراف، فزوجة الشهيد مدانة عند المحتل، تسجن، وتسحق، وتدفع الغرامات، ويدمر بيتها، فتلجأ إلى عدم الاعتراف حتى لا تعرض نفسها للمخاطر غير المحمودة .

وإذا انتقلنا إلى رواية (الأعمى والأطرش) نجد أن الأم الحقيقية تهون عليها نفسها في سبيل أبنائها، وتعمل كل ما في وسعها من أجلهم، فتذهب أم عامر بابنها الأعمى (عامر) إلى قبر الولي عبد العاطي أملاً في العلاج، " لقد حجت أمي، حين كنت لا أعرف إلى أين تحملني وتمضي، إلى قبور كل الأولياء الصالحين... وسكبوا هناك على عيني من الزيت والدعاء ما يذوب جبلاً من الصمت والعناد، ولكن شيئاً لم يحدث " [2].

ويرى الباحث أن الجهل يضيع الجهد والوقت، وتلك الحجارة لا تنفع ولا تضر، بل تضعف الإيمان، وتضع المسلم في دائرة الشرك بالله، إنه الأمل التافه المروع الذي يبحث عنه ضعيف الإيمان.

وفي بعض الأوقات تضعف الأم أمام عجزها، فنجد الأم زينة المرتبطة بأبنائها تبيع عرضها وشرفها؛ لأجل سعادتهم، إنها أرملة فقيرة، مات زوجها وعندها أربعة أولاد، وما زالت شابة جميلة قوية، يطمع فيها الرجال " وعدت أنك ستعيد الإعاشتين، فأعدت إعاشة واحدة فقط، لقد أقسمت يومها... أنا خدعت... أولادي، تعبي، عرضي! عرضي! عرضي! ... هكذا يا سيد مصطفى يتحول الخبز إلى فراش، أنت تريد الفراش وهي تريد الخبز " [3]، فالأم المستسلمة اليائسة تسعى لنجدة أبنائها، والدفاع عن حقوقهم، وإعادة الإعاشة كاملة بعد أن سلبت منها، فتغامر بشرفها مع موظف خائن لعرضه مقابل لقمة العيش للأم وأولادها.

لذلك يبين غسان كنفاني في الرواية أن الفقر قاتل، وقد يجعل المرأة تضحي بشرفها، وبخاصة إذا كان ضعيفو الإيمان، والعملاء، وأصحاب الذمم الرخيصة، والمتساقطون في الرذيلة، يتحكمون في مصير الشعوب وأرزاقهم، مما دفع زينة المعدمة تلجأ إلى الفراش من أجل الخبز، وبالرغم من موقفها الحرج، والدرجة المعدمة التي وصلت إليها، فإن الحرة تجوع ولا تأكل

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص456.
2) السابق: 473.
3) السابق: 516.

بتذييها، من أجل المحافظة على شرفها وعرضها، فالموت بشرف أفضل بألف مرة من الحياة بذلة وهوان مع رجل مخادع يبحث عن شهوته.

2- شخصية السلبية الساقطة:

شخصية (مريم) الخائنة لعرضها في رواية (ما تبقى لكم) من الشخصيات المحورية في الرواية، تدور الأحداث حولها، وهي نقطة الضعف والخسارة، والإحباط والفشل، والتيه والهرب من الماضي عند حامد؛ لخيانتها مع زكريا، وتفريطها بعرضها بسهولة في لحظة ضعف شيطانية، " لقد قررت أن أترك غزة ... أين تذهب؟... سأذهب إلى الأردن عن طريق الصحراء، تهرب مني؟ وهز رأسه: لقد كنتِ كل شيء، وأنت ملطخة وأنا مخدوع... لو كانت أمك هنا "[1]، فالسقوط في الرذيلة، والعبث بالعرض من الأمور التي لا يستهان بها، وهي السبب في الفرقة وشتات الأسرة، وهروب الرجال من الخزي والعار.

وفي رواية (ما تبقى لكم) يمزج غسان كنفاني بين اليأس والأمل، حيث العجز والإحباط الذي تعرض له الشعب الفلسطيني وفلسطين كما حدث مع مريم، والأمل من وراء نضج وبروز تيار الوعي السياسي، والنضال الثوري ضد المحتل الذي اغتصب الأرض كما فعل زكريا النتن مع مريم، فزكريا والاحتلال وجهان لعملة واحدة هي الخيانة، مما أدى إلى تفجر العمل الثوري للشعب الفلسطيني.

ويضعنا الكاتب أمام شخصية (مريم) المستسلمة لقدرها، صاحبة العلاقة المشينة بزكريا النتن، " والآن ليس لي غيرك، وغيرها، وقد تركناه يغادرنا كلنا دون كلمة واحدة... هو الماضي كله، وبينك، أنت ما تبقى لي من المستقبل، ولكنني لم أتحرك، وأنت لم تتحرك، وهو لم يعد "[2]، ثم تعترف مريم لزكريا بخداعها لحامد بعد فعلتها القبيحة، فهي غير مؤهلة لاحترام الذات، كل ذلك سببه الفراغ الذي تركه الوالدان، لا تربية ولا تعليم، " وهذا يتطلب إعداد الطفل في البيت أولاً، قبل إلقائه في متاهات الميادين الاجتماعية، ويكون الأطفال في الغالب عرضة لأذى يلحق

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص165.
2) السابق: 171.

بهم جراء ما يصدر عنهم " [1]، فالأب غير موجود في البيت، والأم في الأردن مسافرة، ومريم مع حامد بدون رقيب، وهذه نتيجة سوء التربية، وبعد الأب والأم عن البيت.

كما ويشير الكاتب إلى أن مريم لا بد لها من تبرير خيانتها مع زكريا بالرغم من شبابها وجمالها، " ولم يدرك قط طوال عمره أن لحظة ارتطام واحدة مع رجل حقيقي ستؤدي بنا معاً، وأيضاً بعالمنا الجميل الصغير... عالم تافه غير مستعد لقبول عانس أخرى، فما الذي كنت تتوقعه إذن " [2].

فالخيانة لا تبرير لها، وكان عليها أن تصبر، وتتحمل حتى يأتي نصيبها، وليست حرة في بيع شرفها.

فالحرية أن تعرف ما لك وما عليك، ففي رواية زياد حواري (بنت من البنات)، يقدم لنا صورة سيئة لمعلمة، " تلبس لباساً فاضحاً، وتسلك سلوكاً شائناً، فهي لا تفقه معنى الحرية ...، فحرية البنت ليست في انطلاقها هكذا، ومصاحبتها للرجال، وهذه ليست حرية بقدر ما هي نوع من الجنون، دعارة، سقوط وفساد " [3]، وهذا ما أوقع مريم في الرذيلة والهاوية، تعرفت على رجل متزوج وخائن، ثم وقعت معه في الدعارة والفساد.

ويشير غسان كنفاني في روايته (ما تبقى لكم) إلى أن مريم الوردة والطموحة، أوقعت نفسها في التعاسة من وراء فعلتها المشينة، بالرغم من طموحها في مستقبل زاهر، " أيتها المسكينة الصغيرة يا مريم! أي بؤس أمضيت حياتك فيه، جعلك تقبلين بهذه النهاية! أنت يا وردة المنشية بأكملها، الطموحة المتعلمة، ذات الأصل والفصل، أي حياة تعيسة جعلتك تقبلين زكريا بأعوامه كلها وزوجته وأولاده زوجاً؟ " [4]، إنها تركت الشيطان يضحك عليها، فسلمت نفسها لزكريا؛ ليرتكب جريمته، وبذلك تفقد شرفها، وتكون سبباً في هروب أخيها من العار الذي لحق به، ونظرات الناس القاتلة إليه.

---

1) تطورات الطفل الاجتماعية، ناديا عباس، 1997، ص56.
2) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص187.
3) بنت من البنات، زياد حواري، 1974، ص67.
4) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص195.

وتسير الأحداث مع مريم بعكس ما تريد، فتصمم على المواجهة، " سأذهب إليها وأدق الباب وأقول لها: أنا ضرتك... إنه من العبث الجلوس هنا والانتظار، وسوف أحكم على نفسي بالموت لو سمحت له أن يعتبرني مجرد ممر في حياته... أي انتظار يا مريم " [1]، وبعد الزواج الحقيقي الذي تم بين مريم وزكريا تقرر الإعلان عن زواجها، وإبلاغ زوجة زكريا الأولى بذلك.

والأحداث تفرض نفسها عند مريم؛ لتصحح المسار، ولابد للخائن أن يلاقي مصيره في نهاية المطاف، زكريا الذي لوث شرفها، وانتهك عرضها في لحظات مسروقة، فالآن بوسعها أن تجز عنقه دون رجفة واحدة، وأن هذه اللحظة ستأتي لا محالة، " هل حسبت أنني تزوجتك لتنجبي لي ولداً أيتها العاهرة؟... اسمعيني... إذا لم تستطيعي إسقاط ذلك القواد الصغير... فأنت طالقة.. طالقة.. طالقة.. هل تسمعين؟ طالقة " [2]، فكان الدافع لقتله، إنها نهاية الظالم لنفسه وللآخرين، أيوجد من ينادي زوجته بالعاهرة؟، وطفله بالقواد الصغير؟، إنه بلا أدب ولا أخلاق، ويستحق القتل على فعلته قبل تلك الألفاظ الساقطة.

3- شخصية المرأة العاملة:

تعرضت الرواية الفلسطينية للمرأة العاملة في بيتها أو خارجه لدى بعض العائلات الميسورة، وقد تجبر الظروف الاقتصادية المرأة للخروج إلى العمل؛ لوفاة زوجها أو الحكم عليه بالسجن، وقد تعمل موظفة، كمعلمة أو ممرضة أو طبيبة، وفي رواية (رجال في الشمس) " كانت ثمة امرأة تساعد الأطباء، كلما يتذكر ذلك يعبق وجهه بالخجل " [3]، فالعمل شرف للرجل والمرأة، ولا يعيب العمل المرأة مادام ملتزماً، لا يخدش حياءها.

وتظل شخصية (أم سعد) نموذجاً للمرأة الفلسطينية العاملة، التي تأبي الظلم، والاعتداء على حقوق الآخرين، فتصف ناطور البناية بالقرد، وتوشك على ضربه، يريد حملها على العودة إلى العمل في إحدى العمارات الكبيرة وسط المدينة، حيث مضت تنظف الدرج والمدخل لمدة شهر وثلاثة أيام، مقابل خمس ليرات، وهي لا تريد العمل هناك، بالرغم أنه جيد وسهل، ولكن ليس

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص207.
2) السابق: 229.
3) السابق: 131.

على حساب أحد، " كانوا يعطونني سبع ليرات، أنا امرأة عندي أربعة أولاد... وجعلوني أنا أقطع رزقك، الله يقطع رزقهم، وما ذنبك أنت؟ أنت مثلي وعندك أولاد، ولكنني قلت لنفسي وقد انقطع رزقي: آتي إليك فلعل المكان الذي كنت تعملين فيه قبل أن تأتي إلى هنا ما زال شاغراً، فتدليني عليه " [1]، فأم سعد تعتذر للمرأة اللبنانية، وتترك العمل من أجلها، وتسامحها بأجرة الأسبوعين الأخيرين، لأنها لم تقبضهما بعد؛ لتحفظ رزق المرأة وأولادها.

فأم سعد هنا تخرج للعمل لقوت عيالها كباقي العاملات في فلسطين، لا تنتظر الإعانة من أحد، وقد تعرضت بعض الروايات لأمثالها، ففي رواية سحر خليفة، سعدية لا تنتظر إعانات وكالة الغوث، " لكنها تخرج للعمل، تتكسب قوت الأولاد، وتصبح رجل البيت بطريقة عملية، ولكنها تشعر بالتوتر بسبب عظم المسؤولية التي تحملها بعد موت زوجها زهدي، وتنفس عن نفسها بأن تضرب أولادها، ثم تعود فتندم، وتغرق الابن الذي تعرض للضرب بالقبلات، وتحضر للأولاد عشاءً فوق العشاء، لتكفر عن سيئاتها " [2]، فالعمل عبادة مادام بشرف، فهو أفضل بكثير من التسول، أو انتظار كابونة الإغاثة من هنا أو هناك، والفضل كل الفضل لمن يأكل من عمل يده.

ومن الجزئيات الملازمة لشخصية (أم سعد) المرأة العاملة ، والمرتبطة بالواقع أنها تلد الرجال الأبطال؛ للدفاع عن الوطن، " هذه المرأة تلد الأولاد فيصيروا فدائيين، هي تخلف وفلسطين تأخذ! " [3]، فالمرأة الفلسطينية تلد، وتربي الأبناء، وتعلمهم ما ينفعهم، وتزرع في صدورهم حب التضحية والفداء منذ الصغر؛ للدفاع عن فلسطين، ومن أجل الحرية والاستقلال.

وفي رواية (برقوق نيسان) نجد سعاد وقاد ابنة نابلس من مواليد 1945 ، مناضلة فلسطينية درست في كلية الآداب بجامعة دمشق 1962 ، والتحقت بحزب البعث، ثم " التحقت سعاد بالذراع الفلسطيني للحركة الذي قد بنى تنظيماً فدائياً صغيراً أطلق عليه اسم "شباب الثأر" وكانت تشعر بشيء من الاعتزاز حين كلفت بالقيام باتصال صغير في نابلس...وكانت القدرات التي أظهرتها في الاتصال وفي العمل هي التي أوصلتها في فترة وجيزة إلى مرتبة قيادية في

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص317.
2) عباد الشمس، سحر خليفة، 1987، ص38.
3) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص334.

نابلس " [1]، فسعاد كانت تعمل مع الفدائيين ضد المحتل الصهيوني، وكانت تشعر بالاعتزاز عند القيام بأي عمل فدائي.

ويبين غسان كنفاني في رواية (برقوق نيسان) أن من يعمل في النضال والثورة ضد المحتل يكون بيته مراقباً ومتابعاً من قبل الاحتلال وأعوانه كبيت سعاد وقاد، فقد تم القبض على أبي القاسم بداخله، وبدأ التحقيق معه بعد التفتيش، مع إطلالة ثلاثة رشيشات، ووراءها يقف جنديان وضابط، " أما أبو القاسم فقد شعر بأنه قد اصطيد، وبأن أكفاً جبارة تطبق على صدره، وأنه بحاجة إلى سعاد الآن أكثر من أي وقت مضى " [2]، فأبو القاسم يخاف من البوح بالسر الدفين في صدره، وهو أن الفتى المضرج بالدماء، والممدد على الطاولة في مخفر أريحا هو ابنه قاسم، ولكنه مؤتمن على ذلك الأمر الخطير.

ج- شخصية الطفل الفلسطيني:

تناولت الرواية الفلسطينية شخصية الطفل الفلسطيني، الذي يعيش طفولة البؤس والحرمان من أبسط مقومات حياته، فقد يخرج للعمل، وهو صغير، نظراً للظروف الاقتصادية السيئة، وعجز الوالدين عن توفير ما يلزم للبيت من مأكل أو ملبس، وبالرغم من ذلك تنجب الأسر البنين والبنات، ففي رواية (رجال في الشمس) " نريد بنتاً هذه المرة.. كلا! نريد صبياً! صبياً!، ولكنها أنجبت بنتاً سماها (حسنا)، ماتت بعد شهرين من ولادتها، وقال الطبيب مشمئزاً: لقد كانت نحيلة للغاية " [3]، فالآباء لا يهتمون بالوضع الاقتصادي، ويستمر الإنجاب؛ للمحافظة على النسل والحياة، كما وأن التصوير عند غسان كنفاني يتناول أدق الأمور، فنحيلة للغاية تدل على ضعفها الشديد، وعدم قدرتها على الحياة.

ويوضح غسان كنفاني اهتمام الأم برعاية أطفالها ومستقبلهم، فتحث زوجها على العمل؛ لتوفير ما يلزم للأسرة من متطلبات حياة، " وأخذت تهدهد طفلها من جديد، إنها مغامرة غير

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص586.
2) السابق: 596.
3) السابق: 44.

مأمونة العواقب؟... لقد مرت عشر سنوات وأنت تعيش كالشحاذ.. حرام! ابنك قيس متى سيعود للمدرسة؟ وغداً سوف يكبر الآخر.. كيف ستنظر إليه وأنت لم... " [1]، فالأطفال مسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة، وعلى الرجل أن يدبر أمره ويعمل، فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

وبالرغم من الجشع وحب المال عند بعض الناس، إلا أنهم يقدمون المساعدة للأطفال في بعض المواقف عند الحاجة إليهم، " نهض الرجل السمين صاحب المكتب واقترب منه، ثم وضع ذراعه الثقيلة فوق كتفيه: تبدو متعباً أيها الفتى... ماذا حدث؟ هل أنت مريض؟ أنا؟ كلا!، إذا كنت مريضاً قل لي.. قد أستطيع أن أساعدك.. لي كثير من الأصدقاء يعملون أطباء..اطمئن، لن تدفع شيئاً " [2]، إنها المتناقضات، استغلال ظروف الفقراء وبخاصة الأطفال، ومساعدتهم على الهرب وترك دراستهم، والرأفة بهم عند التعب أوالمرض.

وعلى الصغير أن يكبر في تصرفاته أمام المستغلين، وإلا استهين به، وضاعت حقوقه، وعرض نفسه للاعتداء بالشتم والضرب، حسن لمروان في رواية (رجال في الشمس) " إنه يجب أن يكون حين يمثل أمام المهرب أكبر من رجل، وأكثر من شجاع، وإلا ضحك عليه، وخدعه، واستغل سنيه الست عشرة، وجعل منه ألعوبة... قام الرجل السمين... ثم رفع يده الثقيلة في الهواء، تريد أن تشكوني إلى الشرطة يا ابن الـ..، وهوت اليد الثقيلة فوق خده " [3]، فقلب المهرب مثل الحجارة في القسوة والشدة، بلا رحمة ولا شفقة، وبخاصة عندما يحتقر من أمامه.

ومن هنا اهتم علماء التربية بالتفكك الأسري في المجتمعات المختلفة، وركز عليه غسان كنفاني عند اختياره لشخصية الطفل في الروايات، لأن " التفكك الأسري يعكس حياة تعسة للأطفال وسيئة، تؤدي إلى حرمانهم من الرعاية الأسرية اللازمة لنموهم السليم " [4]، فمروان وأسرته تعرضوا للتفكك الأسري بعد طلاق أمه، وزواج أبيه من امرأة أخرى، مما دفع مروان لترك الدراسة ، والبحث عن عمل خارج فلسطين، أدى بحياته إلى الموت داخل الصهريج.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص47.
2) السابق: 67.
3) السابق: 72.
4) العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، كمال إبراهيم مرسي، 1991، ص56.

وأول ما يلجأ الصغير يذهب إلى الوالدين، وفي هذه المرة يذهب مروان إلى أمه، فيكتب لها رسالة، يصف فيها أباه بأنه مجرد كلب منحط، ولم يشأ أن يشطب ذلك بعد أن كتبه، ويتعمق غسان كنفاني في تفاصيل أسرة مروان، " ولكن هل بوسع والده أن يغفر لنفسه تلك الجريمة؟، أن يترك أربعة أطفال، أن يطلقك أنت بلا أي سبب، ثم يتزوج من تلك المرأة الشوهاء.. هذا أمر لن يغفره لنفسه حين يصحو ذات يوم، ويكتشف ما فعل " [1]، والعجز يدفع الصغار إلى ترك الدراسة بحثاً عن العمل عند الضرورات، " الذين في سنك ما زالوا في المدارس! لقد كنت في المدرسة قبل شهرين، ولكنني أريد أن أشتغل الآن كي أعيل عائلتي" [2]، فمروان يترك الدراسة؛ ليحل محل الكبار في إعالة أسرته، وقد يعيل جده أو جدته في بعض الأحيان.

ففي رواية عمر حمش (الخروج من القمقم)، يصور لنا علاقة الطفل بمراكز التغذية التي أقامتها وكالة الأمم المتحدة، فالزغبي الصغير لا يفكر في نفسه، بل في إطعام جده، " يعبر الزغبي غرفة الطعام، يدخل إلى موظف التوزيع، يأخذ خبزة وبيضة، يخرج، يتربع على الرمل، يضرب بالبيضة جبينه، يقشرها كإصبع موز، يأكلها مع الخبزة مثل قرد، يقفز الزغبي بمعدة جوعى، يعود إلى الصف، يزاحم، ويشهر البطاقة من جديد، يغافل البواب والموظفين، يعبر، يخرج بيضة وخبزة، يتحسس البيضة، يتشممها، يبعدها بعيداً عن جبينه، يطير بها يحلق خفيفاً؛ ليصل جده، جئتك ببيضة وخبزة " [3]، فالزغبي كمروان في رواية (رجال في الشمس) لا يفكر في نفسه بل يفكر في أمه وإخوته الصغار الذين تركهم والده، وتزوج من امرأة أخرى لديها بيت وأموال، بعد انقطاع أخبار زكريا الموجود في الكويت.

هذا الطفل كان مكانه البيت الآمن والرعاية والتربية الحسنة، والمدرسة الصديقة له، يتعلم، يفكر في مستقبله وشعبه ووطنه وأحلامه، ولكن بعض الأسر الفلسطينية لا تتذكر كثرة الأطفال إلا عند الضيق، وشدة الحال، " كنت أيتها البقرة... مع امرأة أخرى لديها منه خمسة أطفال، وقد تلد طفلاً سادساً في المساء" [4]، فكثرة العيال عند زكريا تدفعه للتخلص من جنين مريم بلا رحمة

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص79.
2) السابق: 83.
3) الخروج من القمقم، عمر حمش، 1992، ص220.
4) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص186.

ولا شفقة، إنها قسوة القلب الذي يحمله العميل على أبنائه وأبناء شعبه، فلا يفكر إلا في نفسه وشهواته، ويرغب في الخلاص من ابنه باسقاطه وموته.

ولقد أظهر لنا الخطاب الروائي الضعف الذي يسببه الأطفال للوالدين، " أتدري؟ إن الأطفال ذل! لو لم يكن لدي هذان الطفلان للحقت به، لسكنت معه هناك " [1]، فالأطفال من الأسباب التي تحجم الآباء من الالتحاق بالفدائيين، والعيش معهم، فخيمة عن خيمة تفرق، ولكن الأطفال ذل.

والمتابع لأحداث (أم سعد) يجد أن الأطفال يدفعون الأم للبحث عن العمل، والخدمة في البيوت من أجل لقمة العيش، " كانوا يعطونني سبع ليرات، أنا امرأة عندي أربعة أولاد، وقالوا لي سبع ليرات كثير...، وجعلوني أنا أقطع رزقك، الله يقطع رزقهم " [2].

فالأطفال نقطة ضعف عند الوالدين، وهم بحاجة لتوفير كل ما يلزمهم، من: مسكن وكساء، ومأكل ومشرب، وتربية وتعليم.

كما ويُظهر غسان كنفاني أطفال المخيم بالشجاعة والاستعداد للتضحية والفداء بجانب الرجال، " أطفال المخيم وبناته ورجاله يقفزون عبر النار، ويزحفون تحت الأسلاك، ويلوحون بأسلحتهم، وقد شاهد سعيد ابنه الأصغر يقدم أمام حشود الناس عرضاً عما يتعين عليه المقاتل أن يفعل حين يتعرض لطعنة حربة كي يتجنب الأذى " [3]، فأطفال اليوم فرسان الغد، وأبطال المستقبل، يتدربون ويجهزون أنفسهم للقاء العدو بكل شجاعة وإقدام.

ومن ناحية أخرى فالأطفال هم رجال المستقبل، وأمل الأمة، " وكان التصفيق ما زال يدوي، والطفل يهز البندقية في وجه الرجال المحتشدين هناك ... وفجأة التفت رجل عجوز ... وقال: لو هيك من الأول، ما كان صار لنا شيء " [4]، وهناك من يدربهم ويرعاهم، " عندها فقط نظر العجوز إلى أم سعد، وكانت تضحك، دون أن تزيح بصرها عن سعيد الذي أعاد البندقية إلى

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص264.
2) السابق: 317.
3) السابق: 332.
4) السابق: 333.

رفيقه، وأخذ يعدو ليلتحق بالصف الطويل للأطفال الواقفين بملابسهم الخاكية في طرف الساحة"[1]، فسعيد وأمثاله من الأطفال يتدربون على حمل البندقية في الساحات؛ للانضمام إلى صفوف الفدائيين في المستقبل، وتحرير البلاد والعباد من سطوة المستعمر، والمحتل للأرض.

وفي رواية (عائد إلى حيفا) نجد الدول تهتم بالكتب الخاصة بالأطفال، العربية والأوربية، كالكتب الدينية " فكوستلر ما زال يحتفظ بنفس الديكور الذي كان يراه مرسوماً في الكتب الدينية المسيحية الملونة المخصصة لقراءات الأطفال في أوروبا " [2]، وتلك دعوة لخبراء المناهج والتربية، وأولياء الأمور في البيوت، للاهتمام بكتب الأطفال؛ لتزويدهم بالمعلومات والمهارات والخبرات اللازمة في حياتهم.

والمتابع لأحداث رواية (عائد إلى حيفا) يجد العنصرية عند اليهود، والحقد على الأطفال العرب، فميريام تشاهد شابين من الهاغناة يحملان طفلاً، ويضعانه في الشاحنة الصغيرة كأنه الحطبة، " انظر... كان ذلك طفلاً عربياً ميتاً، وقد رأيته، مكسواً بالدم...، كيف عرفت أنه طفل عربي؟، ألم تر كيف ألقوه في الشاحنة كأنه حطبة؟ لو كان يهودياً لما فعلوا ذلك " [3]، فالحقد عند اليهود على العرب وبخاصة الأطفال الفلسطينيين لا حدود له، فهم بعد المجازر التي ارتكبتها عصابات الهاغناة ضد القرى والمدن الفلسطينية، يحملون الشهداء من الأطفال ويلقون بهم كالحطب في الشاحنات.

ويبين غسان كنفاني في رواية (الأعمى والأطرش) أن الوالدين يمكن أن يكونا سبباً في جهل الأبناء، وترك مقاعد الدراسة بحثاً عن العمل، بعد موت الأب أو سجنه، مما يدفع بعض الأمهات للزواج، ومعاملة زوج الأم الأولاد معاملة سيئة، " وكان ضنيناً في الحديث عن ماضيه، ولكنني مثلما يجمع الإنسان شظايا صحن زجاجي محطم، إنه لم يذهب إلى المدرسة إلا أياماً قليلة، وقد تزوجت أمه بعد شهور من ذهاب والده للسجن، وأذاقه زوج أمه مر العيش، فقد كان فقيراً، وفظاً وشرهاً، وحين وجد في طريقه طفلاً مستسلماً مستعداً للقبول، أخذت شراسته

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص334.
2) السابق: 373.
3) السابق: 378.

تشتد ضراوة " [1]، فحمدان الصغير حرم من التعليم في المدارس بسبب سجن والده، وزواج أمه، وفظاظة زوجها وشراسته، فلجأ حمدان إلى أماكن عديدة انتهت به إلى الفرن، حتى صار مضرباً للمثل في الشدة والبأس، فالحياة مدرسة، يتعلم منها الإنسان ما لم يتعلمه من الأسرة أو المدرسة.

المبحث الثاني: شخصية الآخر(اليهود والإنجليز).

الشخصية اليهودية في روايات غسان كنفاني:

بحكم الوضع القائم والظروف المفروضة على الفلسطيني وجد الطرف الآخر في الأعمال الأدبية بصفة عامة، وفي الروايات العربية والفلسطينية خاصة، والمطلع على روايات غسان كنفاني يجده تناول شخصية الآخر، بحكم قربه منه، واحتكاكه المباشر معه، بعد احتلال فلسطين على أيدي العصابات اليهودية.

ولقد استطاع غسان كنفاني أن يتعامل مع الطرف الآخر في رواياته بكل موضوعية، بالرغم من المعاناة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، والمجازر التي ارتكبت على أيدي العصابات اليهودية بحق المدن والقرى الفلسطينية، كل ذلك بمساعدة حكومة الانتداب البريطاني التي كانت تحكم فلسطين قبل عام 1948 ، " كان أبو الخيزران سائقاً بارعاً، فقد خدم في الجيش البريطاني في فلسطين قبل عام 1948 أكثر من خمس سنين " [2]، فكان أدبه إنسانياً يتميز بالصدق ، بعيداً عن العنصرية التي يتميز بها الطرف الآخر منذ بداية الاحتلال وحتى وقتنا الحالى، يقتل، ويهجر، ويستوطن، ويتوسع في الأراضي، ويقيم المستوطنات، ويقلع الشجر، ويدمر الحجر، حتى المساجد لم تسلم من صواريخه المتفجرة، ويقود الحروب المدمرة على قطاع غزة بلا رحمة ولا شفقة، " ومهما برقت في سماء الصراع العربي الإسرائيلي بعض بوارق معاهدات السلام، فإن مؤشرات الأحداث بالنسبة للصراع العربي الإسرائيلي... تشير إلى أن هذا

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص534.
2) السابق: 94.

السلام الواهي يحمل في طياته احتمالات تجدد الصدام والحروب في أية لحظة " [1]، والحروب الأخيرة على غزة أكبر دليل على ذلك.

وما كان ذلك ليحدث لولا وعد بلفور المشؤوم في 2 نوفمبر 1917 ، الذي أصدرته الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى؛ لدعم قيام وطن قومي لليهود في فلسطين، الولاية العثمانية ذات الأقلية اليهودية، ومنذ ذلك الوقت " اتضحت جلياً أطماع اليهود في سلب الوطن الفلسطيني " [2]، وتمكن اليهود من احتلال معظم أراضي فلسطين في عام 1948، وطرد الفلسطينيين وتحويلهم إلى لاجئين، باستخدام القوة المفرطة، وارتكاب المجازر الدموية، " شفيقة امرأة بريئة، كانت صبية حين طوحت قنبلة مورتر بساقها، فبترها الأطباء من أعلى الفخذ " [3]، إنها من ضحايا العصابات اليهودية المحتلة لفلسطين.

ولقد سلب اليهود أرض فلسطين منذ عام 1948 ، كما سلبوا من شعبها حقه في الحياة الكريمة، فصور غسان كنفاني في رواياته التشرد والضياع الذي سببه الاحتلال الصهيوني للأجيال الفلسطينية؛ لتعاني الذل من أجل السعي للقمة العيش، فأحداث رواية (رجال في الشمس) تعبير عن الإرادة الفاعلة للشعب الفلسطيني، " وارتبطت حركة نزوح الفلسطينيين عام 1948 إلى خارج وطنهم بالتطورات السياسية والعسكرية في فلسطين " [4]، فكانت الهجرة والنزوح خارج الوطن.

وهناك الكثير من الدلالات والإيحاءات المختارة من الأديب غسان كنفاني في رواية (عائد إلى حيفا) حول جرائم اليهود، " طوال الطريق كان يتكلم ويتكلم ويتكلم، تحدث إلى زوجته عن كل شيء، عن الحرب وعن الهزيمة، وعن العدو الذي وصل إلى النهر والقناة ومشارف دمشق خلال ساعات... ونهب الجنود ...، ومنع التجول، والجار الذي لمّ أغراضه وهرب " [5]، تكرار كلمة "يتكلم" تدل على كثرة الكلام المختزل عند سعيد، وآن الأوان لتداوله مع صفية، وأما

1) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدائية، رشاد عبد الله الشامي، 1986، ص5.
2) الرواية في الأدب الفلسطيني، أحمد عطية أبو مطر، 1991، ص404.
3) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص130.
4) اللآجئون الفلسطينيون في لبنان إلى متى، محمود داود العلي، ط1، 1982، ص2
5) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص342.

الحرب وما نتج عنها من هزيمة توحي بالضعف والوهن، وسوء التخطيط وتقدير الأمور، لدى الجيوش العربية المهزومة في حرب 1967، ففي أيام معدودة احتل اليهود ما تبقى من فلسطين، وسيناء من مصر، والجولان من سوريا، في حرب الأيام الستة، وأما نهب الجنود للأشياء فتوحي بالهجمة الشرسة من اليهود على الممتلكات الفلسطينية؛ لزرع الرعب والخوف في صدورهم، ومنع التجول يدل على القوة، والسيطرة الكاملة لليهود على أرض فلسطين، ولذلك لمّ الجار أغراضه وهرب من مدينته.

كما ويبين غسان كنفاني أن بريطانيا هي من سلمت فلسطين لليهود، " إن الإنكليز كانوا ومازالوا يسيطرون على المدينة، وأن الأحداث في شكلها النهائي كان مقدراً لها أن تقع بعد ثلاثة أسابيع تقريباً، حين يشرع البريطانيون في الانسحاب حسب الموعد الذي حددوه... حيث كان اليهود يتمركزون منذ البدء... فقد كان ذلك المركز نقطة القوة في السلاح اليهودي " [1]، فالوعد والتسليم والانسحاب والبقاء متفق عليه بين اليهود والإنجليز، " لقد مضت اللحظات بطيئة وقاسية، وتبدو الآن مجرد كابوس ثقيل لا يصدق، اجتاز البوابة الحديدية للميناء حيث كان جنود بريطانيون يزجرون الناس ، ومن هناك رأى أكوام البشر تتساقط فوق الزوارق الصغيرة المنتظرة في الماء قرب الرصيف " [2]، وما تبقى من الجيش البريطاني في فلسطين كان مساعداً لليهود في اكتساح المدن والقرى الفلسطينية، وبسط السيطرة عليها.

ولقد أظهر غسان كنفاني في رواية (الأعمى والأطرش) شخصية الآخر المتعطشة للدماء، وحب القتل الجماعي في صفوف الفلسطينيين، فأبو قيس الأطرش استشهدت أسرته بأكملها على يد الآخر، " يبدو أنني لم أسمع أصوات الانفجارات، ونحن نجلس أمام بيتنا في الطيرة ذلك المساء، واندفع والدي وشقيقي وأمي عبر الطريق إلى حيث يقوم الملجأ المرتجل، وسقطت عليهم القنبلة وهم في منتصف المسافة، وأنقذني الصمم... وإنني أدين بحياتي لعلة طالما شكوت منها " [3].

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص350.
2) السابق: 352.
3) السابق: 529.

ويرى الباحث أن اليهود يعتمدون طريقة الأرض المحروقة، وهي الإكثار من الانفجارات، وإطلاق النار؛ لنشر الرعب في صفوف الفلسطينيين، ولا يهمهم من يقتل بقنابلهم، الوالد وزوجته وابنه يقتلون، ويسلم الأطرش من بطشهم، والذي يسلم من القتل يوضع في السجن.

ومن شخصيات الآخر عند غسان كنفاني في رواياته:

1- شخصية الضابط:

بعد احتلال فلسطين، تعامل اليهود بكل وحشية مع الفلسطينيين، وكان يتصدر الأحداث الضباط في الميدان وبين الناس، ففي رواية (ما تبقى لكم) يبين لنا غسان كنفاني شخصية الضابط اليهودي ومن معه، وكيفية التعامل مع الفلسطينيين، " كانوا يزجروننا تارة بالعبرية، وتارة بالعربية المكسرة، ثم أوقفونا صفاً واحداً... واضعين فوهات رشاشاتهم تحت أباطهم،... وعند الظهيرة تقدم الضابط ونادى سالم، إلا أن الصف بقي مستقيماً وصامتاً " [1]، فكان اليهود مدربين، يعملون في جيش منظم، ويقود الفرق الضباط، وكانوا موزعين في كل مكان للقبض على الفدائيين.

وتتميز شخصية الضباط اليهود في روايات غسان كنفاني بالعنصرية، والتجبر، والدمار، والقتل، " وفي اليوم التالي تماماً اشتعلت يافا كلها، وأضحت المنشية ركاماً مسوداً، لا تكف فيه أصوات الرصاص " [2]، فالدمار والقتل، وحرق الأخضر واليابس شعارهم في كل مكان يدخلونه.

ومما ثبت أقدام الضباط اليهود على أرض فلسطين السطوة التي يتصفون بها، وأصحاب القلوب المريضة الخونة، الذين لا يفكرون في وطن ولا دين، إنما يفكرون في بطونهم وشهواتهم، إنهم العملاء، وكان لضابط المخابرات الدور البارز في إسقاطهم بأساليبه الرخيصة؛ لمحاربة الفدائيين، والخلاص منهم، بالسجن أو القتل، " لقد قتلوا أباك كما أعلم،... ولكنهم ساقونا في اليوم التالي إلى ما وراء المعسكر، وأوقفونا صفاً واحداً، زكريا... وحين اقتادوه إلى ما وراء الجدار رأيته بعيني يشيع زكريا باحتقار جارح ". [3]، فالعملاء أشد علينا من اليهود؛ لأنهم بين

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص175.
2) السابق: 190.
3) السابق: 200.

الناس متواجدون، وهم من يساعدون الضباط في تنفيذ المهام، وعدوك الداخلي أصعب وأشد من عدوك الخارجي.

وأما الكولونيل (موشيه كارماتيل) فهو ضابط كبير، كانت مهمته محاصرة الهاربين الفلسطينيين، والضغط عليهم؛ للهرب عبر البحر، " كان يضع يده على ثلاث كتائب، يحركها من هادار هاكرمل ومن المركز التجاري، وواحدة من هذه الكتائب كان عليها اكتساح الحليصة والجسر ووادي رشيما، في حين تضغط كتيبة أخرى من المركز التجاري لحصر الهاربين في ممر ضيق ينتهي إلى البحر " [1]، فكان كل همه هو الضغط على الفلسطينيين؛ للسير في الممر الضيق باتجاه البحر، والهرب من المدينة، إنه الحقد على أصحاب الأرض، والهدف تفريغها منهم، ولو بالإرغام والبطش والقوة.

ومن الضباط الكبار الذين ساعدوا اليهود في احتلال فلسطين البريخادير ستوكويل، " وكان الهمس ... أن البريخادير ستوكويل إنما يرمي بثقله مع الهاغاناة، فأعطاهم بذلك عنصر المفاجأة في اللحظة المناسبة، وذلك في وقت كان يحسب فيه العرب أن تخلي الجيش البريطاني عن السلطة إنما سيتم في وقت لاحق " [2]، ولقد قام غسان كنفاني برسم شخصية البريخادير ستوكويل الضابط الكبير في الجيش البريطاني من خلال التخطيط الجيد في مساعدة اليهود، وبخاصة الهاغاناة، مستخدماً عنصر مفاجأة العرب والفلسطينيين في التخلي عن السلطة وتسليمها لليهود؛ لإدارة فلسطين.

وكذلك الكابتن بلاك المحاط بالعسكر من الضباط الكبار في الجيش البريطاني في فلسطين، الذي ألقى القبض على قاسم العاشق للثورة في سوق عكا، كان مسانداً لليهود في فلسطين، ينفذ مخططاتهم من أجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين كما جاء في وعد بلفور المشؤوم، فيقبض على الثوار الفدائيين؛ للتعذيب والإعدام، ويقول في حق العاشق: " سأحتفظ به في سجن عكا من دون الناس... أتفرج عليه كل يوم، حتى أراه معلقاً " [3]، فبلاك يتفنن في تعذيب الفلسطينيين، ويسعى بكل ما يملك من قوة لإعدامهم، وهو مشغول بإحصاء رجاله وترتيب

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 374..
2) السابق: 377.
3) السابق: 441.

مسيرتهم على الدوام من أجل القضاء على الثورة الفلسطينية المقامة ضد اليهود والإنجليز بالحديد والنار، فالإنجليز هم من قتلوا زيداً الفلسطيني، وجعلوه جثة مطرزة بالرصاص؛ لأنه رفض وجودهم في فلسطين، فالتحق بجيش القسام في تلال يعبد، وحرص على التحرير أو الشهادة، ولقد ربط بلاك العاشق بعيد الميلاد متمنياً لو يستطيع أن يتمتع بإجازة الميلاد بالقبض عليه قبلها، إنه الهوس من الفدائيين، والخوف منهم.

كما وأن الميجور ماكلود من الضباط الكبار العاملين في الجيش البريطاني وحكومة الانتداب على فلسطين، يعمل مع الكابتن بلاك لتسهيل المهمة على اليهود في بسط السيطرة على فلسطين، وتسليمها لهم بعد الانسحاب المخطط له، " إن الميجور ماكلويد يعرف تماماً بأن الكابتن بلاك سيكون أول من يبكي على عبد الكريم إذا ما شنق... فقد كانا رغم كل شيء عائلة واحدة " [1]، فماكلود يراقب بلاك في أعماله وتصرفاته، ويجد الخيبة والهزيمة عند بلاك في حالة هرب العاشق، والانتصار له عند القبض عليه، ووضعه في السجن لإعدامه، إنه الدين والسداد عندهم، فضابط المخابرات يمارس " أشد أنواع التعذيب مع الفلسطينيين حتى الأسرى منهم، الذين يقضون مدة حكمهم، فالمنطق يقول أنهم يعاقبون بالسجن، لكنه يجعل من السجن عقاباً بعد عقاب " [2]، فالقتل والتعذيب ديدنهم مع الفلسطينيين.

ولقد سلط غسان كنفاني في رواية (برقوق نيسان) الضوء على دور الضابط الإسرائيلي في فلسطين، حيث الإفراط في استخدام القوة مع الفدائيين، " في نيسان من عام 1970 نشرت الصحف أن دورية إسرائيلية اصطدمت بمجموعة من الفدائيين جنوبي البحر الميت، وقد استمرت المعركة عدة ساعات، استشهد فيها من أصل سبعة فدائيين كانوا هناك ستة، وتمكن السابع من الفرار " [3]، فكل هم ضابط الدورية توظيف كل ما يملك من قوة ولو لعدة ساعات بشرط القضاء على جميع الثوار، وعليه طلب كل ما يريد من مساعدات؛ لإنجاز المهمة.

وكان من أعمال الضابط في المخفر استدعاء الفلسطينيين، للتحقيق معهم، " وعند الظهر جاء شرطيان وأخذاه إلى المخفر، وأخذ رجل أبرص ... يسأله عن قاسم، وبعد وهلة عرف في

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 451.
2) بلاد البحر، أحمد رفيق عوض، ط1، 2006، ص12.
3) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص582.

قرارة نفسه أن ولده قد قتل " [1]، فالضابط اليهودي هو من يرسل الشرطي لإحضار المتهم، ويحقق مع والد الشهيد أبي القاسم بعد أن استشهد ابنه قاسم ممسكاً بسلاحه حتى اللحظة الأخيرة، وفيه إرادة الرجال الأبطال.

وفي بعض الأوقات يدخل الضابط وجنوده بطريقة غريبة بيوت الفلسطينيين وبدون استئذان؛ للتحقيق معهم، واستخدام عنصر المفاجأة للإرباك، " وحين استرد توازنه على المقعد الذي قذف إليه، أطلت عليه ثلاثة رشيشات، ووراءها وقف جنديان وضابط " [2].

ويرى الباحث أن الضابط الإسرائيلي يستخدم القوة مع الفلسطيني للترهيب، وأخذ ما يريده من المتهم، فغسان كنفاني يصغر كلمة رشاشات؛ ليدلل لنا على صغرها في نظر الفلسطيني، وعدم الخوف منها؛ لأن الوطن أغلى وأهم من النفس، فتصغر الرشاشات وتصبح رشيشات لا خوف منها.

ويكشف غسان كنفاني حقيقة الضابط الذي كان يحقق مع أبي القاسم ورفاقه، إنه برتبة كابتن، وكان جندياً محترفاً يعمل في التحقيق مع الفلسطينيين المناضلين؛ لأخذ اعترافاتهم، فقد كان يعمل " مع الفرقة اليهودية في الجيش البريطاني منذ الحرب العالمية الثانية، وقد نال أوسمة عدة لخدماته في المخابرات " [3]، فكان مخلصاً ليهوديته، وضد فلسطين وشعبها، يتسلل إلى البيوت كي يقبض على أكبر عدد ممكن من الفدائيين الفلسطينيين.

ويوضح لنا غسان كنفاني همجية الضابط المحقق، واستخدامه القوة والضرب أثناء التحقيق، مع الكبار والصغار، فيعاقب أبا القاسم على رفع صوته، " وانقض عليه الضابط، وصفعه بقفا كفه على وجهه، فألقاه على الأرض، واندفع الجنديان نحوه وجراه بعيداً إلى الداخل، فيما ركض الضابط باتجاه الباب... ووضع أحد الجنديين ركبته على صدر أبي القاسم، وصوب الرشاش إلى رأسه " [4]، فالضابط اليهودي ضرب الرجل العجوز حتى ألقاه على الأرض، فذلك دليل

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 587.
2) السابق: 589.
3) السابق: 596.
4) السابق: 607.

على قوة الضربة التي لم يتحملها الرجل كبير السن، ودليل آخر على استخدام القوة المفرطة من الضابط أثناء التحقيق.

ولقد كان لضابط المخابرات الدور البارز في محاربة المقاومة، بشتى الوسائل الدونية، وعمليات الابتزاز الرخيصة؛ للضغط على المعتقلين، وأخذ الاعترافات التي يريدونها ولو بالإكراه والوعيد، والشبح والضرب المبرح، حتى الصعق بالكهرباء وسحب الأظافر، وتهديد النساء والفتيات بالاغتصاب، وإغراء العمال بالتصاريح والمال؛ للسقوط في وحل العمالة، إنها وسائل يتبعها ضابط المخابرات الإسرائيلية لتقويض الثورة الفلسطينية الرافضة لوجوده على أرضها.

ومن هنا يتضح الطابع العام لشخصية الضابط اليهودي، وهو " الطابع العدواني والاستعلائي؛ لاعتقادهم بالتفوق المستمر من فهم الاختيار الإلهي، والفهم العرقي العنصري"[1]، فاليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، بالرغم أنهم قتلة الأنبياء، وأصحاب المجازر في فلسطين ولبنان.

2- شخصية الجندي الضائع:

لقد جاء اليهود إلى فلسطين من دول عديدة، من: فرنسا، وبريطانيا، وإيطاليا، والمغرب العربي، والعراق، واليمن، ومصر، وأثيوبيا، فكانوا لا يعرفون الطرق، وبعضهم يخرج من المعسكر المقيم فيه، ثم لا يحسن العودة إليه، كما حدث مع الجندي التائه في الصحراء في رواية (ما تبقى لكم)، فوقع في قبضة المتمرد حامد، " أجلسته بعنف، فاستسلم... فسألته من جديد: هل تبعد الظاهرية كثيراً عن هنا؟ ولكنه أخذ يهز كتفيه، ويفرش يديه أمامه، وفجأة تذكرت إشارة الضوء، لا شك أنه يتوقع وجود دورية ما في مكان قريب " [2]، فكانت الدوريات اليهودية تخرج في الليل؛ لتمشيط المكان، والبحث عن التائهين من اليهود، وإلقاء القبض على الفدائيين الفلسطينيين.

---

1) الشخصية الإسرائيلية، دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، محمد خليفة حسن، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد الثاني، 1998، ص75.

2) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص208.

وكل دورية من الدوريات اليهودية يخرج فيها مجموعة من الجنود؛ لمتابعة الأمن ونشر الذعر والخوف بين الفلسطينيين، وحسب رغبة المحتل؛ للقضاء على كل عمل مقاوم من الفلسطينيين، وهم السبب في النزوج من الديار، ومن أجلهم صارت طوابير النازحين مسافات طويلة، تبحث عن المسكن ولقمة العيش الكريمة، التي لم تجدها في وطنها السليب.

وكان يطلق على الجنود اليهود الذين يخرجون في الدوريات بالعسكر، فهم يبحثون عن المقاتلين الفلسطينيين؛ لقتلهم، أو إلقاء القبض عليهم للتحقيق معهم في المعتقلات، أو وضعهم في الأسر، " وعاد سعد بالزوادة، ولم يلحظ رفاقه أية دهشة في ملامحه، أكلوا، وقال أحد رفاقه: لنغير مكاننا، فقد تعود بالعسكر، إلا أن سعد لم يرد، وبعد قليل قال لهم: إنها أمي، وقد رأيتم ذلك بأنفسكم، فكيف تعود بالعسكر؟ " [1]، فَهَمُّ العسكر الخلاص من الفدائيين المقاومين للاحتلال، والعسكر جنود ينتشرون في كل مكان، كرمل الأرض، " هذه الحدائد تفرقع دواليب السيارات، ودورتها بين أصابعها، ثم قالت: يا صبايا، لنلمها ونقذف بها إلى الرمل " [2]، فالرمل هم جنود الاحتلال، ولكثرتهم على الأرض صورهم غسان كنفاني بالرمل الذي لا يمكن عدّه.

3- شخصية الخواجا:

وتناول غسان كنفاني في رواية (أم سعد) شخصية الخواجا اليهودي، الذي يستغل حاجة الناس وفقرهم، فيطرد من يشاء، ويشغل عنده من يشاء، ويبخس الناس في أجورهم، فهو يتعامل مع المواطنين بعداء، " وقالت المرأة : جئت إليك لأقول شيئاً، أنا التي كنت أنظف هذا الدرج ثلاث مرات في الجمعة، وقبل شهر وثلاثة أيام جاء الخواجا فقال لي مع السلامة، كم يعطونك؟ خمس ليرات يختي، كانوا يعطونني سبع ليرات، أنا امرأة عندي أربعة أولاد، وقالوا لي سبع ليرات كثير " [3]، وكان العمال العرب يطلقون لقب الخواجا على كل صاحب عمل يهودي.

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 286.
2) السابق: 295.
3) السابق: 317.

4- شخصية اليهودي المهاجر:

يظهر الخطاب الروائي عند غسان كنفاني في رواية (عائد إلى حيفا) شخصية اليهودي المهاجر إفرات كوشن، القادم إلى حيفا الفلسطينية، برعاية الوكالة اليهودية المسؤولة عن تواجد اليهود في فلسطين، قادماً من ميناء ميلانو الإيطالي مع زوجته ميريام، " وأسكن في منزل مؤقت يقع في ضواحي ذلك المرفأ الإيطالي الذي كان آنذاك يضج بحركة غير عادية، وفي أوائل آذار نقل بحراً مع عدد من الرجال والنساء إلى حيفا " [1]، إنها الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ لإقامة المستوطنات والدولة اليهودية في فلسطين بعد طرد أهلها الأصليين منها.

ولقد نزل إفرات كوشن في نزل المهاجرين اليهود الجدد في بداية الأمر، كما يحدث لكل قادم جديد، حتى يرى ما سيحدث له، وإلى أين ستسير الأمور، ولكن " لم يكن إفرات كوشن بحاجة إلى من يؤكد له أن الإنكليز مهتمون بتسليم حيفا للهاغاناة، فقد كان بوسعه معرفة أنهم كانوا وما زالوا يقومون بدوريات مشتركة، وقد رأى ذلك بنفسه مرتين أو ثلاث مرات " [2]، فبعد التسليم ستهدأ الأمور، ويستقر الحال على حدّ فكره، وغاب عنه أن الثورة لا تهدأ، والحق لا بد أن يعود لأصحابه.

كما أن الوكالة اليهودية شجعت افرات كوشن على البقاء في فلسطين كمستوطن يهودي جديد بإعطائه بيتاً في حيفا، وطفلاً عمره خمسة شهور، قد أخذته تورا زونشتاين المرأة التي كانت تسكن مع ابنها الصغير بعد أن طلقها زوجها فوق بيت سعيد إلى الوكالة اليهودية في حيفا؛ لتتصرف فيه، فكان الصغير من نصيب إفرات كوشن وزوجته اليهودية التي لا تنجب، إن قبل بتبني الطفل، " ولم يكن هذا العرض إلا مفاجأة مدهشة لافرات الذي كان يتحرق لتبني طفل بعد أن تأكد كلياً من أن ميريام غير قادرة على الإنجاب " [3]، فاعتبر إفرات كوشن أن ذلك هبة من الله له ولزوجته التي كانت تلح عليه بالعودة إلى إيطاليا، لتستقر في حيفا، بعد أن كرهت أعمال

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 372.
2) السابق: 377.
3) السابق: 381.

اليهود بعد أن رأت الطفل القتيل يلقى في الشاحنة بلا رحمة ولا شفقة، وهو تعويض لهما لما حدث في اوشفيتز من الألمان.

أما أبراهام فكان يهودياً مغربياً، ولد في الدار البيضاء عام 1945، وكان أبوه يبيع الأقمشة وبعض الألبسة الجاهزة في دكان صغير يمتلكه، وبسبب الخلافات مع الابن الأكبر يعقوب؛ يقرر الوالد وأبراهام الذهاب إلى إسرائيل على متن زورق، مع مجموعة من الأشخاص إلى الساحل الأسباني، ثم إلى إسرائيل، ووصلت العائلة في أواخر 1965 إلى ميناء حيفا، وسكنت العائلة في ضاحية قريبة من تل الربيع، " أما أبراهام فقد أصبح عاملاً في معمل للنسيج... إلا أنه منذ حرب 1967 فضل أن يظل جندياً في الجيش " [1]، فأبراهام وأسرته مهاجرون يهود جدد من المغرب العربي.

5- شخصية المرأة اليهودية المهاجرة:

والمدقق في روايات غسان كنفاني يجدها تركز على شخصية الرجل اليهودي، ولم تقدم شخصية المرأة اليهودية إلا في رواية (عائد إلى حيفا)، حيث قدم لنا غسان كنفاني شخصية ميريام اليهودية، القادمة من إيطاليا مع زوجها إفرات كوشن، بعد أن فقدت والدها في أوشفيتز، حين داهم الجنود الألمان منزلها، ولم يكن عند ذاك فيه، فلجأت إلى منزل جيرانها، وفي طريقهم على السلم أثناء النزول شاهدوا أخاها الصغير، صاحب العشر سنوات، فما كان منهم إلا الوحشية والظلم، " حين رأى الجنود الألمان استدار، وأخذ يعدو هارباً... ومن هناك شهدت كيف أطلق عليه الرصاص " [2]، فجاءت شخصية ميريام اليهودية شخصية معتدلة عند غسان كنفاني؛ لأنها مرت بنفس الظروف التي مرّ بها الشعب الفلسطيني من اضطهاد وتشريد وقتل، قتل أخيها، وسجن والدها في المعتقلات الألمانية.

إنها يهودية جاءت من بولونيا سنة 1948، كمهاجرة لتسكن مع زوجها منزل سعيد الهارب من حيفا، ففي " 21 نيسان 1948 حين غادر سعيد حيفا ... وبين يوم الخميس 29 نيسان 1948، حين فتح رجل من الهاغاناة مع رجل عجوز ... باب منزل سعيد في الحليصة، ووسع

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 596.
2) السابق: 379.

الطريق أمام إفرات كوشن وزوجته القادمين من بولونيا ليدخلا إلى ما صار منذ ذلك اليوم منزلهما المستأجر من دائرة أملاك الغائبين في حيفا " [1]، فبريطانيا كانت تدفع الفلسطينيين للهرب؛ لتمكين اليهود من السيطرة على المدن الفلسطينية، والإقامة فيها.

ولقد قدم غسان كنفاني شخصية ميريام اليهودية الإيطالية؛ لتكشف زيف ادعاء اليهود التمسك بالديمقراطية، وتلطخ أيديهم بالدماء الفلسطينية، والهمجية المتبعة في التعامل مع الصغار قبل الكبار، حين رأت شابين من الهاغاناة يحملان طفلاً فلسطينياً مكسواً بالدم، ويضعانه في شاحنة صغيرة بدون رحمة أو شفقة، وعند سؤال زوجها لها: " كيف عرفت أنه طفل عربي؟، أجابت: ألم تر كيف ألقوه في الشاحنة كأنه حطبة؟ لو كان يهودياً لما فعلوا ذلك"[2].

ويمكن القول: إن التعامل مع العرب من اليهود غير التعامل مع اليهود، إنه الكيل بمكيالين حتى مع الأموات، فاليهود يتعاملون مع العرب معاملة الجماد الذي لا يحس، إنها العنصرية عند اليهود.

وبعد كشف حقيقة اليهود في فلسطين من ميريام، ومعاملتهم النازية مع الفلسطينيين، وكيفية التعامل مع العرب، وانتهاجهم نهج النازية في التعامل مع البشر، تقرر ميريام العودة إلى إيطاليا، ولكنها لم تفلح مع زوجها إفرات كوشن، فكررت الطلب عليه، ولكنها كانت دائماً الخاسرة.

كما أن الأديب غسان كنفاني في روايته (عائد إلى حيفا) كان واقعياً مائة بالمائة، فقد جعل روايته " واقعية مائة بالمائة، وبنفس الوقت تعطي شعوراً هو غير موجود " [3]، فغسان التزم الواقعية في روايته إلى درجة يصعب فيها الفصل بين الشخصية والواقع الفني الذي يريده الكاتب، وليس الواقع الحرفي؛ لوجود الصور الجمالية والمقارنات والمفارقات في العمل الأدبي الذي يراه، ويريده المبدع، فجاءت شخصية ميريام اليهودية الإيطالية المضطهدة في أوربا،

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 371.
2) السابق: 378.
3) عالم غسان كنفاني، فضل النقيب، مجلة شؤون فلسطينية، 1972، ص194.

والمضللة من الوكالة اليهودية الصهيونية، ترفض أعمال اليهود الهمجية النازية مع الفلسطينيين، وتوافق على البقاء في حيفا كمستوطنة هاربة من الألمان، بعد تبني الطفل الفلسطيني خلدون بن سعيد، وتكون شاهدة على أعمال اليهود الوحشية ضد الفلسطينيين الأطفال والنساء والشيوخ العُزل بعد اغتصاب أرضهم بالقوة، وارتكاب المجازر بحق القرى والمدن الفلسطينية، بالاتفاق مع حكومة الانتداب البريطاني الموجودة أنذاك في فلسطين.

فاليهود من قتلوا إمام الجامع في طيرة حيفا الشيخ حسنين، عند انضمامه إلى صفوف المجاهدين في الطيرة، فقد كان مصراً على طرد اليهود والانجليز من بلاده، " كان مقاتلاً من الدرجة الأولى، وكان دوره مهماً إلى أن استشهد ذات ليل، وأخفق الرجال في العثور على جثته من فرط ما كان متقدماً على خطوط البلدة " [1]، فالجميع كان يحارب اليهود، الصغير والكبير ورجال الدين.

لذلك كان من الواجب على المثقفين والمهتمين بدراسة شخصية الآخر توضيح فكر الشخصية اليهودية، بشكل موضوعي، وبعيداً عن الذاتية والتعصب؛ لكشف الروح العدوانية عند الآخر، فكان تصويرها في الرواية العربية بشكل عام، وعند المثقف الفلسطيني بشكل خاص، فجاء التصوير منسجماً مع الدراسات التاريخية حول شخصية الآخر، ومنسجمة مع الواقع الفلسطيني، فالكاتب الفلسطيني أكثر من احتك بالآخر وعن قرب، فعرف شخصيته وفكره، دون الحاجة إلى دراسات تاريخية، فممارسات الآخر كانت ومازالت حتى يومنا الحاضر، والكل يرى ويسمع ما يحدث في مسيرات العودة من قتل وتنكيل بشعب أعزل يطلب حقه في العودة إلى أرضه المهجر منها على يد الآخر وأعوانه.

ولقد ركز الروائي غسان كنفاني في رواياته على شخصية ضابط المخابرات اليهودي الهمجي، المفرط في استخدامه للقوة مع الشعب الفلسطيني، وعلى اليهودي المهاجر من أوربا والبلاد العربية، وعلى الجندي المدجج بالسلاح، وبشكل واضح في رواياته، (أم سعد)، و(عائد إلى حيفا)، و(العاشق)، و(برقوق نيسان)؛ ليوضح للقارئ تأثيرهم على تشكيل الشخصية الفلسطينية والواقع الفلسطيني.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص526.

فغسان كنفاني سخر رواياته لخدمة القضية الفلسطينية، من خلال التفاعل الاجتماعي بينه وبين أشخاصه، وهم من أبناء الشعب البسطاء، يعملون بدافع الفطرة بدون توجيه من أحد، كمروان وأبي قيس وأسعد في رواية (رجال في الشمس)، ومنهم من يضحي بنفسه من أجل الوطن كالشهيد بدر في رواية (عائد إلى حيفا)، أول من حمل السلاح في منطقة العجمي عام 1947 ، ويستشهد بعد ذلك في عام 1948 ، وفي رواية (العاشق) يعود زيد جثة مطرزة بالرصاص من الاحتلال اليهودي، وفي رواية (الأعمى والأطرش) يلتحق الشيخ حسنين إمام الجامع في طيرة حيفا بالمجاهدين في الطيرة مدافعاً عنها، فيستشهد، ويخفق الرجال في العثور عليه من فرط ما كان متقدماً على خطوط البلدة، ومن أشخاص غسان كنفاني من يتحمل عبء العائلة الكبيرة التي خلفها الوالد أو الزوج دون ضجر أو تذمر، كأم سعد التي كانت تعمل من أجل أبنائها، ومروان الذي يترك دراسته، ويبحث عن عمل من أجل أمه وأخوته: مي ورياض وسلمى وحسن، بعد انقطاع أخبار الأخ الأكبر زكريا، وزواج الأب من شفيقة الكسحاء صاحبة البيت الإسمنتي والمال، فأشخاصه بشر، يصيبون ويخطئون، منهم الصالح الذي يعمل بشرف، ومنهم غير ذلك الخائن أو المستهتر.

ولقد استلهم غسان كنفاني شخصياته في رواياته كما شاهدها من الواقع الفلسطيني في الداخل والشتات، فرواية (رجال في الشمس) كانت صوراً من حياة الفلسطينيين في فلسطين والكويت، وكيفية الهجرة، وأسبابها، وخطورتها، وبعدها كتب روايته (ما تبقى لكم) ليبشر بميلاد العمل الفدائي في فلسطين، أما رواية (أم سعد) فكانت في إطار الثورة ومقاومة المحتل، ورصد حركة الجماهير الفلسطينية عبر شخصيات الرواية، وما تحمله من دلالات، " لا، يا ابن العم ، أتعرف ماذا كان يفعل سعد حين كان يطوف المخيم؟ كان يقف ويتفرج على الرجال وهم يجرفون الوحل، ثم يقول لهم: ذات ليلة سيدفنكم هذا الوحل " [1]، فالوحل هو المحتل، وهو بحاجة إلى مقاومة شديدة وإلا ستغرق المدن والقرى الفلسطينية بويلاته.

ومن الجدير بالذكر أن الأديب غسان كنفان كان مرتبطاً بالأرض الفلسطينية والقضية ارتباطاً قوياً، " فابتعد عن الثرثرة الروائية إلى الرواية التجريبية أو الرواية الجديدة، أو ما يسمى

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص272.

بأدب البعد الجديد " [1]، فتحول بشخصياته نحو الفعل والمقاومة والنضال، والعمل الفدائي، ففي رواية (عائد إلى حيفا) اعتمد غسان أسلوب المفارقات والمناظرات والحالة النفسية لشخصياته بين الماضي والحاضر، وأما رواية (العاشق) فاختار غسان كنفاني (العاشق) اسماً لروايته التي بدأ كتابتها 1966 ؛ لتأريخ الثورة الفلسطينية، والتأكيد عليها، لما لها من أثر قوي في عودة الحقوق إلى أصحابها، لذلك فهي بحاجة إلى إعداد وتجهيزات وتضحيات، وبذل الغالي والنفيس؛ لتؤتي ثمارها، وأما روايته (الأعمى والأطرش) فحملت الكثير من الدلالات والإيحاءات بدقة عبر شخصياتها، والتي تشير إلى المخيمات الفلسطينية ووكالة الغوث الدولية، فالأعمى دليل على الظلام المخيم على الشعب، وهو ما يجلبه الاحتلال، والأطرش دليل على الصمت، والممثل في العالم المتفرج على الاحتلال والضحية، كما وأن (الأعمى والأطرش) يعنيان الثورة والتمرد على الواقع المفروض على الجماهير الفلسطينية، من الاحتلال وأعوانه، ورواية (برقوق نيسان) آخر رواياته التي كتبها، كانت شخصياتها واقعية في تفكيرها، وتدور أحداثها حول الشهادة، وكأنه يشعر بقرب استشهاده كالشهيد قاسم خليل الذي استشهد عام 1970 على أرض فلسطين.

كما وتجدر الإشارة إلى أن غسان كنفاني بوعيه، والتزامه بقضيته، وقربه من الأحداث في فلسطين، ووعيه بالمخططات الاستعمارية منذ وعد بلفور، ووعيه بالصراع العربي الاسرائيلي وأبعاده في فلسطين، انطلق في بناء أعماله الروائية الفنية، فظهرت الشخصية الفلسطينية المتمسكة بالوطن، والثائرة المقاومة، والشخصية اليهودية المخططة تكتيكياً مع الانتداب البريطاني لاحتلال فلسطين بكل واقعية، فمازال الاحتلال جاثماً على الأرض، ومازالت المقاومة قابضة على السلاح.

1) فلسطين في الرواية العربية، صالح أبو إصبع، 1975، ص183.

الفصل الثالث

الشخصية في روايات

غسان كنفاني "دراسة فنية"

الفصل الثالث

الشخصية في روايات غسان كنفاني "دراسة فنية"

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشخصيات وأبعادها عند غسان كنفاني.

المبحث الثاني: الصراع بنوعيه: الداخلي والخارجي.

المبحث الثالث: دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها.

الشخصية في روايات غسان كنفاني " دراسة فنية"

يتناول هذا الفصل الشخصيات وأبعادها الأربعة: الأيديولوجي والسيكولوجي والاجتماعي والاقتصادي عند غسان كنفاني، والصراع بنوعيه: الداخلي والخارجي، ودلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها.

المبحث الأول: الشخصيات وأبعادها عند غسان كنفاني:

لكل شخصية عند الكاتب أو المبدع في الرواية أبعاد أربعة، وهي كالآتي:

أ- **البعد الأيديولوجي:** ويقصد به الانتماء الفكري للشخصية التي يتناولها الكاتب في روايته، أو عقيدته الدينية، وهي عبارة عن مجموعة القيم التي تنتمي للشخصية، أو وجهة نظر الكاتب بحسب ثقافته وتعليمه.

ب- البعد الاجتماعي: ويقصد به انتماء الشخصية إلى جماعة، فالإنسان بطبعه اجتماعي، يعيش في الريف أو المدينة أو الأحياء الشعبية كالمخيمات، والشخصية بنت بيئتها، والظروف المحيطة بها، فالمعلم في مدرسته يختلف عن العامل في مصنعه، من حيث الهيئة والمظهر والعلاقات الاجتماعية، والانتماء الاجتماعي للشخصية في الرواية ينعكس على حركتها ولغتها وسلوكها.

ت- البعد الاقتصادي: ويقصد به الوضع المالي للشخصية، حيث الغنى والفقر، العمل والبطالة، ومصدر الرزق للشخصية، فالوضع الاقتصادي يؤثر على سلوك الشخصية وتصرفاتها وحركتها وطموحها، فيؤثر على الطالب في مدرسته، وقد يكون دافعاً لتركه الدراسة، واللجوء إلى العمل، وقد يترك الطالب جامعته لعدم القدرة على تكاليفها ونفقاتها.

ث- البعد النفسي السيكولوجي: ويقصد به الحالة النفسية التي تتمتع بها الشخصية في العمل الروائي، حيث التصرفات والانفعالات والتعامل مع الآخرين، والكاتب يتخيل ويتصور ما يدور في الصدور من مشاعر وأحاسيس، يقدمها للقارئ بإبداع، فيجعلها تبوح بما في داخلها من عواطف ومشاعر.

ففي رواية (رجال في الشمس) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية أم قيس: شخصية أم فلسطينية مناضلة، ومتحملة، وصابرة، ومحتسبة.

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطينية عربية متمسكة بقيمها وعاداتها وتقاليدها الفلسطينية.

ب- البعد الاجتماعي: امرأة متزوجة، ولها أبناء.

ت- البعد الاقتصادي: امرأة فقيرة تعيش في القرية مع زوجها وأبنائها، تدفع زوجها للعمل؛ لتوفير احتياجات الأسرة.

ث- البعد النفسي: راضية بقدرها، ومتألمة مما حدث لها، تحب أسرتها، وتقدم النصيحة لزوجها في الوقت المناسب.

2- شخصية أبي قيس: مناضل فلسطيني يحب شعبه ووطنه وأسرته.

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني عربي متمسك بقيمه ووطنه وعاداته وتقاليده، يناضل من أجل لقمة العيش.

ب- البعد الاجتماعي: لاجئ فلسطيني، يسكن مع زوجته وأولاده ، يحبهم ويحبونه، وعلاقته طيبة مع جيرانه وأبناء شعبه.

ت- البعد الاقتصادي: فقير كغالبية الشعب الفلسطيني، يعمل في الأرض من أجل الكسب الحلال.

ث- البعد النفسي: متحكم في تصرفاته وانفعالاته، يقتنع بكلام الآخرين، ويسهل التأثير عليه.

3- شخصية الأستاذ سليم: رجل عجوز، يعلم الصبية، ويجيد إطلاق الرصاص.

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني عربي متمسك بقيمه وعاداته الفلسطينية.

ب -البعد الاجتماعي: يحب الناس، وتعليم الصغار، اجتماعي بطبعه.

ت- البعد الاقتصادي: يعمل في مهنة التدريس.

ث- البعد النفسي: مزاجي النفس ، يجيب على قدر السؤال، وقد يرتجف أحياناً، " وصل إلى الباب، فالتفت، كان وجهه النحيل يرتجف: إذا هاجموكم أيقظوني، قد أكون ذا نفع.." [1].

4- شخصية المختار: رئيس الحي أو القرية، وفي بعض البلاد العربية يسمى العمدة، ويكون قريباً من السلطة الحاكمة، وكان المحتل يعينه، وفي بعض الأحوال يتعاون ويتعامل معه ضد الشعب.

أ- البعد الأيديولوجي: مؤمن بقضيته، مسالم، يساعد بقدر استطاعته.

ب- البعد الاجتماعي: له ديوان يجلس فيها أبناء القرية من أجل بحث شؤونهم.

ت- البعد الاقتصادي: يعمل مختاراً، وهو ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: نفسيته متوازنة، يحاور الناس للوصول إلى نتيجة تفيدهم.

5- شخصية قيس: طفل صغير يحب العلم، ويسأل عما يدور في صدره.

أ- البعد الاجتماعي: يعيش مع أسرته.

ب- البعد الاقتصادي: يعيش في أسرة فقيرة.

.- البعد النفسي: يلعب ويمرح، " اذهب والعب يا قيس في الغرفة الأخرى " [2].

6- شخصية أم عمر: امرأة في القرية تساعد النساء أثناء الميلاد.

أ- البعد الأيديولوجي: امرأة بسيطة، تحب المساعدة.

ب- البعد الاجتماعي: معروفة في القرية بمساعدة النساء، ولديها القدرة على القيام بما يفعله الأطباء.

---

1) رجال في الشمس، غسان كنفاني، 2003، ص7.
2) السابق: 8.

ت- البعد الاقتصادي: تعمل بلقمتها.

ث- البعد النفسي: مرتاحة النفس، محبوبة من الآخرين.

7- شخصية أسعد: رجل فقير يذهب للكويت من أجل العمل.

أ- البعد الأيديولوجي: رجل في نفسه، لا يحب المشاكل، يبحث عن قوت يومه.

ب- البعد الاجتماعي: محبوب في القرية، حتى أن عمه أحب أن يزوجه ابنته.

ت- البعد الاقتصادي: فقير استدان من عمه خمسين ديناراً من أجل السفر إلى الكويت.

8- شخصية أبي العبد: مهرب يعمل على الحدود.

أ- البعد الأيديولوجي: مخادع ينصب على الناس أثناء التهريب.

ب- البعد الاجتماعي: علاقته سيئة بالناس، يأخذ أموالهم، ويتركهم في الصحراء للموت والهلاك.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال من العمل في التهريب.

ث- البعد النفسي: متزن الانفعال، ويقدر الأمور، ولديه القدرة على إقناع الناس بالتهريب، والبحث عن العمل في الكويت.

9- شخصية عم أسعد: يعمل من أجل إسعاد ابنته.

أ- البعد الأيديولوجي: يدافع عن ابنته، ويعمل من أجل إسعادها.

ب- البعد الاجتماعي: يساعد ابن اخيه ليزوجه ابنته.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: مرتاح البال، لا يفكر إلا في ابنته.

10- شخصية مروان: طفل في المدرسة، يتركها ليبحث عن عمل من أجل مساعدة أسرته.

أ- البعد الأيديولوجي: يفكر في أسرته.

ب- البعد الاجتماعي: يعيش مع أسرته.

ت- البعد الاقتصادي: من الطبقة الفقيرة.

11- شخصية والد مروان: يحب نفسه، ولا يفكر إلا في إسعادها.

أ- البعد الاجتماعي: ترك زوجته وأطفالها، وتزوج من أخرى.

ب- البعد الاقتصادي: من الطبقة المعدمة.

ت- البعد النفسي: لا يفكر إلا في نفسه، ولا يهتم بالآخرين.

12- شخصية زكريا: أخ مروان، ذهب للكويت لمساعدة أسرته.

أ- البعد الاجتماعي: ترك أسرته، وعاش في الكويت، وتزوج هناك.

ب- البعد الاقتصادي: من الطبقة ميسورة الحال.

13- **شخصية شفيقة:** فتاة تعرضت لإصابة في رجلها من المحتل، فقطعت.

أ- البعد الأيديولوجي: تفكر في نفسها، وكيفية إسعادها.

ب- البعد الاجتماعي: تعيش في بيتها.

ت- البعد الاقتصادي: غنية ميسورة الحال.

ث- البعد النفسي: متزنة في انفعالاتها، تحسن التواصل مع الناس، وعلاقتها طيبة مع الجميع.

14- شخصية أم مروان: تركها زوجها مع أطفالها، وتزوج عليها من شفيقة.

أ- البعد الاجتماعي: تعيش مع أولادها في البيت، وتحب الجميع.

ب- البعد الاقتصادي: من الطبقة الفقيرة.

ت- البعد النفسي: متزنة في انفعالاتها، تحسن التواصل مع الناس، وعلاقتها طيبة مع الآخرين.

15- شخصية أبي الخيزران: مهرب يعمل مع الحاج رضا.

أ- البعد الأيديولوجي: يخاطر بأرواح الناس داخل الخزان، ويفكر في جمع المال.

ب- البعد الاجتماعي: يشجع الشباب على الغربة، والذهاب إلى الكويت.

ت- البعد الاقتصادي: من الطبقة الفقيرة.

ث- البعد النفسي: مزاجي الطبع، يحب نفسه.

16- شخصية أبي باقر: موظف حكومي يعمل على الحدود.

أ- البعد الاجتماعي: يحب الناس، ويكثر المزاح معهم.

ب- البعد الاقتصادي: متوسط الحال.

ت- البعد النفسي: متزن في انفعالاته، يحسن التواصل مع الناس، وعلاقته طيبة مع الجميع.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (رجال في الشمس) لكنفاني جاءت منسجمة من الناحية التاريخية، وملامسة لقضايا المجتمع الفلسطيني قبل وبعد النكبة، حيث طرق الروائي كنفاني طبيعة الإنسان الفلسطيني، وهو ما نحا به في الكتابة نحو الواقعية، والوقوف على حال المهمشين، ومن يعيش في مخيمات البؤس، والطبقة المسحوقة والفقيرة، والباحثة عن لقمة العيش ولو في الغربة.

وأما في رواية (ما تبقى لكم) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية حامد: شخصية شاب فلسطيني متمرد ومناضل، ومتحمل وصابر، يترك وطنه خوفاً من العار، " ثم أخذت العيون تأكل ظهره وهو جالس أمام الشيخ، كل الذين كانوا هناك كانوا يعرفون أنه لم يزوجها، وأنها حامل " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: يفكر في أخته وشرفها الذي هدرته في ساعة غفلة منها.

ب- البعد الاجتماعي: شاب يحب أخته، ويسكن معها في بيت واحد، بعيداً عن أمه الموجودة في الأردن عند خاله.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: متمرد على واقعه، ثائر على خيانة أخته، يشعر بالخزي والعار من حمل شقيقته.

2- شخصية مريم: شخصية فلسطينية متهاونة ومفرطة بشرفها، ضعيفة الإيمان مخادعة، لا تفكر إلا بنفسها، " زوجتك أختي مريم ... على صداق قدره عشرة جنيهات كله مؤجل " [2].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطينية تضرب بقيمها وعاداتها وتقاليدها الفلسطينية عرض الحائط، تفكر في نفسها، ولا تهتم بشرفها الذي هدرته في ساعة غفلة منها.

ب- البعد الاجتماعي: فتاة فلسطينية تركتها أمها مع أخيها.

ت- البعد الاقتصادي: ميسورة الحال.

ث- البعد النفسي: متهورة غير متزنة، تبحث عن إشباع رغباتها بطرق غير شرعية.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص162.
2) السابق: 162.

3- شخصية زكريا: شخصية شاب فلسطيني متزوج وغير متزن، يتعامل مع الأعداء ضد شعبه، ينتهك الأعراض بلا مسؤولية، " أنت مجنونة، صدقيني ... وغداً ستلعنينه وتلعنين أباه"[1].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني عربي خائن لوطنه بالعمالة مع الأعداء، لا يفكر إلا في شهوته وكيفية إشباعها بالحرام.

ب- البعد الاجتماعي: شاب متزوج عنده خمسة أبناء، ويتزوج من أخرى، " ستة أفواه عليّ أنا أن أطعمها، ثم أنتِ هي أيضاً ... إن رجلاً عنده خمسة أولاد لا يكترث " [2].

ت- البعد الاقتصادي: فقير.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (ما تبقى لكم) لكنفاني جاءت منسجمة مع الواقع الفلسطيني، وملامسة لقضايا المجتمع الفلسطيني قبل وبعد النكبة، حيث طرق غسان كنفاني خيانتي: الوطن والشرف بكل واقعية.

أما في رواية (أم سعد) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية (أم سعد): شخصية أم فلسطينية مناضلة، ومقاومة ومتحملة، وصابرة ومحتسبة.

أ- البعد الاجتماعي: امرأة متزوجة ولها أبناء. " بدأت الحرب بالراديو وانتهت بالراديو، وحين انتهت، قمت لأكسره، ولكن أبا سعد سحبه من تحت يدي " [3].

ب- البعد الاقتصادي: امرأة فقيرة تعيش في المخيم. " مرتبطة بتلك الطبقة الباسلة، المسحوقة والفقيرة والمرمية في مخيمات البؤس، والتي عشت فيها ومعها " [4].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 184.
2) السابق: 224.
3) السابق:12.
4) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص7.

ت- البعد النفسي: راضية بقدرها، ومتألمة مما حدث لها من سجن لابنها سعد، " آه يا ابن العم! آه! واتكأت على حاجز الشرفة " [1].

2- شخصية سعد: مناضل فلسطيني يحب شعبه ووطنه.

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني متمسك بقيمه ووطنه وعاداته وتقاليده، يناضل من أجل التحرر والاستقلال.

ب- البعد الاجتماعي: لاجئ فلسطيني، يسكن مع أمه وأبيه، يحبهم ويحبونه، وعلاقته طيبة مع جيرانه وأبناء شعبه.

ت- البعد الاقتصادي: فقير كغالبية الشعب الفلسطيني، يعمل في الكفاح المسلح.

ث- البعد النفسي: متحكم في تصرفاته وانفعالاته، قائد لمجموعته، يؤثر فيهم، " وعاد سعد بالزوادة ولم يلحظ رفاقه أية دهشة في ملامحه، أكلوا وقال أحد رفاقه: لنغير مكاننا، فقد تعود بالعسكر، إلا أن سعد لم يرد، وبعد قليل قال لهم: إنها أمي، وقد رأيتم ذلك بأنفسكم، فكيف تعود بالعسكر؟ " [2].

3- شخصية أبي سعد: رجل محب لأهل بيته، يعمل من أجلهم.

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني متمسك بقيمه وعاداته الفلسطينية.

ب- البعد الاجتماعي: متزوج وله أبناء، يحب جيرانه، ويربطه بهم حسن الجوار.

ت- البعد الاقتصادي: عامل فلسطيني، يتعب من أجل أسرته، " كان يأتي دائماً منهكاً، ويطلب طعامه بسؤال فظ، ويكاد ينام وهو يعلك لقمته الأخيرة، حين كان يتعطل عن العمل كان يزداد فضاضة " [3].

---

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص 12.
2) السابق: 39.
3) السابق: 69.

ث- البعد النفسي: مزاجي الطبع، انفعالي، لين، فظ، " كف أبو سعد عن الذهاب للقهوة، وصار حديثه لأم سعد أكثر ليونة... وابتسم طويلاً حين رمقته متسائلاً ... فقد كان يأتي دائماً منهكاً ويطلب طعامه بسؤال فظ ... وحين كان يتعطل عن العمل كان يزداد فضاضة " [1].

4- شخصية المختار: رئيس الحي أو القرية، وفي بعض البلاد العربية يسمى العمدة، ويكون قريباً من السلطة الحاكمة، وكان المحتل يعينه، وفي بعض الأحوال يتعاون ويتعامل معه ضد الشعب.

أ- البعد الأيديولوجي: يتعامل مع المحتل، ويوافق على تصرفاته، ويعمل على تحقيق رغباته.

ب- البعد الاجتماعي: يوهم الناس أنه يساعدهم، ولكنه يتعامل مع المحتل، فيكرهه الناس، ولا يحبونه، ويستهزئون به، فيطردونه، وقد يضربوه، " ذهب وأراد أن يأخذ من كل واحد منهم توقيعاً على ورقة، يتعهدون فيها أن يكونوا أوادم، ولكنهم رفضوا، وطردوه، من هم؟ سعد ورفاقه"[2].

ت- البعد الاقتصادي: يعمل مختاراً، وهو ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: نفسية انهزامية، يتعامل مع المحتل ضد شعبه، بدلاً من الوقوف بجانبهم، وطرده من وطنهم.

5- شخصية عبد المولى: رجل من قرية تقع إلى الشرق من الغابسية، يعمل مع الإسرائيليين، وتم تعيينه نائباً في البرلمان، متزعماً حمولته، وله أرزاق، ويشغل الفلاحين.

أ- البعد الأيديولوجي: مخادع، يتحدث عن الثورة والانتصار، وهو يتعامل مع المحتل.

---

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص 69.
2) السابق: 16.

ب- البعد الاجتماعي: منبوذ من المجتمع، لا يحبه الناس، " ليث وقع في الأسر، وعلم سعد أن أهله قد يبعثون إلى عبد المولى طالبين منه بحكم علاقات عائلية أن يتوسط لابنهم الأسير ... سعد يقول لي: أن أذهب إلى أمه، وأن أقول لها: لا " [1].

ت- البعد الاقتصادي: ثري وله أرزاق، يشغل الفلاحين فيها.

ث- البعد النفسي: انهزامي، يتعامل مع المحتل.

6- **شخصية ليث:** رفيق سعد، وقع في الأسر، ومن المناضلين.

أ- البعد الأيديولوجي: مقتنع بعدالة قضيته، ومؤمن بها، يدافع عن شعبه، من أجل التحرر والاستقلال.

ب- البعد الاجتماعي: اجتماعي بطبعه، يحبه الجيران والأهل.

ت- البعد الاقتصادي: من الطبقة الفقيرة.

ث- البعد النفسي: متحمل للأسر، وصابر حتى يفرج عنه.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (أم سعد) لكنفاني جاءت منسجمة مع الواقع الفلسطيني، وملامسة لقضايا المجتمع الفلسطيني قبل وبعد النكبة، حيث طرق غسان كنفاني طبيعة الإنسان الفلسطيني بكل واقعية.

وأما في رواية (عائد إلى حيفا) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية سعيد: شخصية أب فلسطيني سلبي في تصرفاته، خرج من مدينته أثناء الحرب تاركاً ابنه وبيته، هارباً من العصابات الصهيونية إلى رام الله، " حين وصل سعيد إلى مشارف حيفا قادماً إليها بسيارته عن طريق القدس ... منذ أن غادر رام الله " [2].

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص 49.
2) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص341.

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني يفكر في نفسه، يقصر في خصوصياته، ومن يحتاجه في وقت العسرة.

ب- البعد الاجتماعي: متزوج ، سكن حيفا، ثم ارتحل إلى رام الله.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: سلبي في وقت الضيق، لا يحسن التصرف في المواقف الحرجة.

2- شخصية صفية: شخصية فلسطينية سلبية، تترك ابنها وحيداً في البيت، وتهرب مع زوجها على متن قارب عبر البحر من حيفا إلى رام الله، " هذه هي حيفا إذن بعد عشرين سنة"[1].

أ- البعد الاجتماعي: امرأة متزوجة ولها ثلاثة أبناء.

ب- البعد الاقتصادي: ميسورة الحال.

ت- البعد النفسي: امرأة سلبية في تصرفاتها، تبكي على الماضي، " قال لنفسه: إن صفية زوجته تحس الشيء ذاته، وإنها لذلك تبكي " [2].

3- شخصية خلدون: طفل فلسطيني عمره خمسة أشهر، يتركه أبواه في البيت، ويهربان إلى رام الله، " وبدأ يشم رائحة البحر، وعندها فقط تذكر خلدون الصغير، ابنه الذي أتم في ذلك اليوم بالذات شهره الخامس " [3].

أ- البعد الأيديولوجي: يعترف بمن رباه ولا يفكر فيمن ولده، لذلك يبقى مع ميريام اليهودية، ويترك صفية الفلسطينية.

ب- البعد الاجتماعي: شاب فلسطيني يسكن مع ميريام اليهودية وزوجها، ويعمل في الجيش اليهودي، كما ويتنكر لوالده سعيد وأمه صفية.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 342.
2) السابق: 341.
3) السابق: 351.

ت- البعد الاقتصادي: متوسط الحال.

ث- البعد النفسي: يتصرف في الأمور حسب الواقع، فيتنكر لوالديه الأصليين، " وانتفض الشاب واقفاً فجأة: ليس من حقك أن تسأل هذه الأسئلة، أنت على الجانب الآخر " [1].

4- شخصية خالد: شخصية شاب فلسطيني فدائي ومناضل، أمل في المستقبل، " فقد تكون معركتك الأولى مع فدائي اسمه خالد، وخالد هو ابني ... فالإنسان كما قلت قضية " [2].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني متمسك بقيمه وعاداته وتقاليده الفلسطينية، يفكر في وطنه وكيفية تحريره من قبضة المحتل.

ب- البعد الاجتماعي: شاب فلسطيني يحبه الناس، يسكن مع أسرته في رام الله.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: ثائر على المحتل، يحب العمل الفدائي.

5- **شخصية فارس اللبدة:** شخصية شاب فلسطيني فدائي، هُجر من يافا إلى رام الله بسبب الاحتلال وجرائمه، " فارس اللبدة، لو تعرفين ... إنه يحمل السلاح الآن " [3].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني متمسك بقيمه وعاداته وتقاليده الفلسطينية، يفكر في وطنه وكيفية الدفاع عنه.

ب- البعد الاجتماعي: شاب فلسطيني يحبه الناس، يسكن في رام الله، ويحمل السلاح من أجل العودة إلى يافا.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: ثائر على المحتل، يحب الوطن والعمل الفدائي.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 399.
2) السابق: 402.
3) السابق: 393.

6- **شخصية بدر اللبدة:** شخصية شاب فلسطيني فدائي ومناضل، وأول من حمل السلاح في منطقة العجمي عام 1947 في وجه المحتل، " وفي السادس من نيسان عام 1948 جيء ببدر إلى الدار محمولاً على أكتاف رفاقه " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني متمسك بقيمه وعاداته وتقاليده الفلسطينية، يفكر في وطنه وكيفية تحريره من قبضة المحتل بالسلاح.

ب- البعد الاجتماعي: شاب فلسطيني يسكن في يافا، يضحي بنفسه من أجل الوطن.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: ثائر على المحتل، يحب العمل الفدائي.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (عائد إلى حيفا) لكنفاني جاءت منسجمة مع الواقع الفلسطيني، وملامسة لقضاياه قبل وبعد النكبة، حيث طرق غسان كنفاني إيجابيات العمل الفدائي، والدفاع عن الوطن، وحمل السلاح في وجه المحتل، وسلبيات ترك الوطن، والهجرة منه.

وأما في رواية (العاشق) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية قاسم، عبد الكريم، العاشق، حسنين: شخصية فلسطينية مقاومة للمحتل، يحب وطنه، ويدافع عنه، " وفي اللحظة التي أغلق فيها الباب الحديدي في سجن عكا على قاسم، أو عبد الكريم، أو العاشق، أو السجين رقم 362 انفتحت المصاريع عنه في كل القرى"[2].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني متمسك بوطنه، يفكر فيه، ويدافع عنه.

ب- البعد الاقتصادي: فقير الحال.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 389.
2) السابق: 439.

ت- البعد النفسي: ثائر على المحتل، يحب وطنه.

2- شخصية الشيخ سلمان: شخصية فلسطينية، يحب الخير للناس، ويساعدهم بالعمل في أرضه، " كبير الغبسية، الذي يملكها بأرضها وناسها ودوابها وزيتونها " [1].

أ- البعد الاجتماعي: كبير الغبسية، يسكن في عكا.

ب- البعد الاقتصادي: من أغنياء عكا.

ت- البعد النفسي: عصبي، يغضب بسرعة، ويعتدي على عماله بالركل، " ثم حلف الشيخ سلمان يميناً بالطلاق أن يرمي الرئيس بالرصاص إذا رآه في الغبسية " [2].

3- شخصية حامد: شخصية فلسطينية سلبية، وموظفاً عن الشيخ سلمان في عكا، يحمل الخضار على ظهور الحمير، " سرق حماراً وهرب بحمولته إلى مكان مجهول " [3].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني يفكر في نفسه، ويسرق حمار الشيخ سلمان.

ب- البعد الاقتصادي: فقير الحال.

ت- البعد النفسي: ضعيف الشخصية، وسلبي، خائن للأمانة.

4- شخصية الحاج عباس: شخصية فلسطينية ، يسكن في ترشيحا، لديه حقول تبغ، وعنده موظفون لجمع التبغ، " كان عبد الكريم يختبئ خلف اسم حسنين، ويقطف التبغ بسلام في حقول الحاج عباس في ترشيحا " [4].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني يفكر في الناس، وكيفية مساعدتهم.

ب- البعد الاجتماعي: رجل معروف يسكن في ترشيحا مع زوجته.

ت- البعد الاقتصادي: من أغنياء ترشيحا.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، 421.
2) السابق: 434.
3) السابق: 430.
4) السابق: 452.

ث- البعد النفسي: قوي الشخصية، يحب الناس ويحبونه، ويحسن التصرف في كل المواقف.

5- شخصية زينب: فتاة فلسطينية قتل الإنجليز والدها زيد، وأخذوا أمها إلى السجن، " وحين انفجرت الثورة في الجبل اختفي زيد مثلما ظهر تاركاً في ترشيحا زوجته وابنته الصغيرة " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطينية عربية تفكر في نفسها وزواجها بعد غربتها في بيت الحاج عباس.

ب- البعد الاجتماعي: فتاة تسكن في ترشيحا مع الحاج عباس وزوجته.

ت- البعد الاقتصادي: فقيرة الحال.

6- شخصية زيد: شخصية فلسطينية ثائرة، ومقاومة للمحتل، أحب الشهادة وانخرط في صفوف المقاومة، " لقد التحق زيد بالشيخ القسام في تلال يعبد ... فمات زيد وضاعت أخباره"[2].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني يفكر في وطنه، وكيفية الدفاع عنه.

ب- البعد الاجتماعي: أب يسكن مع زوجته وابنته في ترشيحا.

ت- البعد الاقتصادي: فقير الحال.

ث- البعد النفسي: قوي الشخصية، يرفض الظلم والمحتل، ويحب وطنه.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (العاشق) لكنفاني جاءت منسجمة مع الواقع الفلسطيني، وملامسة لقضاياه، حيث طرق غسان كنفاني العمل الفدائي، والدفاع عن الوطن، وحمل السلاح في وجه المحتل، وحب الشهادة، والحرص على الالتحاق بصفوف المقاومة.

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص456.
2) السابق: 457.

وأما في رواية (الأعمى والأطرش) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية حمدان: شخصية فتى فلسطيني، يعمل أجيراً في الفرن، ترك المدرسة وهو صغير، " تزوجت أمه بعد شهور من ذهاب والده للسجن، وأذاقه زوج أمه مر العيش، فقد كان فقيراً، وفظاً " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: فتى فلسطيني يهرب من فظاظة زوج أمه، وينتهي به الأمر إلى الفرن.

ب- البعد الاجتماعي: يسكن مع أمه وزوجها بعد سجن والده.

ت- البعد الاقتصادي: فقير الحال.

2- شخصية عامر: شخصية فلسطيني أعمى، يعمل في فرن مع حمدان، ذهبت به أمه إلى كل قبور الأولياء الصالحين؛ ليعود إليه بصره، ولكن بقي على حاله، " وأنا لولا أبو قيس لما كان بوسعي أن أراك يا عبد العاطي، وإذا كان العمى فخ الأخاديع فكذلك البصر، ولقد تحسستك بالأصابع التي لا تخطئ " [2].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني يعاني من فقد البصر، يضعف أمام الخرافات ومعجزات قبور وبركات الأولياء الصالحين.

ب- البعد الاجتماعي: من طيرة حيفا، يعيش مع أمه.

ت- البعد الاقتصادي: فقير الحال.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 534.

2) السابق: 505.

3- شخصية أبي قيس: شخصية فلسطيني أطرش، يعمل في مركز الإعاشة في وكالة الغوث؛ لتقديم المساعدات للاجئين، " هذه اللغة التي يتحدث عنها أبو قيس، لغة اللاجئين، لغة البؤس التي لا يسمعها، ولكنه يراها " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني يفكر في كيفية عودة سمعه إليه، فيلجأ إلى قبور الأولياء.

ب- البعد الاجتماعي: من طيرة حيفا.

ت- البعد الاقتصادي: فقير الحال.

4- شخصية مصطفى: شخصية فلسطيني يعمل في مركز الإعاشة، سلبي خائن لوظيفته وشرفه، " هكذا يا سيد مصطفى يتحول الخبز إلى فراش، أنت تريد الفراش وهي تريد الخبز "[2]، ثم يصبح إيجابياً ويلتحق بالفدائيين، ويتسلم قيادة مجموعة التحقت بالثورة.

أ- البعد الأيديولوجي: شاب فلسطيني خائن لوظيفته وشرفه، يفكر في رغباته وكيفية إشباعها، ثم يعود إلى رشده ويلتحق بالفدائيين.

ب- البعد الاجتماعي: بعد العمل مع الفدائيين أصبح له نفوذ في مكتب الإعاشة الذي يعمل به.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: متذبذب في تصرفاته.

5- شخصية زينة: شخصية أم فلسطينية، تعاني من الفقر والجوع، مسكينة تعمل خادمة في البيوت، " أرملة مشحرة مات زوجها... عندها أربعة أولاد... سيموتون جوعاً " [3].

أ- البعد الأيديولوجي: أم تفكر في إطعام أولادها الأربعة.

ب- البعد الاجتماعي: تسكن مع أولادها بعد وفاة زوجها.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 521.
2) السابق: 516.
3) السابق: 515.

ت- البعد الاقتصادي: فقيرة الحال.

ث- البعد النفسي: متعبة من الفقر، تصرخ وتبكي من الحاجة.

6- شخصية الشيخ حسنين: شخصية فلسطينية، وإمام الجامع في طيرة حيفا، ينضم للمجاهدين في الطيرة من أجل الحرية والاستقلال، " ولكنه في الحقيقة كان مقاتلاً من الدرجة الأولى " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: إمام الجامع يفكر في وطنه، ويدعو الناس إلى الخير.

ب- البعد الاجتماعي: يسكن في طيرة حيفا، ومحبوب من الناس.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (الأعمى والأطرش) لكنفاني جاءت منسجمة مع الواقع الفلسطيني، وملامسة لقضاياه، حيث طرق غسان كنفاني العمل الفدائي الإيجابي، والدفاع عن الوطن، وحمل السلاح في وجه المحتل، وحب الشهادة، والحرص على الالتحاق بصفوف المقاومة كما حدث مع الشيخ حسنين إمام الجامع، وكذلك العمل السلبي الصادر عن مصطفى في مركز الإعاشة وإسقاط زينة في الرذيلة.

وأما في رواية (برقوق نيسان) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية قاسم: شخصية شاب فلسطيني من طيرة دندن بالقرب من يافا، أصبح لاجئاً عام 1948 ، وفي حرب 1967 التحق بالفدائيين فاستشهد، " وأبدى أحد الأسرى شكه في أن تكون إحدى الجثتين الباقيتين لشاب يدعى قاسماً " [2].

أ- البعد الأيديولوجي: شاب فلسطيني إيجابي يفكر في وطنه، وكيفية التخلص من المحتل.

ب- البعد الاجتماعي: يسكن مع والده في مخيم عقبة جبر.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 526.
2) السابق: 582.

ت- البعد الاقتصادي: لاجئ يسكن في بيت من صفيح، يعمل ميكانيكياً.

ث- البعد النفسي: عزيز النفس، يحب الحرية والاستقلال، أبيّ يرفض الاحتلال.

2- شخصية أبي قاسم: شخصية لاجئ فلسطيني، يسكن مخيم عقبة جبر، ينكر التعرف على ابنه قاسم ؛ خوفاً من العقاب، " وهكذا أخلي سبيل الرجل العجوز بعدما سجل توقيعه وتعهداته على أوراق عديدة تنص على أنه سيتحمل بنفسه مسؤولية أي عمل يمكن لابنه قاسم... أن يرتكبه ضد سلطات الاحتلال " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطيني يعاني من ظلم المحتل، يفكر في وطنه، وكيفية الدفاع عن الفدائيين.

ب- البعد الاجتماعي: يسكن مخيم عقبة جبر مع ابنه قاسم.

ت- البعد الاقتصادي: فقير الحال.

ث- البعد النفسي: حزين على فراق ابنه الشهيد، يحب الفدائيين، ويصرخ في وجه الضابط؛ لتهريب الفدائي حتى لا يقع في مصيدة الاحتلال.

3- شخصية سعاد: شخصية فلسطينية ولدت في نابلس عام 1945 ، وتعمل في تنظيم شباب الثأر، " كانت تشعر بالاعتزاز حين كلفت بالقيام باتصال صغير في نابلس... وكانت القدرات التي أظهرتها في الاتصال وفي العمل هي التي أوصلتها في فترة وجيزة إلى مرتبة قيادية في نابلس " [2].

أ- البعد الأيديولوجي: فلسطينية ثائرة على المحتل، تفكر في الوطن والعمل الثوري.

ب- البعد الاجتماعي: تسكن مع والدها في نابلس.

ت- البعد الاقتصادي: ميسورة الحال.

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص582.
2) السابق: 586.

4- شخصية طلال: شخصية شاب فلسطيني لم يبلغ العشرين، يتقن العمل الفدائي ونقل الرسائل، " كان يزور أبو القاسم مرة في الشهر ويعطيه ثلاثة دنانير، ويقول له: قاسم يسلم عليك " [1]، وفي آخر زيارة أخبره بزيارة سعاد له.

أ- البعد الأيديولوجي: شاب فلسطيني يلتحق بالفدائيين، يفكر في وطنه، وكيفية الخلاص من المحتل.

ب- البعد الاجتماعي: محبوب من الناس والفدائيين.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: إيجابي في تصرفاته، يساعد المحتاج إليه.

5- شخصية زياد: شخصية أب فلسطيني يساعد الفدائيين، يعرض ابنه للخطر؛ من أجل معرفة ما يحدث في بيت سعاد، " إنني زياد حسين، والد الطفل الجالس هنا، يا سيدي، جئت أفتش عنه بعد أن تأخر " [2].

أ- البعد الأيديولوجي: يساعد الفدائيين، ويحب وطنه.

ب- البعد الاجتماعي: يسكن مع ابنه وليد، ويحبه الناس.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: إيجابي في تصرفاته، وعمله الفدائي.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (برقوق نيسان) لكنفاني جاءت منسجمة مع الواقع الفلسطيني، وملامسة لقضاياه، حيث طرق غسان كنفاني العمل الفدائي الإيجابي، والدفاع عن الوطن، وحب الشهادة، والحرص على الالتحاق بصفوف المقاومة، بالرغم من سطوة المحتل، التي أرغمت أبا القاسم على السلبية، ونكران معرفة ابنه الشهيد قاسم خوفاً من السجن أو الغرامة

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص587.
2) السابق: 598.

المالية، بالرغم من إيجابيته عندما رفع صوته في وجه الضابط ليهرب الفدائي الذي حضر إلى منزل سعاد.

وأما في رواية (الشيء الآخر) وجدت الشخصيات الآتية:

1- شخصية ليلى الحايك: شخصية امرأة فلسطينية، متزوجة من سعيد الحايك، تُقتل في بيتها من مجهول، " ليلى الحايك قتلت؟ كيف؟ " [1]، وهي صديقة ديما أيام الدراسة.

أ- البعد الاجتماعي: متزوجة من سعيد الحايك، وصديقة ديما أيام الدراسة.

ب- البعد الاقتصادي: غنية.

2- شخصية ديما: شخصية امرأة فلسطينية متزوجة من المحامي صالح، تحب زوجها، وتشجعه في عمله، " وأنت يا ديما الحبيبة الرائعة... كنت أرمقك وأنت جالسة في مقاعد الحضور تنظرين إليّ مغتسلة بإعجاب كان يستثيرني وأنا منصرف إلى الدفاع عن المتهمين"[2]، وتساند زوجها في المحن.

أ- البعد الأيديولوجي: امرأة تفكر في زوجها، فتشاركه في الأفراح والأحزان.

ب- البعد الاجتماعي: متزوجة من المحامي، وصديقة ليلى الحايك وقت الدراسة.

ت- البعد الاقتصادي: ميسورة الحال.

ث- البعد النفسي: متزنة، تتابع زوجها في البيت، وتشجعه في المحكمة أثناء الدفاع عن المتهمين.

3- شخصية هناء: شخصية فتاة فلسطينية، تعمل سكرتيرة في مكتب المحامي صالح، "كان قد سأل سكرتيرتي هناء عني في التاسعة " [3].

أ- البعد الاجتماعي: محبوبة من الناس، ومتعلمة، لذلك عملت في مكتب المحامي صالح.

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص13..
2) السابق: 6.
3) السابق: 9.

ب- البعد الاقتصادي: ميسورة الحال.

4- شخصية المحامي صالح: شخصية شاب فلسطيني يعمل في المحاماة، ولكنه يقع في مصيدة الصدفة، " أنا الذي ما تعودت أن أصمت حين كان الموت يهدد الرجال الذين سلموني بقدرية لا مثيل لها حبال مصائرهم " [1].

أ- البعد الأيديولوجي: شاب فلسطيني يدافع عن الحقيقة، يفكر في عمله، إنه محام قديم.

ب- البعد الاجتماعي: متزوج من ديما.

ت- البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

5- شخصية سعيد الحايك: شخصية شاب فلسطيني شديد الذكاء، وزوج ليلى الحايك، يحب زوجته ويغار عليها كثيراً، " كان زوج ليلى سعيد الحايك، رجلاً وسيماً، يحمل وجهاً شاباً لا تستطيع عبره استكشاف عمره " [2]، لديه القدرة على المشاركة في جميع المواضيع المطروحة للنقاش.

أ- البعد الأيديولوجي: يفكر في زوجته، وكيفية إسعادها.

ب- البعد الاجتماعي: متزوج من ليلى الحايك.

ت.البعد الاقتصادي: ميسور الحال.

ث- البعد النفسي: إيجابي في تصرفاته.

6- شخصية محجوب السيد: شخصية رجل فلسطيني مهاجر، ووالد ليلى الحايك، يعمل فلاحاً، " ذهب محجوب السيد والد المغدورة ليلى إلى الأرجنتين قبل نصف قرن تقريباً " [3]، إنه شاب شرقي حائر يبحث عن عمل في الخارج بعد أن ضاقت به السبل في وطنه من الاحتلال.

أ- البعد الأيديولوجي: شاب طموح يفكر في الخلاص من الفقر.

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص 6.
2) السابق: 20.
3) السابق: 88.

ب- البعد الاجتماعي: شاب يترك وطنه، ويهاجر إلى الأرجنتين، فيسكن في بيت أرملة فقيرة، ثم يشق طريقه ليساعد الناس.

ت- البعد الاقتصادي: من الأغنياء.

ث- البعد النفسي: متزن وطموح، يحبه الناس.

من هنا يرى الباحث أن شخصيات رواية (الشيء الآخر) لكنفاني جاءت منسجمة مع الواقع الفلسطيني، وملامسة لقضاياه، حيث طرق غسان كنفاني العمل البوليسي، وما يحدث في القضاء من إشكاليات بحاجة إلى حلول.

المبحث الثاني: الصراع بنوعيه الداخلي والخارجي.

الصراع في الشخصية الروائية يعد من أهم العناصر التي يركز عليها البناء الدرامي، وهو صراع بين قوتين، ينتج عنهما تقابل أو التحام، مما يدفع الحدث في العمل الدرامي إلى الأمام، وبحركة مستمرة نحو العقدة والحل.

وينقسم الصراع في العمل الدرامي إلى نوعين أساسيين هما:

أ- **الصراع الداخلي:** ويقصد به صراع الفرد مع نفسه، كآلامه وأحزانه النفسية، وما ينتج عنها من انفعالات، أو أمراض عضوية في جسده، ومحاولة الشفاء منها، مما يؤثر على تصرفاته.

ب- الصراع الخارجي: ويقصد به صراع الفرد ضد قوة خارجية، كصراع الفرد مع أخيه الإنسان، أو مجموعة من الناس، وصراع الفرد مع الظروف المحيطة به، كالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويكون ذلك من أجل التغلب على العقبات وتحقيق النجاح في الحياة.

الصراع الداخلي في رواية (رجال في الشمس):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع أبي قيس مع نفسه ، وهو يضع صدره فوق التراب، فتخفق الأرض من تحته، " هذا هو إذن الشط الذي تحدث عنه الأستاذ سليم قبل عشر سنوات " [1].

*صراع أسعد مع أفكاره، " لقد اقتعد حجراً وألقى بصره بعيداً إلى رأس الطريق الأسود المستقيم، كان رأسه مشوشاً تخفق فيه آلاف الأصوات المتشابكة " [2].

*صراع مروان مع نفسه بعد الخروج من دكان المهرب الرجل السمين، " خرج مروان من دكان الرجل السمين الذي يتولى تهريب الناس من البصرة إلى الكويت، فوجد نفسه في الشارع المسقوف المزدحم... لم تكن لديه أية فكرة محددة عن وجهته الجديدة.. فهناك داخل المكان تقطعت آخر خيوط الأمل التي شدت لسنوات طويلة " [3].

*صراع أبي الخيزران مع نفسه بعد موت الرجال الثلاثة، " لماذا لم تدقوا جدران الخزان؟ لماذا لم تقولوا؟ لماذا؟ " [4].

أما الصراع الخارجي في رواية (رجال في الشمس):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع مروان مع أبيه، " إنه رجل معدم، أنت تعرفين ذلك.. لقد كان طموحه كله هو أن يتحرك من بيت الطين... ويسكن تحت سقف من اسمنت " [5].

*صراع مروان مع أبي الخيزران، " لماذا؟ هل تزوج؟ كيف عرفت؟ ها! إلي لا يحتاج إلى ذكاء خارق، كلهم يكفون عن إرسال النقود إلى عائلاتهم حين يتزوجون " [6].

---

1) رجال في الشمس، غسان كنفاني، 2003، ص7.

2) السابق: 16.
3) السابق: 21.
4)السابق: 60.
5) السابق: 25.
6) السابق: 27.

*صراع أسعد مع أبي الخيزران، "ما رأيكم أن أتفاوض عنكم؟ رفع أبو قيس كفه في الهواء، وهز مروان رأسه " [1].

*صراع أبي قيس مع أبي الخيزران، " اسمع يا أبا خيزران .. أنا رجل درويش ولا أفهم بكل هذه التعقيدات.. ولكن قصة رحلة القنص تلك، لم تعجبني " [2].

*صراع أبي الخيزران مع الحاجب، " أبو الخيزران متعجل اليوم! نعم .. الحج رضا ينتظر.. إذا تأخرت طردني " [3].

*صراع أبي الخيزران مع مروان، " قال أبو الخيزران بحدة: لا تكن سخيفاً.. هل أنت خائف إلى هذا الحد من البقاء خمس أو ست دقائق في الداخل؟ " [4].

*صراع أبي الخيزران مع أبي باقر، " والآن يا أبا باقر .. لا وقت لدي للمزاح.. أرجوك.. سأل عنك الحج رضا ست مرات " [5].

الصراع الداخلي في رواية (ما تبقى لكم):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع حامد مع نفسه بعد العار الذي لحق به من طيش أخته، وخيانتها مع زكريا النتن، وإجباره على تزويجها بعد حملها، " وهو الآن يفكها تاركاً نفسه يتدحرج في الليل: كرر ورائي: زوجتك أختي مريم " [6].

*صراع مريم مع نفسها بعد خيانتها لنفسها، ولأخيها، وتركها مع زكريا في البيت، " لو كانت أمي هنا لكان لجأ إليها، للجأت إليها أنا " [7].

---

1) رجال في الشمس، غسان كنفاني، 2003، ص 31.
2) السابق: 35.
3) السابق: 45.
4) السابق: 51.
5) السابق: 53.
6) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص162.
7) السابق: 171.

*صراع حامد مع نفسه بعد أن تذكر عمالة زكريا، واستجابته مع الضابط اليهودي الذي كان يبحث عن الفدائي سالم، " ثم تقدم الضابط فركله، وتولى جنديان إيقافه على قدميه الواهنتين: أنا أدلكم على سالم " [1].

*صراع حامد مع نفسه في الصحراء، وهو معلق بين السماء والأرض، يتحرك بين الكثبان الرملية، يتحدث مع نفسه، " ما الذي فعلته أيها الأحمق غير أنك قذفت نفسك بالهواء؟... كان أحرى بك أن تذبحها فوق ركبتك، ولكنك كنت أجبن من أن تفعل ذلك " [2].

*صراع مريم مع نفسها، بعد الملل الذي أصابها من زواج زكريا بدون علم زوجته الأولى، أم الأولاد، " سأذهب إليها وأدق الباب وأقول لها: أنا ضرتك، وسأتركها تنظر إليّ النظرة التي تشاء ... إنه من العبث الجلوس هنا والانتظار " [3].

أما الصراع الخارجي في رواية (ما تبقى لكم):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع حامد مع زكريا ومريم بعد الزواج، الذي أجبر عليه حامد رغماً عن أنفه، " لقد قررت أن أترك غزة، ... أين ستذهب؟ ... سأذهب إلى الأردن عن طريق الصحراء، تهرب مني؟ "[4].

*صراع حامد مع زكريا، بعد أن زرع الجنين في رحم مريم، في ساعة مسروقة من ثيب وبكر، وقد لف الحبل حول عنق حامد، " أنت حر، زوجنيها أو لا تفعل، فلست أنا الذي أخسر "[5].

*صراع زكريا مع مريم، بعد الزواج وقرار حامد بترك غزة، والذهاب إلى الأردن باحثاً عن أمه، " إذن يريد أن يذهب،... لم يقل لي مبروك بعد، ... إنه يهددنا يا مريم " [6].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 176.
2) السابق: 196.
3) السابق: 207.
4) السابق: 165..
5) السابق: 167.
6) السابق: 167.

*صراع زكريا مع مريم بعد اعترافها بالحمل، وخوفها الشديد من معرفة حامد لتلك الفعلة الشنيعة، " أنت أرض خصبة أيتها الشيطانة، أرض خصبة، أقول لك " [1].

*صراع مريم مع زكريا بعد أن عرفت اسم زوجته الأولى، " اسمها إذن قتحية؟... ماذا تريدين أن أفعل؟ أطلقها؟ أنت لا تريدين ذلك، أنت أكثر شباباً منها وأكثر جمالاً " [2].

*صراع الفلسطينيين مع الضابط اليهودي، أثناء القبض على الفدائي سالم، واستشهاده على أيدي اليهود وبمساعدة العملاء، " انصرفوا إلى بيوتكم، لقد شهدتم ما فيه الكفاية، فحمل كل منا ذله الخاص... لقد قتلوا سالماً اليوم " [3].

*صراع زكريا مع مريم بعد إصرارها على بقاء الجنين في بطنها، " طفل سادس؟ سادس! هل تتصورين ذلك؟ هل تتوقعين أن أرقص فرحاً؟ إنه الولد السادس! لقد نصحتك ألف مرة أن تتخلصي منه " [4]، إنه يرغب في إسقاطه، والتخلص منه.

الصراع الداخلي في رواية (أم سعد):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع أم سعد مع نفسها وهي تصعد من قلب الأرض وكأنها ترتقي سلماً لانهاية له، "وأخذت تعيد ربط شالها الأبيض حول رأسها، كما تفعل دائماً حين تكون منصرفة إلى التفكير بشيء آخر" [5].

*صراع أم سعد مع أفكارها، " واتكأت على حاجز الشرفة، وأخذت تنظر إلى حقول الزيتون المطلة على مدارج التلة، ثم سحبت يدها فوقها جميعاً، وقالت: والزيتون لا يحتاج إلى ماء أيضاً، إنه يمتص ماءه عميقاً في بطن الأرض، من رطوبة التراب " [6].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 179.
2) السابق: 188.
3) السابق: 201..
4) السابق: 223.
5) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص11.
6) السابق: 12.

*موقف أم سعد بعد كلام المختار، " كانت تتوهج بسعادة غامضة، وجلست على الكرسي، وقالت: يخزي العين عليهم " [1].

*صراع أم سعد مع عواطفها، " كانت الصحف ملقاة على الأرض والراديو الذي تركته في الليل مفتوحاً أخذ يتلو نشرة الأخبار، وكانت أم سعد تنظر إلي تارة وإليه تارة أخرى، وبدت لي نظراتها وهي تنتقل مني إليه، إنما تمد بيننا قضبان حديد تعجز كفاي عن هزها " [2].

*صراع أم سعد مع نفسها بعد أن التحق سعد بالفدائيين، " ونشفت كفيها بمريولها، وعميقاً في عينيها رأيت شيئاً يشبه الخيبة، تلك اللحظة المروعة التي تشعر فيها أم ما أنه صار بالوسع الاستغناء عنها، أنها أطرحت في جهة ما، كشيء استهلكه الاستعمال " [3].

*حزن عميق يسيطر على أم سعد يصل للبكاء، " وقفت هناك على بعد لحظة واحدة من بريق العين الصامدة، في عمري كله لم أره كيف يبكي الإنسان مثلما بكت أم سعد، تفجر البكاء من مسام جلدها كله، أخذت كفاها اليابستان تنشجان بصوت مسموع، كان شعرها يقطر دموعاً"[4].

*شعور أم سعد بالتعب والتعاسة بعد غياب سعد، " أنت متعبة فقط، وربما كان شوقك لسعد وقلقك عليه هما اللذان يصدعان رأسك، وكذلك الطقس، أنت تشعرين بالتعاسة، لأنك تعرفين بأن المطر سيستمر طوال النهار، وستعملين في جرف الوحل طوال الليل، تعالي اجلسي، لا تسمحي لذلك كله أن يهدمك، جلست وتنفست الصعداء مثلما يفعل الإنسان حين يريد أن يهيل على الغيوم السوداء في صدره هواءً نقياً " [5].

---

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص 17.
2) السابق: 18.
3) السابق: 25.
4) السابق: 28.
5) السابق: 30.

أما الصراع الخارجي في رواية (أم سعد):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع أم سعد مع زوجها، " بدأت الحرب بالراديو وانتهت بالراديو، وحين انتهت قمت لأكسره، لكن أبا سعد سحبه من تحت يدي، آه يا ابن العم! آه! " [1].

*صراع المختار مع سعد ورفاقه، " يخزي العين عليهم! كان المختار يحكي لي القصة وكنت أضحك بعبي، وقلت له أخيراً: مليح اللي ما ضربوك، احمد ربك عالسلامة ... طبعاً رفضوا، قالوا للمختار: راحت عليك " [2].

*صراع فضل مع الناس، " ولكن ماذا حدث؟ المسكين فضل ركبوا على ظهره في المعصرة، وفي الجبل، ثم في المعصرة، ولو جاء إلى المخيم لركبوا أيضاً على ظهره، لذلك يريد سعد أن يمنع ذلك، هل عرفت الآن، إنه يريد ألا يجعل من ليث فضلاً آخر " [3].

*صراع أم سعد مع الناطور، " إنه ناطور البناية، وقد أرسله صاحبها، ومنذ جمعة وهو يتعقبني، وأنا يا ابن العم لا أريد العمل هناك، ولا أريد أن أرى وجهه، وجه القرد، صاحب البناية تلك " [4].

*صراع أم سعد مع الأفندي، " وقف الأفندي متحفزاً لحظة، ثم تقدم خطوة واحدة فحسب، ولكن أم سعد أوقفته بكلمة: إن كنت رجلاً حاول أن تأخذها، وقف الأفندي محتاراً، وأخذ ينظر حوله، وعادت أم سعد تقول: إذا أردت سعداً لماذا لا تذهب إليه في الأغوار، وتمسكه " [5].

*صراع سعد ورفاقه مع العسكر، " لنغير مكاننا، فقد تعود بالعسكر " [6].

---

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص 12.
2) السابق: 17.
3) السابق: 55.
4) السابق:58.
5) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 334.
6) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص 39.

*صراع أم سعد مع العدو، " جاءت الطائرة مطلية باللون الأسود، وحلقت على علو خفيض، وأخذت تزخ رصاصها على الشارع، وسمعت أم سعد صوتاً معدنياً كالرنين يملأ الطريق.. قالت أم سعد لرفيقاتها: هذه الحدائد تفرقع دواليب السيارات، ودورتها بين أصابعها ثم قالت: يا صبايا لنلمها، ونقذف بها إلى الرمل " [1].

*صراع أبي سعد مع الناس، " حين كان يتعطل عن العمل كان يزداد فضاضة، ويأخذ في الذهاب إلى القهوة حيث يشرب شاياً، ويلعب الطاولة، وينهر على كل الناس، وإذ يعود إلى البيت كان لا يطاق " [2].

*صراع الرجل العجوز مع أبي سعد، " وفجأة التفت رجل عجوز كان يجلس على حافة الجدار إلى أبي سعد، وقال له: لو هيك من الأول، ما كن صار لنا شيء، وافق أبو سعيد، مدهوشاً من الدموع التي رآها في عيني جاره العجوز: يا ريت من الأول هيك " [3].

الصراع الداخلي في رواية (عائد إلى حيفا):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع سعيد مع نفسه على مشارف حيفا، وهو قادم إليها من رام الله بسيارته عبر طريق القدس، حيث الشعور بالحزن على الماضي، " شعر بالأسى يتسلقه من الداخل... لم تعد إليه الذاكرة شيئاً فشيئاً بل انهالت في داخل رأسه، كما يتساقط جدار من الحجارة ويتراكم بعضه فوق بعض " [4].

*صراع سعيد مع نفسه أثناء الحديث مع زوجته صفية عن الأحداث التي حدثت قبل عشرين سنة، " خطر له أن يقول لزوجته: إنني أعرفها، حيفا هذه، ولكنها تنكرني " [5].

---

1) أم سعد، غسان كنفاني، 2013، ص 43.
2) السابق: 69.
3) السابق: 71.
4) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص341.
5) السابق: 343.

*صراع سعيد مع نفسه، وهو يقرأ أفكار زوجته، صاحبة الوجه المشدود المائل إلى الإصفرار، بسب الحنين للوطن، " لا ريب أنها – قال لنفسه – تستعيد خطواتها ذلك اليوم ذاته، حين كان هو أقرب ما يكون إلى البحر ... كانت تفكر به، عندما جاءت أصوات الحرب من وسط المدينة " [1].

*صراع صفية مع نفسها، بعد سماعها صوت سعيد ينادي عليها باسمها أثناء الحرب، وهي تبحث عنه تاركاً ابنها خلدون الصغير في البيت، " أحست هول الفاجعة ... واكتسحها حزن يشبه الطعنة ... وقررت أن تعود بأي ثمن ... إنها على وشك أن تفقد الاثنين معاً: سعيد وخلدون " [2].

*صراع سعيد مع نفسه حول فقدان خلدون قبل عشرين سنة، بعد تركه وحيداً في البيت، وهروبه مع صفية عبر البحر في قارب صغير قد أعدّ لهجرتهما من حيفا، " ومنذ تلك اللحظة لم يكف اسم خلدون عن الدق في رأسه، تماماً مثلما كان قبل عشرين سنة " [3].

*صراع سعيد مع نفسه وهو في بيته المغتصب من الاحتلال، بعد أن تركه بكل سلبية، وهرب إلى رام الله، " وأخذ يخطو ناظراً حواليه، مكتشفاً الأمور شيئاً فشيئاً ... وحين استدار عائداً إلى مكانه، رأى أن الستائر قد تغيرت ... ثم وقع بصره على صفية " [4].

أما الصراع الخارجي في رواية (عائد إلى حيفا):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع صفية مع زوجها سعيد أثناء الحديث عن الحرب والسلم، وبوابة مندلبوم، وفتح الحدود وإغلاقها، فصاحت في وجهه: " ما هذه الفلسفة التي لم تكف عنها طوال النهار؟ ... ماذا حدث لك؟ ... وعاد يقول لها بهدوء: لقد فتحوا الحدود فور أن أنهوا الاحتلال " [5].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 353.
2) السابق: 355.
3) السابق: 361.
4) السابق: 365.
5) السابق: 344.

*صراع سعيد وصفية مع ميريام اليهودية في بيت حيفا، في أول لقاء بينهم، حيث الدهشة والاستغراب من الموقف، " أنتما أصحاب هذا البيت، ... كيف تعرفين؟ ... من كل شيء، من الصور، من الطريقة التي وقفتما بها أمام الباب " [1].

*صراع ميريام اليهودية مع زوجها إفرات كوشن بعد أن رأت شابين من الهاغاناة يحملان الطفل الصغير ويضعانه في الشاحنة الصغيرة، " انظر! ... كان ذلك طفلاً عربياً ميتاً، وقد رأيته مكسواً بالدم، ... وكيف عرفت أنه طفل عربي؟ ألم تر كيف ألقوه في الشاحنة كأنه حطبة؟ لو كان يهودياً لما فعلوا ذلك " [2].

*صراع فارس اللبدة مع الرجل الطويل القامة الأسمر، والذي يسكن بيته في يافا بعد أن تركه فارس قبل عشرين سنة، " هذا المكان الذي تسكنه هو بيتي أنا، ووجودك فيه مهزلة ستنتهي ذات يوم بقوة السلاح " [3].

*صراع دوف مع سعيد وصفية وميريام بعد عودته من العمل إلى البيت، وتقديم ميريام لسعيد وصفية، " أريد أن أقدم لك والديك ... والديك الأصليين ... أنا لا أعرف أماً غيرك، أما أبي فقد قتل في سيناء قبل 11 سنة " [4].

*صراع سعيد مع ابنه خلدون المسروق بعد عشرين سنة، وفي اللقاء الأول بينهما بعد أن رآه يلبس الملابس العسكرية، وعرف أنه في الجيش، " أنت في الجيش من تحارب؟ ولماذا؟ ... ليس من حقك أن تسأل هذه الأسئلة، أنت على الجانب الآخر ... " [5].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 366.
2) السابق: 378.
3) السابق: 387.
4) السابق: 397.
5) السابق: 399.

الصراع الداخلي في رواية (العاشق):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع العاشق مع نفسه، ومع أفكاره، وضرورة القبض عليه من قبل الاحتلال ولو بعد حين، " لقد كرت المسبحة فجأة بالطريقة التي كان يتوقعها قاسم في أعماق نفسه، ... ووجد نفسه محاصراً ... وكأنه كان يتوقعه بالتفصيل تماماً، فلم يقاوم " [1].

*صراع قاسم مع نفسه بعد التعرف على كبير الغبسية، والموافقة على العمل عنده في المزارع، " وأخذت أنظر إلى الحاج عباس ... ورأيت في عينيه الباسمتين ما يشبه الفخ، أيريدني أن أقتل رجلاً ... ولكنني كنت أريد العمل بأي ثمن " [2].

*صراع حسنين مع نفسه بعد موافقة الحاج عباس على أن يعطيه زينب زوجة إن أراد الزواج منها، " كنت أتوقع أن يحدث كل شيء، تلك اللحظة، إلا أن أسمع الحاج عباس يلفظ تلك الجملة بهذه البساطة " [3].

أما الصراع الخارجي في رواية (العاشق):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع الشيخ سلمان كبير الغبسية مع القيم على مزارعه، بعد إخباره بسرقة الحمار وحمولته من قبل الموظف حامد، وضرورة تعيين موظفاً جديداً مكانه، وكان الشيخ على عجلة، فقال للرجل: " دع العاشق يتسلم الحمير " [4].

*صراع الشيخ سلمان مع الرئيس بعد القبض على العاشق من قبل الإنجليز، ووضعه في السجن، وقد سيطر عليه الغضب، وقال: " لعنة الله عليك يا رئيس يا مجنون، ثم حلف الشيخ سلمان يميناً بالطلاق أن يرمي الرئيس بالرصاص إذا رآه في الغبسية، من هنا إلى الأبد " [1].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 432.
2) السابق: 459.
3) السابق: 467.
4) السابق: 430.

*صراع قاسم مع الكابتن بلاك وجابي الضرائب أثناء الاستعداد للعودة من ترشيحا إلى عكا، والتعرف على عبد الكريم من الكابتن بلاك، " أي عبد الكريم هذا يا كابتن بلاك؟ نحمد الله أنك لم تطلق الرصاص على ظهر هذا الرجل البريء، إنه حسنين، أحد جامعي التبغ عند الحاج عباس " [2].

*صراع أم زينب مع العسكر بعد استشهاد زوجها زيد، وعودته بعد ثلاثة شهور من غيبته جثة مطرزة بالرصاص، " أنا لا أعرف هذا الرجل، ... مسكينة حسبت أن ذلك سوف يحميها من العقاب " [3].

الصراع الداخلي في رواية (الأعمى والأطرش):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع عامر الأعمى مع نفسه، عندما يتذكر ما حدث له في الصغر مع أمه، ومع قبور الأولياء، " لقد حجت أمي، ... إلى كل الأولياء الصالحين، ... وسكبوا هناك على عيني من الزيت والدعاء ما يذوب جبلاً من الصمت والعناد، ولكن شيئاً لم يحدث " [4].

*صراع أبي قيس الأطرش مع نفسه، عند تذكر الماضي، وما يشعربه من ذل وهوان في مركز الإعاشة، " عيشة النكد هذه، أود لو ... ، وللتو شعرت بشيء من الخجل، واقتحمني ذلك مثل شيء لا يرتد، كنت أرى شفاههم تتحرك، ولكن الصوت كان يتكسر أمام جدار رهيب يسد أذني " [5].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 434.
2) السابق: 444.
3) السابق: 456.
4) السابق: 473.
5) السابق: 479.

*صراع أبي قيس مع نفسه، عند تذكره ما حدث لوالديه وشقيقه عندما خرجوا من البيت، وسقطت عليهم القنبلة، " يبدو أنني لم أسمع أصوات الانفجارات ... واندفع والدي وشقيقي وأمي عبر الطريق ... وسقطت عليهم القنبلة ... وأنني أدين بحياتي لعلة طالما شكوت منها " [1].

*صراع أبي قيس مع أفكاره، بعد الإفراج عن والد حمدان من الأسر، وتصوره ما يمكن أن تفعله اثنتا عشرة سنة من الحبس في رجل مثل أبي حمدان، " طلق امرأته، ونسي ولده، وغرق في وحدته ... وليس بوسعك أن تفعل ذلك إلا إذا روضت نفسك على اليأس " [2].

أما الصراع الخارجي في رواية (الأعمى والأطرش):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع عامر الخباز مع أبي قيس موظف الإعاشة، عند ضريح الولي عبد العاطي صاحب المعجزات، " إنني رجل ضرير، ... قال: فهمت، ... وجاءت كلماته ... : وأين يمكن لأصم وأعمى أن يلتقيا إلا هنا؟ " [3].

*صراع أبي قيس وعامر مع حمدان في الفرن، وفكرة الذهاب إلى قبر الولي معاً، وقطع شجرة الولي، " اسمع يا عبد العاطي، نستطيع أن نأخذ فأساً ومنكوشاً ونذهب الليلة إلى هناك، قال حمدان: أعوذ بالله،...أتأتي معنا يا ولد؟... أنتما كافران مارقان تستحقان العمى والأطرش"[4].

*صراع أبي قيس مع مصطفى في مركز الإعاشة، بعد الحديث عن حضور الولي عبد العاطي لتوزيع الإعاشة، " فكتب على ورقة كبيرة: اخرس، ... قلت له: حاضر يا سيد مصطفى، سأخرس، أنا أعرف أن الولي عبد العاطي قريبك، حماك، أليس هو والد زينة؟ " [5].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 529.
2) السابق: 563.
3) السابق 489.
4) السابق: 507.
5) السابق: 515.

*صراع زينة مع مصطفي في مركز الإعاشة، وإظهار خيانته لوظيفته، وانتهاكه لأعراض بنات شعبه، " وعدت أنك ستعيد الإعاشتين فأعدت إعاشة واحدة فقط، ... أولادي، تعبي، عرضي، ... هكذا يا سيد مصطفى يتحول الخبز إلى فراش " [1].

الصراع الداخلي في رواية (برقوق نيسان):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع أبي القاسم مع نفسه بعد فقدان قريته والنزوح منها في عام 1948 ، وموت زوجته أم القاسم، واستشهاد ابنه قاسم، فيقول لنفسه: " إن المدن مثل الرجال، تشعر بالحزن وتشعر بالوحدة، ... وتتعاطف بغموض مع الغرباء أو تركلهم " [2].

*صراع أبي القاسم مع أفكاره في الأزمات، والأسئلة التي تدور في تفكيره، والتي تحتاج إلى أجوبة، " لو كان قاسم هنا، مكان الأستاذ زياد، كيف كان سيتصرف؟ ... لو كان مكاني، ماذا كان يفعل؟ " [3].

أما الصراع الخارجي في رواية (برقوق نيسان):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع أبي القاسم مع الضابط والجنديين في بيت سعاد، في وجود الرشاشات الثلاثة، وهيمنة القوة على المكان، " إنها باقة زهر يا سيدي، ... لا فائدة من الكذب أيها الشيخ الخبيث، سوف ترى بعد برهة أن الصدق هو أقصر الطرق إلى السلامة " [4].

*صراع زياد والد الطفل مع الضابط في بيت سعاد، إنه صيد ثمين للمحتل، ولا بد من التحقيق معه، " ما اسمك؟ ... إنني زياد حسنين، والد الطفل الجالس هنا، ... إذن أنت الذي أرسلته ... نعم يا سيدي " [1].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 516.
2) السابق: 585.
3) السابق: 607.
4) السابق: 597.

*صراع أبي القاسم مع الضابط بعد سماعه لصوت يخطو، ويصعد على السلم بحذر؛ ليدخل بيت سعاد، مما دفع أبو القاسم للصياح في وجه الضابط: " لماذا تقبضون علينا؟ ماذا فعلنا؟ إننا أبرياء " [1] ، وما كان الصياح إلا لتهريب الفدائي قبل الوقوع في المصيدة.

الصراع الداخلي في رواية (الشيء الآخر):

ويظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع صالح مع الذات في مكتب التحقيق، بعد تقديم بعض الأدلة التي تشير إلى الاتهام بالقتل، " كأنني أنا الذي قتلتها، ... وعندها فقط ارتجفت وعضضت شفتي ومنعت نفسي من البكاء " [2].

*صراع صالح مع نفسه بعد رؤية الرجال الثلاثة، وهو ينتظر المصعد، مما أوقعه في الحرج، وجعله يترك المكان، " كنت مضطرباً وغاضباً حين فتحت الباب، ... ومضيت صامتاً إلى فراشي، ولم أتبادل أي كلمة مع زوجتي " [3].

*صراع صالح مع نفسه في الواقع الصعب، والصدفة التي لا يعترف بها القانون في وجود الأدلة التي تلف حبل المشنقة حول رقبة صالح، " لقد عرفت تماماً أن لا فرار، ... فإن الهروب من الفخ أضحى مستحيلاً " [4].

*صراع صالح مع أفكاره بعد وضع الرجل المجهول في القضية، والتخفيف من الضغط على صالح، " أعترف أنني أنا نفسي لم أكن لأفكر بمثل هذا المخرج، لقد كان وضع نغمة الرجل المجهول في الدفاع وسيلة بارعة " [5].

---

1) الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، المجلد الأول،ط1، 1972م، ص 607.
2) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص13.
3) السابق: 53.
4) السابق: 66.
5) السابق: 114.

أما الصراع الخارجي في رواية (الشيء الآخر):

فيظهر هذا النوع من الصراع في الرواية من خلال الآتي:

*صراع المحامي صالح مع ديما وجميع الناس في حادثة قتل ليلى الحايك، بالرغم من وجود الأدلة، " أقولها لك أنت يا ديما ... وأقولها لكم جميعاً أيضاً، أقولها لكم للمرة الأخيرة، ... أنا لم أقتل ليلى الحايك " [1].

*صراع صالح مع المحقق الذي استدعاه؛ للتحقيق معه حول ملابسات قتل ليلى الحايك في مكتبه، " سنحتاجك نصف ساعة هنا يا أستاذ صالح في مسألة مستعجلة لو سمحت " [2].

*صراع صالح مع سعيد وليلى بعد نصح المحكمة لهما بأن يحاولا الوصول إلى صلح مع المحامي صالح حول قضية الإرث، " ولكنني طلبت لموكلي ثلثي الإرث، وقد فوجئت ليلى، وافتعل سعيد الحايك المفاجأة " [3].

*صراع ديما مع زوجها صالح في المحكمة، وجميع الأدلة ضده، وتشير إلى قتله ليلى الحايك، ولكن ديما مع زوجها، " تكلم يا صالح ... تكلم ... ستموت! دارت الجملة في رأسي، وأخذ بدني يرتجف " [4].

*صراع المحامي الأشيب مع صالح في المحكمة، بعد التفكير العميق منه، والحيرة من صمت صالح، " أنت لست في موقف حسن ... وأخشى أن يكون رأسك أقرب إلى المشنقة مما تتصور، وأنا أقول لك ذلك كي تقرر مصيرك بنفسك " [5].

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص5.
2) السابق:9.
3) السابق: 48.
4) السابق: 97.
5) السابق: 145.

المبحث الثالث: دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها.

الإنسان له نصيب من اسمه، ولقد اختار الروائي غسان كنفاني أسماء شخصياته بعناية فائقة، ويتضح ذلك من خلال تحليل الشخصيات التي تناولها غسان كنفاني في رواياته، وهي كالآتي:

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (رجال في الشمس):

1- أسعد: أسعد من السعد، و " (السَّعد) اليمن، والسعودة ضد النحوسة، والسعادة ضد الشقاء، نقول منه: (سَعِدَ) الرجل فهو (سعيد) " [1]، وسَعِد الشخص بمعنى أحس بالرضا والفرح والارتياح، وهو عكس الشقاء، فأسعد هو الفرح والسعادة والارتياح.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم لشخصيته (أسعد)، فهو يبحث عن رزقه في أي مكان؛ ليسعد نفسه.

2- أم قيس: قيس اسم عربي، بمعنى: الصعوبة، أو الجوع، أو الشدة، أو التحمل، فأم قيس هي أم الصعوبة والجوع والشدة والتحمل، تدفع زوجها للعمل ولو في الغربة؛ لسد حاجة الأسرة.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، لصعوبة وضع الأسرة الفلسطينية.

3- حسنين: حسنين من الحسن، و " (الحُسْن) ضد القبح، والجمع (محاسن)، وقد (حَسُن) الشيء بالضم (حُسناً) " [2]، وحسن ذو حسن وجمال، وهو مستكمل الصفات التي تبعث على الرضى، فنقول رجل حسن الخلق، وحسنين اسم علم مذكر عربي.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية.

4- أبو العبد: " يُطلق العبد على الشخص الأسود، و " (العبد) ضد الحر، وجمعه (عبيد)"[1].

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص299.

2) السابق: 136.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية؛ لأن العبودية لله عز وجل، ولكن أبا العبد كان عبداً للمال؛ لأنه تعامل بالتهريب، وكان ضد أبناء شعبه

5- سليم: " (السليم) اللديغ، كأنهم تفاءلوا له بالسلامة، وقيل لأنه أُسلِم لما به، وقلب سليم أي سالم " [2]، والسليم هو سليم القلب والنية والسالم من الآفات.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية؛ لأن الأستاذ سليم: سليم اللسان والقلب، يعلم الصبية ما ينفعهم.

6- ندى: ندى اسم مشتق من الندى، و " (الندى) الجود، وفلان (أندى) من فلان أي أكثر خيراً منه، و(الندى) المطر والبلل " [3].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية؛ لأن والد ندى سخي، قدم الأموال لأسعد لمساعدته أثناء السفر.

7- مروان: " (المرو) حجارة بيض برّاقة، تقدح منها النار، الواحدة (مروة)، وبها سميت (المروة) بمكة "[4].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية؛ لأن مروان صلب في رأيه، ترك الدراسة من أجل العمل، والإنفاق على أسرته بعد انقطاع أخبار زكريا.

8- شفيقة: " (الشفقة) الاسم من (الإشفاق)، وأشفق عليه فهو (مُشْفِقٌ) و(شَفِيق) " [5].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية؛ لأنها تستحق الشفقة عليها؛ لفقدانها رجلها أثناء اجتياح يافا من المحتل اليهودي.

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص 407.
2) السابق: 311.
3) السابق: 653.
4) السابق: 622.
5) السابق: 342.

فالكاتب غسان كنفاني استطاع بكل مهارة وإبداع اختيار الأسماء لشخصيات روايته (رجال في الشمس)، وكان كل اسم يعبر عن نفسية شخصيته.

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (ما تبقى لكم):

1- حامد: حامد من الحمد، و" (الحمد) ضد الذم، (ومَحْمَدة) بوزن متربة فهو (حميدٌ) و(مَحمودٌ)، و(التحميد) أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر " [1].

ويرى الباحث أن غسان كنفاني وفق في اختيار الاسم لشخصيته، فحامد صبر على أمره، فلم يقتل أخته بعد خيانتها، وتركها مع زوجها بعد زواجها.

2- سالم: من السلامة، و " (سالم) اسم رجل، ... والسِّلْم المُسالم، تقول أنا سِلْمٌ لمن سالمني و (السَّلام السَّلامة) ... و (التَّسالُم) التَّصالُح " [2].

ويرى الباحث أن غسان كنفاني وفق في اختيار الاسم لشخصيته، فسالم رجل شريف، ومناضل شجاع، يضحي من أجل وطنه، وسَلِمَ من العيوب.

فالكاتب غسان كنفاني بكل مهارة وإبداع كان يختار بعض الأسماء لشخصيات روايته (ما تبقى لكم)، وكان الاسم يعبر عن نفسية شخصيته.

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (أم سعد):

1- أم سعد: سعد من السعد، و " (السَّعد) اليمن، والسعودة ضد النحوسة، والسعادة ضد الشقاء، نقول منه: (سَعِدَ) الرجل فهو (سعيد) " ([3])، وسَعِد الشخص بمعنى أحس بالرضا والفرح والارتياح، وهو عكس الشقاء، فأم سعد هي أم الفرح والسعادة والارتياح.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم لشخصيته (أم سعد)، فهي سعيدة بما قسم لها، ومرتاحة بنضالها ضد العدو، وتتمنى لو أن عندها عشرة مثل سعد.

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص153.
2) السابق: 311.
3) السابق: 299.

2- حسن: حسن من الحسن، و" (الحُسْن) ضد القبح، والجمع (محاسن)، وقد (حَسُن) الشيء بالضم (حُسناً) " [1]، وحسن ذو حسن وجمال، وهو مستكمل الصفات التي تبعث على الرضى، فنقول رجل حسن الخلق.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية.

3- ليث: من أسماء الأسد، وفيه رمز للقوة والشدة، ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية؛ لأن ليث في الرواية كان مناضلاً، يحب وطنه، ويدافع عنه حتى وقع في الأسر.

6- سعيد: سعيد من السعادة، و " (استسعد) برؤية فلان عدّه سعيداً، و(السعادة) ضد الشقاوة، تقول منه (سَعِدَ) الرجل فهو (سعيد) " [2].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فسعيد كان سعيداً بما يقدمه أمام الناس، حيث يتجنب ضربة الحربة، وينتزع البندقية بلمح البصر من خصمه، ويسعد الناس بما يقدمه من عروض أمامهم.

7- الفدائي: جاءت الكلمة من الفداء، والتضحية، وبذل الغالي والنفيس، النفس والمال، ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصيات المناضلة والمحاربة للعدو؛ لأنهم يجودون بأنفسهم وأموالهم من أجل الحرية.

فالكاتب غسان كنفاني استطاع بكل مهارة وإبداع اختيار الأسماء لشخصيات روايته (أم سعد)؛ لتعبر عن أصحابها.

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (عائد إلى حيفا):

1- صفية: صفية من الصفاء، و " (الصَّفاء) ممدود ضد الكَدَر، وقد (صَفا) الشرابُ يَصْفُو (صَفاء) " [1].

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص136.
2) السابق: 299.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم لشخصيته، فصفية كانت محبة لزوجها بالرغم من صغرها، من أجل ذلك عندما سمعت أصوات الرصاص والمتفجرات تملأ المكان خرجت من البيت إلى الطريق تبحث عنه، على أمل العثور عليه.

2- فارس: فارس من الفراسة، و " (فارِس) أي صاحب فَرَس، ويجمع على (فَوَارِس)، ... والفُرْسانُ الفوارس، و (الفِرَاسة) بالكسر الاسم من قولك (تَفَرَّسْتُ) فيه خيراً " [2].

ويرى الباحث أن الكاتب غسان كنفاني وفق في اختيار الاسم لشخصيته، ففارس اللبدة فارسٌ شجاعٌ يحمل السلاح في وجه المحتل.

3- بدر: من البدر، " وسمي (البَدْر) بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع في ليلته كأنه يَعجلها المَغيب، وقيل سُمي به لِتَمَامه " [3].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم لشخصيته، فبدر كان مبادراً في الدفاع عن وطنه، وكان أول من حمل السلاح في عام 1947 من أجل فلسطين، واستشهد عام 1948 .

4-لمياء: من اللمى، و " (اللَّمَى) سُمْرة في الشّفة تُسْتَحْسن، ورَجلٌ (ألمى) وجاريةٌ (لَمْياء) بينة اللمى " [4].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم لشخصيته، فلمياء جميلة في منظرها، وجميلة في أخلاقها، كانت هي وأسرتها يحبون الشهيد بدر، كانوا كعائلة واحدة.

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (العاشق):

1- قاسم: قاسم من القِسْم، و " (القِسْم) بالكسر الحظُّ والنصيب من الخير " [5]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُكنى بأبي القاسم، وهو أيضاً من القِسْمة أي الموزِّع أو المعطي.

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص366.
2) السابق: 497.
3) السابق: 43.
4) السابق: 606.
5) السابق: 535.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فقاسم كان شجاعاً ومقداماً وعاشقاً، يحب وطنه، ويدوس على النار فلا يحس به، إنه عاشق.

2- الشيخ سلمان: سلمان من السلامة، و " (سَلْمان) اسم جبل واسم رَجُل " [1].

فغسان كنفاني وفق في اختيار الاسم للشخصية، فسلمان كبير الغبسية، وصاحب أملاك.

3- الحاج عباس: عباس من عَبَس، و " عَبَّس وَجْهَه شُدِّد للمبالغة، و (التَّعَبُّس) التَّجهم، ويوم (عبوس) أي شديد " [2].

فالحاج عباس كان أحد أصحاب حقول التبغ في ترشيحا، وصاحب الأموال يحتاج إلى شخصية قوية.

4- زينب: زينب من الزينة، و " (الزّينة) ما يُتزين به، ويوم الزينة يوم العيد، و (الزَّيْنُ) ضد الشَّين " [3]، والزينب نوع من الشجر جميل المنظر والرائحة.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم لشخصيته، فزينب فتاة جميلة، وتحسن الحديث مع الناس.

5- زيد: زيد من الزيادة، و (الزِّيادة) النُّمُو، و (زاده) الله خيراً " [4].

فزيد التحق بصفوف المجاهدين في تلال يعبد لمحاربة المحتل، وتحرير الأرض الفلسطينية من قبضته الاستعمارية، فهو زيادة للخير والفضيلة.

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص 311.
2) السابق: 409.
3) السابق: 280.
4) السابق: 279.

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (الأعمى والأطرش):

1- عامر: عامر من عَمِرَ، و " (عُمْراً) بالضم أي عاش زماناً طويلاً " [1]، فعامر بمعنى صاحب العمر الطويل، وهو عامر بما قدر الله له.

قغسان كنفاني وفق في اختيار الاسم للشخصية، فعامر كان قلبه عامراً بالصبر على فقدان البصر.

2- أبو قيس: قيس اسم عربي، بمعنى: الصعوبة، أو الجوع، أو الشدة، أو التحمل، فأبو قيس هو أبو الصعوبة والجوع والشدة والتحمل، فقد تحمل فقدان السمع، وصبر عليه.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فقد كرره في رواياته؛ ليدل على الصبر والتحمل.

3- مصطفى: مصطفى من اصطفى، و " (أصْفاهُ) الوُدّ أخْلَصَه له، و(صافاه) و (تصافيا) تَخالصا، و (اصْطَفاه) اختاره " [2]، وهو بمعنى مختار ومنتقى.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فبالرغم من سلبية مصطفى في مركز الإعاشة، واستغلال وظيفته، إلا أنه أصبح فدائياً ومن المجاهدين، وأول من فعل هذا من بين جميع الموظفين في مركز الإعاشة.

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (برقوق نيسان):

1- قاسم: قاسم من القِسْم، و " (القِسْم) بالكسر الحظُّ والنصيب من الخير " [3]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُكنى بأبي القاسم، وقاسم أيضاً من القِسْمة أي الموزِّع أو المعطي.

وفق الكاتب في اختيار الاسم ، فقاسم كان شجاعاً ومقداماً ، يحب وطنه، ويدافع عنه، وقد كرر الاسم في روايات غسان كنفاني.

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص 454.
2) السابق: 366.
3) السابق: 535.

2- سعاد: سعاد من السعادة، و " (استسعد) برؤية فلان عدّه سعيداً، و(السعادة) ضد الشقاوة، تقول منه (سَعِدَ) الرجل فهو (سعيد) " [1].

فالكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية؛ لأن سعاد كانت سعيدة بما تقدمه لوطنها وشعبها، وكانت تشعر بالاعتزاز من عملها الفدائي، وكانت في مرتبة قيادية في نابلس.

3- طلال: طلال من الطل، و " (الطَّلُّ) أضعف المطر، وجمعه (طِلال)، تقول منه (طُلَّت) الأرض و (طَلَّها) النَّدَى " [2].

فالكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فطلال بالرغم من صغر سنه، ولم يبلغ العشرين من العمر كانت له إطلالة في نقل الرسائل بين الفدائيين.

4- زياد: زياد من الزيادة، و (الزِّيادة) النُّمُو، و (زاده) الله خيراً " [3].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فزياد كان معجباً بعمل سعاد الفدائي، وكان معلماً ومن المثقفين في نابلس يحب العمل الفدائي، فهو زيادة في العلم، وزيادة في التضحية والفداء.

5- وليد: الوليد هو المولود ، و " (الوَلِيد) الصبي والعبد، والجمع (وِلْدان) كصبيان و (وِلْدة) كَصِبْيَة " [4].

فالكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فوليد صبي كلفه والده بالذهاب إلى بيت سعاد؛ لمعرفة ما يحدث بداخله.

دلالة الأسماء وعلاقتها بالشخصيات التي ارتبطت بها في رواية (الشيء الآخر):

1- ليلى الحايك: ليلى من ليل، " ولَيْلٌ (أَلْيَل) شديد الظلمة " [5].

---

1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص 299.
2) السابق: 396.
3) السابق: 279.
4) السابق: 735.
5) السابق: 611.

فالكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فقد تعرف عليها المحامي صالح في نادٍ ليلي، " كنا قد قررنا ديما وأنا، أن نمضي تلك المناسبة بهدوء، نتعشى في مطعم ثم نذهب فنرقص قليلاً في نادٍ ليلي، وهناك التقت ديما بليلى " [1].

2- ديما: ديما من الديمة، و (الدِّيمَة) المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أقله ثُلث النهار أو ثُلث الليل، وأكثره ما بلغ من العِدّة " [2].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فديما شخصية هادئة، لم تترك زوجها في أزمته.

3- هناء: هناء من التهنئة، و (التَّهْنِئَة) ضد التعزية، و (هَنَّأَه) و (تَهْنِيئاً) " [3]، والهناء يعني السعادة والسرور.

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فهناء سكرتيرة مخلصة في عملها، وسعيدة به.

4- صالح: صالح من الصلاح و الإصلاح، و " (الصّلاح) ضد الفساد ... و (الإصْلاح) ضد الإفساد، و (المصلحة) واحدة (المصالح)، و (الاستصلاح) ضد الاستفساد " [4].

ويرى الباحث أن الكاتب وفق في اختيار الاسم للشخصية، فالمحامي صالح جيد الطباع، يصلح بين الناس، ويدافع عن حقوقهم.

فالكاتب غسان كنفاني استطاع بكل مهارة وإبداع اختيار الأسماء لشخصيات روايته (الشيء الآخر) كباقي الروايات التي كتبها بكل دقة وموضوعية، فكانت الأسماء تعبر عن الشخصيات، وهذا لا يكون إلا لمتمرس على الكتابة والتأليف.

---

1) الشيء الآخر " من قتل ليلى الحايك"؟"،غسان كنفاني، ط1، 2013، ص20.
2) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، 660هـ، ص217.

3) السابق: 700.
4) السابق: 367.

الخاتمة

لكل بداية خاتمة، وبعد استجلاء الحقائق الخاصة بالشخصية في روايات غسان كنفاني تتضح لنا الأمور الآتية:

لقد تناول الأديب الفلسطيني غسان كنفاني في رواياته موضوع الدراسة مجموعة من القضايا المهمة، والخاصة بالشعب الفلسطيني قبل النكبة وبعدها التي تعرض لهما الفلسطينيون في زمن الانتداب البريطاني والاحتلال الصهيوني، وما تبعهما من هزيمة للجيوش العربية عند تدخلها في تحرير فلسطين، فحصدت هزيمة نكراء كان لها الأثر الكبير والدور المهم في تشكيل الشخصية الفلسطينية في الداخل والشتات.

كما وتناولت روايات غسان كنفاني ظاهرة الهجرة عند الفلسطينيين، سواء أكانت بحثاً عن لقمة العيش في الدول العربية المجاورة والغنية بالنفط، أو الدول الأوربية المحتاجة إلى الأيدي العاملة، أو مرغمة على الهجرة بالإكراه وقوة السلاح من المحتل؛ لتفريغ المكان من أهله الأصليين، وإحلال المهاجرين الجدد من اليهود والمستوطنين في فلسطين، وهذا ما تفق عليه الصهاينة مع حكومة الانتداب وعصابات الهاغاناة التي كانت ترتكب المجازر بعد المواطن الفلسطيني لإرغامه على الهجرة، وترك بيته لغيره.

وتعرضت الروايات عند غسان كنفاني لدور المرأة الفلسطينية الإيجابي، الداعم للقضية الفلسطينية منذ البدايات، فسطرت بقوة أنصع الصفحات وأروعها في التاريخ الفلسطيني بصمودها وثباتها وتحدياتها للواقع المرير، والذي نتج من الاحتلال البغيض للوطن، فتعددت صورها، فوجدت الزوجة الصالحة، والأم العاملة، والطالبة المناضلة، بالإضافة إلى المرأة السلبية، والعابثة بشرفها مع الأشرار في لحظات مسروقة، أو من أجل رغيف الخبز كما يفعل بعض الموظفين السلبيين مع المراجعين لمكاتبهم، دون مراقبة ضمير أو خوف من سوء مصير.

وتناولت روايات غسان كنفاني فكرة الكفاح المسلح والعمل النضالي من أجل التحرير والاستقلال، والوقوف في وجه المحتل، فتشكلت الأحزاب المقاومة من أبناء فلسطين في الداخل

والشتات؛ لإثبات الحق الفلسطيني على أرضه، فكانت المظاهرات والمسيرات والثورات الشعبية والعمليات العسكرية ضد المحتل.

وأظهرت الروايات ظاهرة التخابر مع العدو الصهيوني، من بعض ضعاف الإيمان، وأصحاب النفوس الرخيصة والمريضة، من أجل المال أو الشهوة، فكان العملاء عيوناً للمحتل، يشاهدون الأحداث، ويجلسون مع المناضلين بسبب الجيرة أو القرابة، ثم ينقلون الأخبار للعدو من أجل المال أو السفر أو التراخيص، بعد إسقاطهم في وحل العمالة، ولقد ركزت الروايات على عمالة الرجل دون المرأة.

كما وتناولت روايات غسان كنفاني موضوع الدراسة بطريقة فنية وكالة الغوث، ومراكز الإعاشة، وما وفرته للاجئ في الوطن والشتات، والطوابير التي فرضها الاحتلال، والواقع الصعب المفروض على المهجرين في المخيمات، وتمكينهم من الحصول على المأكل والملبس والمسكن، وإقامة المدارس للتعليم، والعيادات الطبية للعلاج.

ولقد ركز غسان كنفاني في رواياته على دور الأطفال في إعالة أسرهم الفقيرة، فمروان في (رجال في الشمس) يترك مقاعد الدراسة من أجل البحث عن عمل ولو في الخارج؛ لإعالة أسرته بعد أن تركها والده، وانقطاع أخبار أخيه في الكويت، بدلاً من البقاء على مقاعد الدراسة مثل زملائه في المدرسة.

وتناولت الروايات الشخصية اليهودية ذات الطابع العسكري، المتصفة بالقوة والبطش والتنكيل، والأسر والقتل، فتعددت الصور عند غسان كنفاني، فجاء بالضابط المتسلط، وبالجندي القاتل بلا رحمة ولا شفقة، والمهاجر من أوربا برعاية الوكالة اليهودية عبر البحر هرباً من رصاص الجنود الألمان ومعتقلاتهم.

وأشار غسان كنفاني في رواياته إلى حق العودة، كحق ثابت ومشروع لكل فلسطيني أينما كان في الداخل أو الخارج، وما كانت مسيرات العودة واستمرارها في قطاع غزة حتى اليوم إلا من أجل إثبات ذلك الحق، فلن يسقط بالتقادم، وسيبذل الفلسطيني الغالي والنفيس، ويضحي لتحقيقه.

النتائج والتوصيات:

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها، وخرجت بها من هذه الدراسة الآتي:

* الشخصية عنصر مهم وأساسي في البناء الروائي، وهي إحدى التقنيات السردية التي تقوم عليها الرواية، ومن خلالها يقدم المبدع فكره إلى القارئ، فيوظف الشخصيات المناسبة للأحداث المعبرة عن الواقع.

* تنوعت الشخصيات في روايات غسان كنفاني تنوعاً ملحوظاً، فتناولت جميع فئات المجتمع الفلسطيني، الأغنياء والفقراء، والمثقفين والمهربين، والمناضلين الشرفاء والعملاء الخونة، والرجل والمرأة والطفل، والمحامي والمعلم، الذين تشردوا بقوة السلاح في الداخل والشتات، بالإضافة إلى الشخصية اليهودية المتمثلة في سلطة الاحتلال، بضباطه وجنوده المدججين بالسلاح والرصاص، وما تبعده من صراع ومقاومة بين الشخصيتين على الأرض الفلسطينية؛ لإثبات الحق لأصحاب الشرعية.

* كان غسان كنفاني متحرراً فكرياً، فعبر عن الواقع بصورة فنية أدبية، فجاءت رواياته تدعو إلى ما يدعو إليه الواقع، الذي يدعو إلى الثورة والتمرد والمقاومة بعد النكبة والنكسة التي حلت بالشعب الفلسطيني، ورفض الاحتلال، والتخلص من عملائه .

* سخّر غسان كنفاني نص رواياته لفلسطين والقضية الفلسطينية، فغلب عليها طابع المقاومة بهدف التحرير والاستقلال، وتحقيق حق العودة لكل فلسطيني إلى أرضه، أرض الآباء والأجداد.

* ساد الاغتراب المكاني والنفسي شخصيات روايات غسان كنفاني، فالشعب الفلسطيني بأسره بعد الاحتلال الإسرائيلي لكل فلسطين أصبح غريباً عن وطنه، يسكن المنفى، ويعاني من الهجرة القسرية، والتي جاءت بالرغم عن أنفه، يرى بعينيه بيته يسكن فيه المستوطن ولا يستطيع دخوله، وهو يعيش في مخيمات اللجوء، ويتحمل المعاناة والتشرد داخل وخارج الوطن.

* أبدع غسان كنفاني في عرض الشخصية الفلسطينية الأبية، الفاعلة والإيجابية، العاشقة لفلسطين والقضية، الصابرة والمحتسبة، أملاً في النصر أو الشهادة، بالإضافة إلى الشخصية السلبية التي تفكر في نفسها وشهواتها ومصالحها الشخصية، والخائنة لوطنها وشرفها، والمستعملة من قبل الاحتلال ضد القضية.

* ظهرت فكرة الثورة والالتحاق بصفوف المقاومة والكفاح المسلح في روايات غسان كنفاني بكل وضوح، وضرورة التصدي للمحتل وأعوانه بكل قوة وشجاعة، حتى طرده من الديار، وتحرير البلاد والعباد من ذل الهزيمة، وكسر قيد المستعمر ومن يقف بجانبه، فالحق المسلوب لا بد أن يعود لأصحابه الأصليين.

* رصد غسان كنفاني في رواياته دور الانتداب البريطاني الاستعماري في أحداث النكبة، والتنسيق المستمر مع العصابات الصهيونية، والمشاركة في الهجوم الشامل على المدن والقرى الفلسطينية لطرد أهلها، وتسليمها لعصابات الهاغاناة والمستوطنين الجدد.

التوصيات:

يوصي الباحث الدارسين بدراسة الشخصية عند باقي الروائيين الفلسطينيين للتعرف على الشخضية بأنواعها.

وأخيراً أحمد الله حمداً كثيراً على إتمام هذه الدراسة، التي بذلت فيها كل جهدي؛ لتصل إلى ما وصلت إليه، فقد تحملت من أجلها الكثير من المصاعب التي اعترضت طريقي، وكلي أمل أن ينتفع بها الدارسون في مجال الأدب والنقد والقضية الفلسطينية.

فما كان من توفيق في هذه الدراسة فالفضل لله عز وجل، ثم لأستاذي الدكتور الفاضل/ نبيل أبو على حفظه الله، المشرف على الرسالة، وما كان من تقصير فمن نفسى، وهذا ما استطعت إليه سبيلا، وعزائي أنني بذلت قصارى جهدي، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

القرآن الكريم.

1- الآثار الكاملة الروايات، غسان كنفاني، بيروت- لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، المجلد1، ط1، 1972م.

2- الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860-1960، كامل السوافيري، القاهرة: مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، 1986م.

3-. الأدب وفنونه، محمد عنابي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991.

4-. استنطاق المجهول قراءة في تراث الأديب غسان كنفاني، أحمد هاشم السامرائي، العراق، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، الجزء الرابع، 2018.

5-. إسماعيل، أحمد حرب، القدس: وكالة أبو عرفة للصحافة والنشر، 1987.

6-. البحث الأدبي واللغوي طبيعته، مناهجه، إجراءاته، نبيل خالد أبوعلي، غزة- فلسطين: مكتبة الجزيرة، 2016م .

7-. البطل في الرواية الفلسطينية في فلسطين من عام 1993-2000، أحلام محمد سليمان بشارات، نابلس-فلسطين: رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، 2005 .

8-. بلاد البحر، أحمد رفيق عوض، فلسطين: الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين بالتعاون مع دار الماجد رام الله، ط1، 2006.

9-. بنت من البنات، زياد حواري، نابلس، مطبعة عمال المطابع، 1974.

10- البنية السردية في رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني (رسالة ماجستير)، سمراء قفي، الجزائر، كلية الآداب، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2014 .

11- تأملات نقدية في نماذج من الأدب الفلسطيني، عزت الغزاوي، رام الله، مطبعة المنارة الحديثة، 2001م.

12- تجربة الطاهر وطّار الروائية بين الأيديولوجيا وجماليات الرواية ، لينة عوض، عمان جمعية عمال المطابع التعاونية، 2004م.

13- تحولات السرد دراسات في الرواية العربية، إبراهيم السعافين، عمان-الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1996م.

14- تطورات الطفل الاجتماعية، ناديا عباس، بيروت: دار الفكر العربي، 1997م.

15- تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام (1870-1967)، إبراهيم السعافين الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1980م.

16- الحاج إسماعيل، صافي صافي، القدس، إتحاد الكتاب، 1990م.

17-حركة التجريب في الرواية الفلسطينية من الستينات حتى عام 1995 دراسة أدبية، عدنان عبد عثمان الجواريش، فلسطين، جمعية العنقاء الثقافية،ط1، 2003م.

18-الحس الإغترابي في أعمال روائية لغسان كنفاني، مريم جبر فريحات، دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الثالث والرابع، 2010م.

19- الخروج من القمقم، عمر حمش، فلسطين، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، 1992م.

20-دراسة في رواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني، سعيدة ميرحق جولنكرودي، وفاطمة علينزاد جمازكي، شيراز- إيران، التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السادس، 1389هـ.

21-دور الوالدين في تكوين الشخصية الاجتماعية عند الأبناء، دراسة ميدانية في مدينة دمشق، باسمة حلاوة، مجلة جامعة دمشق- المجلد 27 -العدد الثالث والرابع، الصفحات 71-109، 2011م.

22- الرؤية الفنية في أعمال غسان كنفاني الروائية، حسن عليان، البصائر ، الأردن، الصفحات 53-104، 1 مارس 2000م.

23- الرجل والبحر جوانب من التناص في رواية إدوار الخراط "ترابها زعفران"، منى ميخائيل، مجلة فصول،المجلد 15، العدد 4، 1997م.

24- رسم الشخصية في روايات حنا مينة، فريال كامل محمد صالح سماحة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1999م.

25- رواية أم سعد، غسان كنفاني، قبرص، دار منشورات الرمال، 2013م.

26- رواية رجال في الشمس، غسان كنفاني، غزة-فلسطين، منشورات مركز الدراسات الجماهيرية، الإصدار الأول، 2003م.

27-الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو 1992م، حسين محمد حسين الصليبي، غزة، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، 2008م.

28- الرواية في الأدب الفلسطيني، أحمد عطية أبومطر، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1991م.

29-رياض الصالحين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1986م.

30- الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، علي عودة، غزة، الجامعة الإسلامية، 1990م.

31- الشخص والشخصية في القصة المغربية المعاصرة، محمد أيوب، المجلة الثقافية الجزائرية، 2010م.

32- الشخصية الإسرائيلية، دراسة في توجهات المجتمع الاسرائيلي نحو السلام، محمد خليفة حسن، القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد(2)، 1998م.

33- الشخصية في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية دراسة في ضوء المناهج النقدية (رسالة ماجستير)، سعد عودة حسن عدوان، غزة، كلية التربية، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، 2014م.

34- الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة 1967-1993، محمد أيوب، غزة، كلية التربية، قسم اللغة العربية، جامعة النجاح الوطنية، 1996م.

35- الشخصية في رواية ميمونة لـ"محمد بابا عمي"(رسالة ماجستير)، حياة فرادي، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015م.

36- الشخصية في القصة. قسنطينة، جميلة قيسمون، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة منتوري، العدد 13 ، 2000م.

37-الشخصية في قصص وروايات غسان كنفاني، هيام عبد الكاظم إبراهيم، العراق، جامعة القادسية، كلية الإدارة والاقتصاد، المجلة العراقية، العدد الحادي عشر، 2012م.

38- الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدائية، رشاد عبدالله الشامي، الكويت، عالم المعرفة، 1986م.

39- الشمس في ليل النقب، هشام عبد الرازق، فلسطين، مركز الأسرى للدراسات، 2011م.

40- الشيء الآخر "من قتل ليلى الحايك؟"، غسان كنفاني، قبرص، دار منشورات الرمال، مؤسسة غسان كنفاني الثقافية، ط1، 2013م.

41- الصبار، سحر خليفة، فلسطين، 1976م.

42-صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مدينة نصر، دار الصابوني، المجلد1، ط9، 1396هـ-1976م.

43-عالم غسان كنفاني، فضل النقيب، مجلة شؤون فلسطينية، أيلول، 1972م.

44- عباد الشمس، سحر خليفة، نابلس، دار الآداب للنشر والتوزيع، 1987م.

45-العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1991م.

46-العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن منيف، فيصل غازي النعيمي، عمان-الأردن، مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2009م.

47- عين السارد قراءات في أعمال أحمد رفيق، علي الخواجة، البيرة: مطبعة أبو غوش، ط1، 2005م.

48-غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، صبحية عودة زعرب، عمان- الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

49-فلسطين في أدب غسان كنفاني، مصطفى عبدالغني، شؤون فلسطينية، 1990م.

50-فلسطين في الرواية العربية، صالح أبوإصبع، بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية، 1975م.

51- فن القصة، محمد يوسف نجم، بيروت- لبنان، دار الثقافة، ط5، 1966م.

52-الفن القصصي والمسرحي، عبد الخالق العف، الجامعة الإسلامية، 2017م.

53-في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1998م.

54-في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، عبدالرحمن ياغي، رام الله: دار الشروق، 1999م.

55-القاموس المحيط، الفيروز أبادي، بيروت- لبنان: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ- 2005م.

56القناع في مسرح سعد ونّوس رسالة ماجستير، حسن علي حسين أبو ندى، غزة، جامعة الأزهر،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية،أدب ونقد، 1436هـ-2015م.

57- الكاشف معجم كتاب وأدباء فلسطين، نزيه أبو نضال عبد الفتاح القلقيلي، غزة، المجلس الأعلى للتربية والثقافة- منظمة التحرير الفلسطينية، ط1، 2011م.

58- كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، الجزء الثاني، المحتوى د-ص، 1424هـ-2003م.

59- اللاجئون الفلسطينيون في لبنان إلى متى، محمود داود العلي، عمان، دار الجليل للطباعة والنشر، ط1، 1982م.

60- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، بيروت- لبنان: دار صادر، المجلد السابع، ط1، 1997م.

61- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، بيروت- لبنان، دار القلم، 660هـ.

62- مذكرات خروف، عبدالرحمن عباد، الخليل، منشورات الوطن، 1990م.

63- المشكلات النفسية للطفل وطرق علاجها، ملاك جرجس، القاهرة: دار المعارف، 1990م.

64- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، و كامل المهندس، بيروت- لبنان، مكتبة لبنان، 1984م.

65- المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، الجزء2، ط2، 1419هـ-1999م.

66- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، و محمد خلف الله أحمد، القاهرة، مطبعة مصر، الجزء1، 1972م.

67-موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1997.

68- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام في أربعة مجلدات، أحمد المرعشلي، عبد الهادي هاشم، و أنيس صايغ، دمشق، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثالث، ط1، 1984م.

69- موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين، أحمد عمر شاهين، غزة- فلسطين، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق، الجزء الثاني من حرف العين إلى حرف الياء،ط2، 2000م.